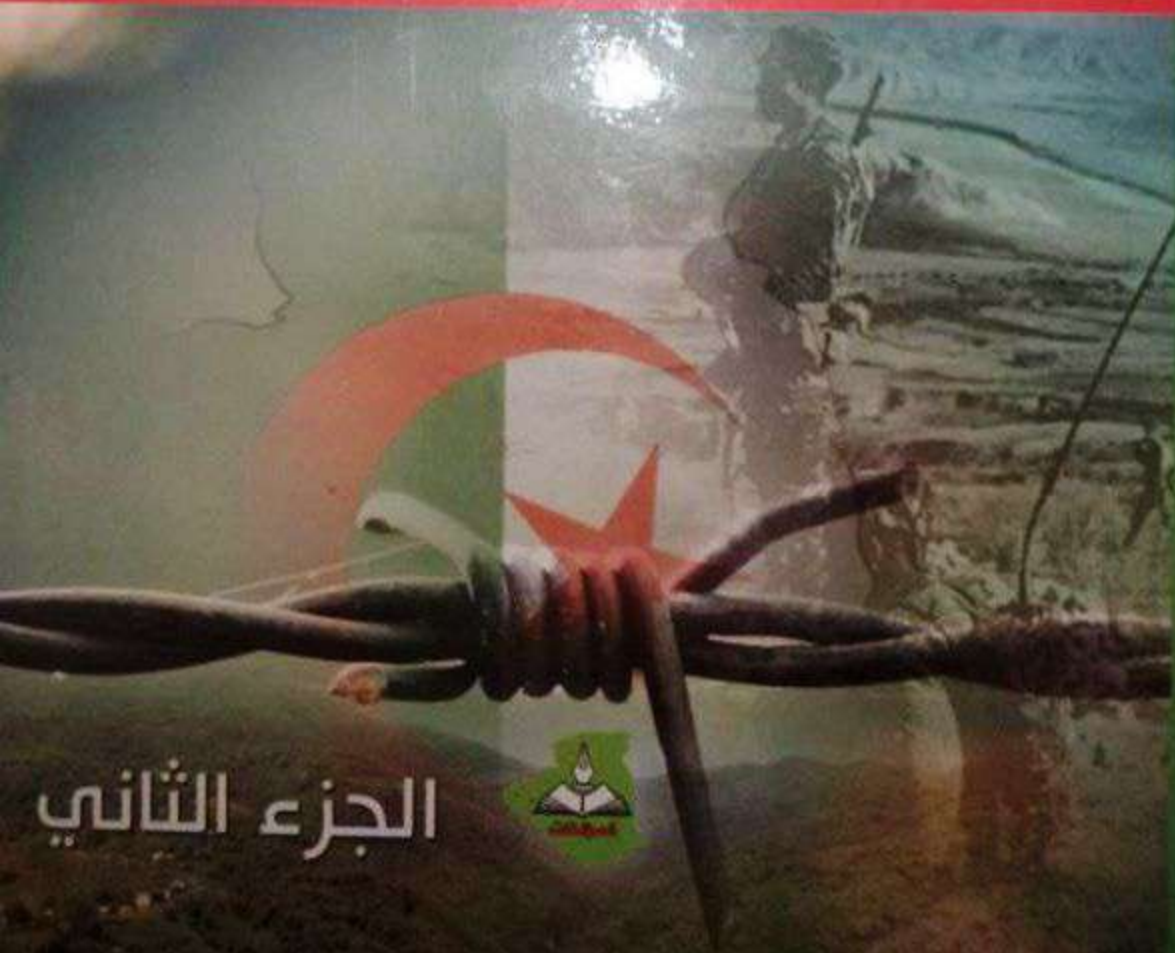


بن داهة عدة

# الاستيطان

و الصراع حول ملكية الأرض  
إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر  
1830-1962



الجزء الثاني



بن داهية عدة

# الاستيطان

والصراع حول ملكية الأرض  
إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر

1830-1962

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1434هـ - 2013م

## حقوق الطبع محفوظة

يمنع وضع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والنقل والتصوير والتسجيل والتوزيع الإلكتروني والنسخ والتوزيع وغيرهما من الحقوق الأبدية على المؤلف ومن



## الموافقات للنشر والتوزيع

حي الفاتح ماي محل رقم 05 حمام الضلعة المسيلة

هـ : 05 53 94 79 22

البريد الإلكتروني : otmanrah@yahoo.fr

الإيداع القانوني : 3270 - 2013

رقم : 2 / 35 408 9961 978

## الباب الثاني

## الإستييطان الفرنسي النتائج و ردود الفعل الوطني

الفصل الأول: نتائج الاستيطان الفرنسي على المجتمع الجزائري.

الفصل الثاني: العرائض والمذكرات الاحتجاجية.

الفصل الثالث: المقاومة السلمية الطويلة الأمد.

الفصل الرابع: اهتمامات الأحزاب والصحف الوطنية الجزائرية

بموضوع ملكية الأرض.

الفصل الخامس: نماذج من مقاومة الفلاحين الجزائريين للاستعمار

الفرنسي في الجزائر (من جانبها الاقتصادي) (1830-1954).

الفصل السادس: اهتمامات ثورة أول نوفمبر 1954 بالأراضي

الفلاحية.



## الفصل الأول: نتائج الاستيطان الفرنسي على المجتمع الجزائري

تمهيد

- انتشار الفقر

- مدم البنية الاجتماعية والاقتصادية للشعب الجزائري

- بث عناصر أجنبية - دخيلة - في الجزائر

- اختلال التوازن السكاني

- تحول المراكز الاستيطانية إلى بلديات كاملة الصلاحيات

خاتمة

تمهيد

يدّعي بعض الكتاب الفرنسيين أنه «على الرغم من الثروات المحدودة للجزائر وديمقرافيتها المتزايدة، فإن فرنسا قد منحها ما لم يمنحه بلد في المشرق العربي، وأن الوجود الفرنسي في الجزائر كان مكلفا لفرنسا التي أعطت للجزائر أكثر مما أخذت منها»<sup>(1)</sup>.

في الحقيقة لم يعد المخطط الفرنسي المهادف إلى تعمير الجزائر وتحويلها إلى أرض فرنسية يحتاج إلى شرح كبير بعد أن تعرضنا في الفصول السابقة إلى المنجزات الاقتصادية والعمرانية والمعجزات الزراعية التي تدعيها فرنسا في الجزائر، والتي لم تكن تريد من خلالها سوى تأمين وجودها بناء على «الحق» القائم على المنجزات، كما أنه كلما احتجّ الشعب الجزائري عن طريق مناضليه على سياسات فرنسا في الجزائر وتقدّم بمطالب سياسية إلا وواجهته سلطات الاحتلال بلغة الأرقام عما أنجزته في هذا البلد من مشاريع اقتصادية واجتماعية كالموانئ والمطارات، وشبكة الطرق المعبدة، والسكك الحديدية، والخطوط الكهربائية...

(1) - Charles-Henri FAYROUD. La révolution Algérienne, Paris, 1959, p 119.



لكن، ماذا استفاد الفلاح الجزائري من كل هذه المشاريع؟ ومن أين له أن يفخر بها وقد اغتصبت منه أرضه، وأصبح يسكن كوخا ويركب حمارا؟ وهل الجهود المبذولة حققت للمجتمع الجزائري الذي ترتبط حياة 80% منه بالأرض ما كان ينتظره من هذه المشاريع؟

فإذا كان الحكم على الاستعمار الفرنسي في الجزائر يرتبط بنتائجه، فبقدر ما انعكست هذه النتائج إيجابيا على المستوطنين الفرنسيين والأوروبيين، فإنها انعكست سلبا على المجتمع الجزائري.

ونظرا لعدم قدرتنا على تغطية كل الجوانب التي يتطلبها الحديث عن نتائج الاستيطان الفرنسي على الجزائر في هذه الدراسة -المناقشة- فقد اكتفينا بالإشارة إلى أهمها كانتشار الفقر، وتعرض البنية الاجتماعية والاقتصادية للشعب الجزائري للهدم نتيجة لقوانين الفرنسة وانتزاع الأرض من أصحابها الشرعيين بطريقة وحشية.

انتشار الفقر

لم تواجه فرنسا التطور الحاصل في عدد السكان -المسلمين- الجزائريين والذي انتقل من 2.307.000 نسمة سنة 1858

إلى 9.000.000 نسمة عام 1953<sup>(1)</sup> باستصلاح الأراضي الزراعية وتوسيعها وزرعها حبوبا لسد حاجيات السكان المعاشية<sup>(2)</sup>، ولم تفعل شيئا أمام التناقص المستمر لتوسط نصيب الفرد الجزائري من الحبوب والذي انتقل من 5,9 قنطار للفرد الواحد سنة 1870 إلى 4,9 قنطار للفرد الواحد سنة 1911 ليصبح 2,8 قنطار في 1936 إلى أن يصل إلى 02 قنطار للفرد الواحد سنة 1950، وبهذا الشكل يكون إنتاج الحبوب قد انتقل من 18 مليون قنطار سنة 1934 إلى 20 مليون قنطار سنة 1954، في حين تزايد عدد السكان الجزائريين خلال هذه الفترة (1934-1954) بثلاثة ملايين نسمة.

وموازا لتناقص متوسط نصيب الفرد الجزائري من الحبوب وتقلص المساحات الزراعية في قطاع المسلمين الزراعي، فإن

(1) - تطور عدد سكان الجزائر (1858-1953)

السنة	1858	1876	1896	1926	1936	1948	1953
عدد الجزائريين	2.307.000	2.462.000	3.781.000	5.150.800	6.201.100	7.679.100	9.200.000
عدد الأوروبيين	180.300	344.700	578.500	833.400	946.000	922.300	1.000.000

Pierre Montagnon: La guerre d'Algérie, Paris

المرجع:

1984, p 51.

مساحة الكروم انضلت من 23.000 هكتار سنة 1880 إلى 450.000 هكتار عام 1954<sup>(1)</sup> هذا فضلا عن المساحات التي كانت تحتلها الحمضيات وأشجار الزيتون والتبغ.

والجدول الآتي يعطينا صورة تشخيصية عن التطور السريع الذي حدث في مساحات قطاع المعمرين الزراعي على حساب قطاع الفلاحين الجزائريين.

السنة	1850	1870	1880	1890
المساحة (بهاكتار)	115.000	765.000	1.245.000	1.635.000

السنة	1900	1920	1940	1954
المساحة (بهاكتار)	1.912.000	2.581.000	3.045.000	3.028.000

المرجع: Benjamin STORA. Histoire de l'Algérie Coloniale 1830-1954, Alger: E.N.A.L, 1996, p. 48.

فبينما ظلت المساحات الزراعية للفلاحين الجزائريين تزداد انكماشاً بفعل قوانين الملكية وتجزئة الأراضي والمصادرة لأجل المنفعة العامة، فبالمقابل كانت مساحات القطاع الفلاحي للمعمرين تزداد اتساعاً، زد على ذلك التوزيع غير العادل للمعدات الفلاحية، ففي حين كان بمحوزة الكولون 18.940 جرّاراً سنة 1954، لم يستفيد الفلاحون الجزائريون سوى من خدمات 500 جرّار، كما أنّ فقدان المراعي بإقليمي التل والهضاب العليا أدى هو الآخر إلى انتقال عدد الأبقار من 08 مليون رأس سنة 1865 إلى 7,5 مليون رأس عام 1887 لينزل هذا الرقم إلى 6,3 مليون رأس عام 1900، أما عدد رؤوس الأغنام فقد انتقل من 1.071.000 رأس سنة 1887 إلى 846.000 رأس سنة 1900<sup>(1)</sup>، بحيث أصبح نصيب متوسط الفرد من المواشي في القطاع الفلاحي الجزائري ماشيتين خلال عام 1911 ثم 1,8 ماشية خلال عام 1954<sup>(2)</sup>.

وإن كان المستعمر الفرنسي يرد أسباب فقر الجزائريين أساساً إلى افتقار الأراضي الفلاحية الجزائرية إلى المواد العضوية، وقلة المردود الهكتاري، وكثرة عدد الفلاحين، واستخدام الوسائل التقليدية، وارتفاع نسبة المواليد؛ فإن الواقع يثبت أن الفقر الذي

<sup>(1)</sup> ADDI Lahouari, L'histoire du Maghreb, Paris 1976, p. 124

<sup>(2)</sup> Pierre MONTAGNON, op.cit, p. 123.



أصاب المجتمع الجزائري بآفة إلى عوامل منها استمرار الكولون في ابتلاع المزيد من الأراضي الفلاحية المحصنة وتقلص الأراضي الزراعية والرعيوية وانخفاض إنتاج الحبوب بـ 20 ٪ أمام تضاعف عدد السكان في الجانب الجزائري.

لقد كان للسياسة الفرنسية التي تركت بصماتها وتوقيعها في كل مجالات الحياة أسوأ أثر على الحالة الاقتصادية الزراعية وعلى ظروف الفلاحين المعاشية، وإن الكارثة التي أودت بحياة 500.000 نسمة من الأهالي سنة 1867-1868 وقعت في الأراضي المحصنة وأراضي الشمل القديمة قبل أن تمسها الإجراءات التطبيقية لقانون 1863<sup>(1)</sup>.

ومع أن احتياطي المعمرين من الحبوب لم ينقص منه شيء، لم يحظر نبال أحد من الرسميين أو من الخواص أن يبدل يد المساعدة للبعائين<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> مصطفى الأثراف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة د/ حنفي بن عيسى، الجزائر، دوك، 1983، ص 15  
<sup>(2)</sup> مصطفى الأثراف، المرجع السابق، ص 15

كما كان للحرب العالمية الأولى آثار سلبية على المجتمع الجزائري عامة والفلاح بوجه خاص.

فخلال الحرب تراجع المحصول الزراعي بفعل الجفاف الذي ضرب البلاد، وكذلك بفاقد المخزون من الحبوب جراء التعبئة العامة وعسكرة الاقتصاد. وتناقصت الثروة الحيوانية، بحيث فقد الفلاحون الجزائريون ملايين الرؤوس من الأغنام والماعز.

وقد عبر «أوجين إيتيان» (Eugène ETIENNE) عن هذه الحالة بقوله «الأهالي جائعون وفي حالة حادة من الجوع» Les indigènes ont faim et très faim<sup>(1)</sup>.

ويذكر الأستاذ أجبرون بأن ثلثي المخزون من القمح الصلب أي ما يقدر بـ 40.000 قنطار قد تم بيعه بمبلغ 32,25 فرنك للقنطار الواحد إلى الشركات الأهلية للاحتياط (S.I.P) التي قدمت بدورها للفلاحين كميات من البذور سلفة لزروعها، وبالنظر لخطر الحرب على المزارع، فإن بعض القبائل امتنعت عن زرع البذور كما هو الحال مع بلدية تبسة التي كان فلاحوها في انتظار وصول الألمان<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> Charles- Robert AGERON, Les Algériens Musulmans et la France, T.II, Paris, P.U.F, 1968, p1143

<sup>(2)</sup> Ibid

لما أثنى الحرب العالمية الثانية فإنه بسبب سوء الأحوال والأضرار التي أصابت الأرض والماشية اضطّر الكثير من الفلاحين في بعض جهات الوطن إلى التخلّص من سوء أحوالهم الاجتماعية ببيع أراضيهم ومواشيهم كما حدث مع بلدية «باليكاو» (تغنيف حاليا) <sup>(1)</sup>

ويدّوا أنها ليست المرة الأولى التي تحلّ فيها بالجزائر مجاعات، ولعلّ الاستشهاد بما صرّح به الكاتب الفرنسي «ألبرت كامّي» (Albert CAMUS) الذي جاب بلاد القبائل فيما بين 05 و15 جوان 1939 يغتني عن الكثير من الشهادات عن الفقر الذي حلّ بالمجتمع الجزائري أبان الاحتلال الفرنسي، فمع اعتزازه بالحضارة الفرنسية في الجزائر إلا أنه أدلى بشهادته قائلا «أعتقد جازما بأن 50٪ على الأقل من الشعب الجزائري يقتاتون من الحشائش وجذور النباتات» <sup>(2)</sup>

وهنا يقع المرء في حيرة متسائلا عن سبب حلول المجاعات القاتلة وانتشار الفقر وسط المجتمع الجزائري بعدما كانت الجزائر تدعى

بـ«مطامير روما» خلال العهد الروماني، وتصدّر الحبوب إلى جنوب فرنسا وإيطاليا خلال الحكم التركي <sup>(1)</sup>

من دون شك سيجد المرء الجواب عن سؤاله في سياسة فرنسة الأراضي، وتركيز الفلاحين وحشرهم (cantonnement) في مناطق محددة لا تتناسب مع عددهم واحتياجاتهم، بالإضافة إلى إهمال سلطات الاحتلال لعمليات الاستصلاح التي كانت من الممكن أن تقلب الجنوب الجزائري جنة خضراء قادرة على تغذية الملايين من البشر.

وطبيعي أن تحدث المجاعات في وسط المجتمع الجزائري أمام إفساح المجال لتوسع مساحات الكروم، وإهمال زراعة الحبوب، وتزايد عدد السكان، وضعف متوسط المردود الهكتاري للحبوب في القطاع الفلاحي الجزائري مقارنة مع القطاع الفلاحي للمعمرين كما يوضحه الجدول التالي:

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A carton 9H/30 (rapport hebdomadaire sur la situation économique et politique. Palikao le 28/07/1943)  
<sup>(2)</sup> Hamid- AÏT-AMAR «La question agraire aujourd'hui» in Inssmias n°07. 1999, p

<sup>(1)</sup> محمد العربي الزبيري. الثورة الجزائرية في علمها الأول، الجزائر: م.و.ك، 1984.



إنتاجية الهكتار بين القطاعين الفلاحيين الجزائري والأوروبي (1954)

الإنتاج	متوسط المربود الهكتاري	
	القطاع الفلاحي الجزائري	القطاع الفلاحي للمعمرين
قمح صلب	3,38 قنطار	8,7 قنطار
قمح لين	4,22 قنطار	7,58 قنطار
شعير	07 حتى 08 قنطار	27 حتى 30 قنطار

المصدر: المخر هذا الجدول بناء على المعلومات الواردة في:

Manquénè (J) L'Oranie et ses richesses agricoles, Oran 1930, p 180.

فنظروا لما تركته المجامعات من آثار مسيئة في نفوس الجزائريين فإنها بقيت عالقة في الأذهان، يستشهدون بها كحوادث تاريخية تنفرد بها بعض السنوات كقولهم «عام القحط» أو «عام الشر» (1867-1868)<sup>(1)</sup>، و«عام الجراد» (1860)، (1930) و«عام ميريكان» أو «عام البون» (1942).

ولا يجب بحال من الأحوال أن نلقي اللوم على الفلاحين الجزائريين الذين أجبروا على ترك أراضيهم يبيعها للكلولون أو لبعض البرجوازيين العقاريين الجزائريين. لقد تخلوا عن أراضيهم بعد أن دمرتهم القوانين العقارية، وهددت الأعباء الضريبية

(1) تكشف لنا الأرقام أدناه عن حالة الوفيات المسجلة في صفوف الأهالي الجزائريين فيما بين جويلية 1867 و 01 ماي 1868 على أنها بلغت 128.812 حالة وفاة منها:

- الوفيات داخل الملاحي العلمانية: 14.355 - الوفيات بالمستشفيات: 2.225

- الوفيات داخل الملاحي الدينية: 401 - الوفيات في القرى: 111.831  
ففي مدينة بسكرة لوحدها سجلت 1.128 حالة وفاة بداء الكوليرا فيما بين 14 جويلية و 17 أوت 1867 وذلك من ضمن عدد إجمالي سكان المدينة المقدر بـ 3.800 نسمة من الأهالي. وفي نفس السنة (34 يوما) ملك 34 موظفا من تكتلون و 10 ضباط و 91 عسكريا من بين الفرنسيين، كما خسر الأهالي في هذه السنة ثلث الجمال والثران والماعز ونصف الأغنام. يراجع Louis RINN- Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger 1891, p 50

وتقلبات الطقس حياتهم، فتحولوا إلى خماسين فوق أراضيهم لألا يصبحوا عاطلين عن العمل.

وهكذا تحولت البنية الاجتماعية في الجزائر، وظهر في الأرياف الجزائرية فلاحون من غير أرض، وفلاحون بدون عمل تماما، والجداول التالي يلخص لنا هذه الحالة.

#### توزيع السكان الجزائريين في القطاع الزراعي خلال سنة 1901.

ملاكون	إجمالي: رجال - نساء - أولاد	النسبة المئوية من السكان الزراعيين	اليد العاملة	النسبة المئوية بين السكان العاملين
1.768.000	754,7		620.899	754,7
مزارعون	107.499	3,3%	37.455	3,3%
خماسون	998.935	30,98%	350.715	30,98%
عمال	356.128	11,02%	151.108	11,02%
المجموع	3.230.562	100%	1.116.177	100%

المراجع: Charles-Robert AGERON. Les Algériens Musulmans et la France, T2, p 266.

إن النسبة العالية للخماسين (98,30%) هي مؤشر صادق عن تحول الملكية العامة للجزائريين إلى ملكيات خاصة يستحوذ عليها الكولون أو الأرستقراطيون الجزائريون، كما أن نسبة العمال الدائمين أو الموسمين (11,02%) هي الأخرى نتيجة لتحويل القروض الربوية ولجوء الفلاحين الجزائريين إلى الرهنيات، وعند عجزهم عن استرداد القروض ماديًا يتنازلون عن أراضيهم ويتحولون إلى عمال زراعيين كساحين، والغريب في الأمر فإن أصحاب المناصب الإدارية والموظفون بما فيهم القضاة والمعلمون ورجال الدين الرسميين مارسوا بحكم مناصبهم نشاط الرهنية أو اشتروا أراضي فلاحية في أماكن إقامتهم أو في دائرة ممارسة صلاحياتهم متذرعين بقانون 1897<sup>(1)</sup> إلى أن صدر قانون 15 جوان 1906 الذي ينص على منع مثل هذه الممارسات على الموظفين المحليين.

واقصر فيما يلي على ضرب أمثلة عن هذه الحالات بذكر نماذج من بلدية كاشرو المختلطة (دائرة معسكر).

❖ شراء نائب المتصرف الإداري لبلدية كاشرو المختلطة «جان بيار فالتان» (Jean-Pierre VALENTIN) لثلاثة قطع أرضية

<sup>(1)</sup> عبد الطيف بن شنو. تكون التختل في الجزائر، الجزائر: عروب، 1997.



زراعية تقدر مساحتها الإجمالية بتسع هكتارات من ثمانية أشخاص، يتمون إلى عائلات بو علي، بوشستوف، خليفسي، وثمان بمبلغ إجمالي قدره 400 فرنك<sup>(1)</sup>

م. شواء «بيار راوول» (Pierre RAOUL) مدير مدرسة ابتدائية بمركز البرج الاستيطاني (شمال معسكر) لقطعتي أرض زراعية بمساحة إجمالية قدر بـ 06 هكتارات في مكان يدعى البهاليل بمبلغ قدره فرنكا

من المدعو موجي عثمان ولد بن عطا ولد قدور فلاح بدوار الطمازنية<sup>(2)</sup>

م. شواء «ترومان جول» (TORDJMAN Jules) موظف إداري (محاسب)، لقطع أرضية زراعية مساحتها 05 هكتارات من المدعو عمارة حاج خلاف بدوار الحساسة التابع لبلدية سعيدة المختلطة بمبلغ قدره 3.000 فرنك<sup>(3)</sup>

م. شواء «بوس أوجين» (BOS Eugène) تاجر - لم يفصح العقد التوثيقي عن طبيعة التجارة التي يمارسها - أرضا فلاحية

(1) Etude de M<sup>r</sup> PARADIS Victor Notaire à Palikao (Oran), enregistré à Mascara le 03/01/1914 - F11 - C02 - 2V  
(2) Ibid, enregistré à Mascara le 06/02/1914 - F19 - C19 - V. 153 bis  
(3) Etude de M<sup>r</sup> PARADIS Victor Notaire à Palikao (Oran), enregistré à Mascara le 27/03/1914 - F61 - C07 - V. 153

تدعى قوير قوجيل بدوار البرج مساحتها 7,25 هكتار بمبلغ 1.000 فرنك من رفاص مينة بنت القايد غفي محمد ولد قدور ولد مصطفى<sup>(1)</sup>

مثل هذه التصرفات لا تدع مجالا للشك أن المستوطنين بجميع فئاتهم كانت تجول في خواطرهم وتجووس في صدورهم فكرة أن الاستعمار بالأرض هو القاعدة الحقيقية لتأمين المستقبل.

وللعلم فإن المستوطنين كثيرا ما استغلوا نفوذهم وسلطتهم لشراء الأراضي الفلاحية من الجزائريين بأسعار تنخفض بثلاث حتى أربع مرات عن سعرها الحقيقي، ولم يسددوا مبالغها التي كانت تصب في صناديق الإيداع إلا بعد ثماني سنوات<sup>(2)</sup>

ونتيجة للمصادرة والحجز، وتحرير عملية تسويق الأراضي، إضافة إلى الكوارث الطبيعية (الجفاف - الفيضانات - الجراد...) وتعدد الضرائب التي بلغت خمسة عشرة نوعا من الضريبة يؤديها الفلاح الجزائري لإدارة الاحتلال، انتهى الأمر بالجزائريين المرتبطة حياتهم بالأرض إلى التحول إلى أجراء وخماسين، حيث بلغت نسبة الأجراء العاملين في مزارع الكولون 42,2% من مجموع

(1) Ibid, enregistré à Mascara le 23/01/1914 - F11 - C08 - V.158

(2) Paul -Leroy BEAULIEU. Op cit, p 81

سكان الريف سنة 1905 لترتفع هذه النسبة إلى 45,7% سنة 1914 ثم إلى 46% في عام 1950<sup>(1)</sup>

وفي سنة 1930 كانت الملكيات العقارية تشغل 428.032 عاملا زراعيا منهم دائمون أي 71.340 عاملا زراعيا<sup>(2)</sup> بل الأمر أدى من ذلك، فقد تحول الكثير من الفلاحين

الجزائريين الذين فقدوا أراضيهم نتيجة الضرائب والرسوم التي أثقلت كاهلهم إلى التسول والتشرد وتعرضوا للهلاك، كما ظهرت طبقات جديدة في المجتمع الريفي ممثلة بشكل أخص في فئة شبه بروليتارية، وعمال زراعيين أجراء، وتغير هيكله يحسده طابع الثابتة الزراعية. وجود قطاع المعمرين المتوفر على أحدث التجهيزات وجميع وسائل الدعم والمساندة (الأراضي الخصبة، الفيضانات الجيدة، الوسائل التقنية، اليد العاملة الرخيصة) ويتعاطى إنتاجا رأسماليا موجه بشكل أساسي للتصدير الخارجي، وبجانبه قطاع فلاحي تقليدي يتكون من صغار الفلاحين، والفلاحين الفقراء المعدمين، وفئة قليلة من كبار الفلاحين الأغنياء<sup>(3)</sup>

(1) HAMID AIT AMARA, OP CIT, P 81  
(2) ADDI Lahouari, De L'Algérie près coloniale à l'Algérie coloniale, Alger, Éditions du Centre de Recherche et de Documentation sur l'Afrique, 1985, p 125

مختصر برزني والمجتمع الريفي من الاستقلالية إلى التبعية، معالم ودلالات  
السياسة العدد 17، عتق - تموز 1999، مجلد III، ص 17

وتشير بعض الإحصائيات المتوفرة أنه من بين مجموع السكان الذكور القادرين على العمل الفلاحي والبالغ عددهم 1.060.000 شخصا خلال عام 1955 يوجد 500.000 عامل موسمي، و100.000 عامل أجير في مزارع الكولون، أي حوالي 56,6% من الفئات البروليتارية وشبه البروليتارية، إلى جانب 210.000 مزارع صغير يعيشون بمصادر دخل خارج النشاط الفلاحي، في طريق التحول إلى صفوف البروليتاريا الزراعية، ويضاف إلى هذا العدد 2.000.000 عاطل عن العمل، مقابل 315.000 عاملا<sup>(1)</sup>

### هدم البنية الاجتماعية والاقتصادية للشعب الجزائري

كان الاقتصاد الجزائري قبيل الاحتلال الفرنسي يتركز أساسا على إزدواجية النشاط المتمثلة في ممارسة زراعة الحبوب وحرقة الرعي في إطار التنظيم القبلي المبني على أساس الملكية الجماعية للأرض ضمن مساحات أرضية واسعة.

وممارسة الإزدواجية في النشاط الزراعي (التكاملي) كانت أكثر من ضرورية لدى سكان الجبال والسهول في المناطق الشمالية - على حد سواء؛ أما سكان الهضاب العليا، فكانوا يمارسون النشاط الرعوي بشكل شبه مطلق.

(1) نفسه.



وتشير بعض الكتابات أن ثلثي (2/3) الجزائريين كانوا يمارسون حرفة الرعي كمصدر عيش لحياتهم.

قطعان الماشية ولاسيما الماعز، كانت توفر لهم الحليب الذي يشكل غذاءهم الرئيسي. أما الأغنام فكانت تمدهم بالصوف المحولة إلى ملابس ومنها البرنوس، ومن شعر الماعز وأصواف الأغنام كانت تسج الحيم التي تأويهم، ومن هنا نفهم قيمة الأغنام والماعز في حياة المجتمع الجزائري<sup>(1)</sup> إن العلاقة الترابية بين نمط الزراعة الواسعة للحبوب والشجاعة النسيبة للأراضي، وضرورة الاستراحة السنوية (Jachère)، والافتقار إلى المعدات الزراعية والنشاط الرعوي، والاستراحة المؤقتة، وشكل السكن وأخيرا عدم جواز التصرف بحرية في الأراضي الجماعية، تبين كلها وجود نظام جماعي يرتبط بهيئات لا معنى لها سوى داخل منهجية المنظمة الجماعية ومنطقها الجماعي<sup>(2)</sup>

ومعنى هذا أن القبيلة التي كانت تمثل الإطار الجماعي السياسي للشعب الجزائري وجدت توازنها ضمن هذه المنظومة يجمعها العامل الديني والأراضي الزراعية المشتركة وليس الروابط العائلية البيولوجية أي الانتماء إلى نفس الجسد، كما أنه لا ينبغي

<sup>(1)</sup> ADDI Lahouari- de L'Algérie précoloniale à L'Algérie Coloniale, Alger  
E.N.A.L., 1985, p19  
<sup>(2)</sup> Ibid

أن يفهم من ذلك أن الملكيات الخاصة لم يكن لها وجود، إن الاستعمار الفرنسي هو الذي نفى وجودها، وإلا من أين كانت المؤسسات الدينية والأوقاف تحصل على مواردها. ولا ريب في أن المستوى الاقتصادي والتقني، وكذا العامل الديني كان لهما دخل في ربط المجتمع الجزائري بالأرض-وسطا طبيعيا واقتصاديا- وبالقبيلة-وسطا اجتماعيا وسياسيا- وهو المر الذي دفع سلطات الاحتلال إلى البحث عن أحسن السبل التي تفك اللحمة التي تجمع بين الجزائريين، ومن هنا نجد أنها توجه ضغطها صوب المجتمع الريفي عن طريق سن قوانين عقارية تكسيها شرعية في انتزاع الأراضي الزراعية من أصحابها وتجريدتهم منها.

ومن ثم وجد المعمرون أنفسهم يمتلكون أخصب وأجود الأراضي الزراعية التي تحول ملاكوها الحقيقيون طوع تصرفات الكولون؛ وهكذا ساهمت هذه القوانين الجائرة في انهيار نظام القبائل، فكانت بمثابة الضربة القاصمة التي كسرت شوكتها وتحالفها، كما أنها لعبت دورا حاسما في تعطيل أو توقيف مسارا الحركات العصيانية للقبائل وتمرداتها ضد الاحتلال، فلم تعد للقبيلة وظيفتها السابقة، وبالتالي آلت عملية التنسيق بين الأشكال الثلاثة للعنف التي كانت المؤسسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر تسيير وفقها (عنف السلاح-عنف القوانين-عنف

الاقتصاد إلى إقرار المجتمع الجزائري وتفكيكه، وإن كان العنف العسكري يتصدر عتف القوانين، فكلاهما يعملان لخدمة الاقتصاد<sup>(1)</sup> (أي أن العسكري والمشرع كلاهما في خدمة الاقتصاد) فلولا عتف السلاح وعتف القوانين ما وجد حوالي 250.000 معمر أنفسهم خلال عام 1870 يخضعون لنظام اقتصادي رأسمالي محكم، يستفيدون من خدمات البنوك، ومن منحة التجارة (1852)، وخطوط السكك الحديدية والبريد، ويتمتعون لصالح السوق الفرنسية (اتحاد جمركي جزئي مع فرنسا في 1851)؛ ولما أصبح الاقتصاد الجزائري تحت النفوذ والخسارة التي يسببها عدم استقرار الأسعار في السوق، وتناقص الإنتاج.

تفكيك القبيلة تكون فرنسا قد حققت بعدا سياسيا عن طريق مدعا للطريق في وجه الطبقة القديمة المسيطرة -أي تحول سلطة الجماعة في النظر إلى المنازعات وتسويتها إلى سلطات الاحتلال- وبعدا اجتماعيا، إذ بزوال المصالح المشتركة (الأرض) التي كانت تجمع أفراد القبيلة زالت الروابط بين هذه الأخيرة وتفككت أراضيها، وتحول الملاكون للأراضي إلى عبيد وأقنان عند الملاكين الجدد<sup>(2)</sup> كما أنه في مقابل اضمحلال العائلات

الريفية الكبرى نشأت أرستقراطية محلية أدمجتها فرنسا في العلاقات السياسية بتحويل وجهتها نحو الدولة الاستعمارية، وتولد عن تعظيم الوحدة القبلية أو العشائرية حرمان السكان من المساعدات التي كانوا يتلقونها بجانب من أرصدة العشائر الاحتياطية للحبوب والبيذور في حالة حدوث مجاعات.

تفتيذا للقرار المشيخي (1863) أنشئ 656 دوارا في المقاطعات الجزائرية الثلاثة، وذلك على حساب تفكيك القبائل<sup>(1)</sup>، ومن الأمثلة على ذلك تفكيك قبيلة عكرمة الغرابة إلى 16 فصيلة (16 Fractions) بعدما كانت تجمعها من قبل ثلاثة أقسام كبرى (القواليز، القرارية، قريوسة)<sup>(2)</sup>، وقبيلة الفراق (دائرة معسكر-إقليم وهران) التي قسمت أراضيها بمقتضى المرسوم الإمبراطوري الصادر في 16 جوان 1866 إلى دواوين يجمع كل منهما ثلاثة فصائل<sup>(3)</sup> كما أن مساحة الأراضي الجماعية التي كانت بحوزة هذه القبيلة والمقدرة بـ

(1) M.P. de MENERVILLE op.cit.p 255.

(2) Ibid, p 248.

(3) دوار الفراق و يتكون من ثلاثة فصائل : الوغالية، الفراق العوالة، الفراق لبحار. تجمع 1.509 ساكنا و بحورها 78 هكتار أراضي جماعية، و 8533 هكتار أراضي ملك، و 04 هكتار مزارع، و 04 هكتار قطاع عام (أراضي تدولة).

-دوار عطة جلالة و يتألف من فصائل ثلاث : عطة جلالة، عوط شارب أربع، تجمع 876 نسمة و حدود أراضيها كما يلي : 988 هكتار أراضي جماعية، 2808 هكتار أراضي ملك، 05 هكتار مزارع

32 هكتار أقاليم عامة، مجموع 3.256 هكتار (Ibid pp 248-249)

(1) Abdellah LAROU, L'histoire du Maghreb T II Paris 1976, p 72  
(2) Jean Paul SARTRE, «Le colonialisme est un Système», in comité d'action des intellectuels contre la poursuite de la guerre en Afrique du nord, guerre d'Algérie et colonisation, Paris XIII 1956, p67



12356 هكتار وتضمن العيش لـ 2.385 ساكنا قسمت إلى ملكيات فردية على 948 شخصا.

وتتبعها للقبيلة تكون فرنسا قد حطمت البنية الاجتماعية للشعب الجزائري، وضربت وحدته.

فكل القوانين التي سنتها فرنسا ولاسيما تلك التي أصدرتها عقب الحوادث الكبرى التي هزت الجزائر (1830 - 1848 - 1865 - 1871 - 1873 - 1874 - 1881 - 1887 - 1890 - 1919 - 1945 - 1954) كانت ترمي بشكل مباشر إلى هدم البنية الاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري<sup>(1)</sup>، لأنها كرست عملية تزييق الروح الجماعية التي ألفها المجتمع الجزائري منذ آلاف السنين، والتي ازدادت تماسكا وترابطا بعد الفتح الإسلامي في إطار النظام العشائري القبائلي.

وعلى هذا الأساس شجب الشعب الجزائري جميع القوانين الرامية إلى فرنسة الأراضي وفي مقدمتها رفضه بالإجماع للقرار المشيخي (1863) الذي اعتبره أشد خطرا على الروابط العائلية.

وقد وجد الاستعمار الفرنسي في القرار المشيخي (1863) الذي أباح للجزائريين بيع ممتلكاتهم الأسلوب المنهجي لتفكيك

Abdelatif BENACHENHOU. Régimes des terres et structures agraires au maghreb édition populaire de l'armée. Aix 1979, p.55

العائلة الجزائرية المسلمة المحافظة، وأفقدتها شخصيتها، وضرب عاداتها وتقاليدها المستمدة من روح الدين الإسلامي ومن التراث الحضاري الجزائري العريق.

وعن الرفض القاطع لهذا القانون يكفينا استشهادا بالحركة الاحتجاجية التي قامت بها قبيلة أولاد رشاش من خنشلة إحدى قبائل الإقليم القسنطيني، حيث نادى مشايخها وأعيانها معربين عن أسفهم العميق واستيائهم الشديد لصدور هذا القانون لأنهم توقعوا مسبقا المخاطر التي ستجهم عنه وأكدوا بقوة عن موقفهم منه على لسان أحد مشايخهم بالقول « فلا الهزائم التي ألحقها بنا جيش الاحتلال الفرنسي في سهل سييخة حيث قتل صغار رجالنا، ولا الغرامات الحرية التي فرضتها فرنسا علينا تساوي شيئا في نظرنا - لأن الجراح تشفى وتعالج - مقارنة بإنشاء الملكية الفردية والسماح للأشخاص ببيع حقوقهم الحصرية ضمن الملكية الأرضية الجماعية؛ فهذا أمر غير مقبول لأنه يقضي على القبيلة ويزيلها... وأردف قائلا أنه بعد عشرين سنة من صدور هذا القرار لم يبق أثر لقبيلة أولاد رشاش»<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> Ibid, p 72

ولا ريب في أن نفس الاعتقاد كان يسود لدى جميع  
الأهالي الجزائريين.

ولست الغاية من هذه التكهّنات سوى إظهار معارضة  
الفلاحين الجزائريين الشديدة لتفكيك فرنسا للقبائل وتجريدها من  
أراضيها.

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار القرار المشيخي (1863)  
أخطر سلاح وجه لضرب البنية الاجتماعية للشعب الجزائري  
وأقوى أداة وضعت بين أيدي الكولون لأنه أفسح لهم المجال  
للحصول على المزيد من الأراضي والتي عن طريقها سيكسبون  
القوة والثروة والأمن والنجاح.

ولأسف الشديد فإن فرنسا تدعي أن ما قامت به من نزاع  
للملكيات الأرضية، ومن حجز ومصادرة لأجل المنفعة العامة،  
ومن مضاربة ربوية إنما هو عمل شرعي يدخل ضمن إطار  
«مطهرة فرنسا الأراضي».

بشعناصر أجنبية - دخيلة - في الجزائر

تطلب المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر تهجير قوة  
بشرية من داخل أوروبا وفرنسا إلى الجزائر وإتاحة الفرصة أمامها  
في الحصول على امتيازات تلتصقها بهذا البلد.

وقد سبق لنا أن تعرضنا للهجرة الأوروبية والفرنسية إلى  
الجزائر أبان الاحتلال الفرنسي، إلا أن الصورة عن هذه الهجرة  
لن تكتمل لدينا إلا بالحديث ولو عرضيا عن محاولات فرنسا  
الجادة لتأليف شعب جزائري موحد تنصهر فيه جميع هذه العناصر  
المهاجرة، إلا أن هذه المحاولات لم يكتب لها النجاح بسبب فقدان  
التعاطف والشعور الودي، وانعدام الثقة المتبادلة فيما بين الأهالي  
والأوروبيين من جهة، وفيما بين الفرنسيين والأجانب من جهة  
أخرى.

فمن هي إذن الطوائف الأوروبية والأجنبية التي كانت  
فرنسا تريد أن تجعل منها وحدة اجتماعية متجانسة؟ فإلى جانب  
الأهالي والفرنسيين استقدمت فرنسا العناصر التالية:

الإسبان: بمجرد أن احتلت فرنسا الجزائر هجرت إليها  
جموعا من الإسبان، لا سيما من مقاطعات مرسية (Murcie)  
والليكانت، وألميرية، وبلنسية، وقرطبة باتجاه المناطق الساحلية  
للجزائر.

استقر الإسبان سنة 1832 بضواحي الجزائر العاصمة حيث  
منحتهم إدارة الاحتلال قطعا أرضية حولوها إلى مزارع؛ وفي سنة  
1845 قُدِّر عدد الإسبان المهاجرين إلى الجزائر بـ 25.000



نسمة<sup>11</sup> يشتغلون كفحامين، ومزارعين للبقول ومصلحين للأرض، تلزمهم هي الخدمات الأولى التي قدمها المهاجرون الإسبان للكونلون في بداية الاحتلال.

إن الجهة الغربية من الوطن الجزائري بحكم قربها من إسبانيا وبحكم العلاقات اليومية التي كانت تربط الجزائريين بالإسبان، فإن هذه المنطقة استفادت بسرعة من هجرة الفلاحين الإسبان إليها -يد عاملة غير مكلفة وقنوعة-

وتوسع الاحتلال في الهضاب العليا بلغ الإسبان مناطق الحلقاء ليقدّموا خدماتهم لمستغليها، ومع ازدهار زراعة التبغ استأجر الإسبان أراضي زراعية وساهموا في تطوير هذه المادة في الجزائر.

وفي حين كان الرجال من الإسبان يقدمون خدماتهم كفلاحين في مزارع الكروم والبقول، فإن النساء الأسبانيات كنّ يشتغلن كخدم لدى الكولون الفرنسيين في المدن والأرياف.

وفي سنة 1876 بلغ عدد الإسبان المقيمين في الجزائر 92.510 نسمة، وفي سنة 1896 قفز هذا العدد إلى 160.000 نسمة، هذا دون إدخال عدد الوافدين مؤقتا إلى الجزائر خلال مواسم القطف<sup>(1)</sup>

وللعلم فإن ثلثي الإسبان المقيمين في الجزائر كانوا يستقرون بغرب البلاد، وفي بعض المدن كان عددهم يزيد على عدد المهاجرين الفرنسيين، كما أن عدد التلاميذ الإسبان في المؤسسات التعليمية كان يفوق عدد الفرنسيين، ففي سنة 1913-1914 بلغ عدد التلاميذ من أصل فرنسي في مدارس غرب البلاد 19.859 تلميذا مقابل 20.743 تلميذا من أصل إسباني<sup>(2)</sup>

وكثيرا ما اتنى الفرنسيون على الإسبان باعتبارهم من أجود العمال الزراعيين وأن لا مثيل لهم في استخدام المحراث والمجرفة والمعمول؛ ويرجع الكولون تطور الزراعة في الجهة الغربية من الوطن إلى الدور الذي لعبه المهاجرون الإسبان.

<sup>(1)</sup> M. RIVIERE et M. LECOQ, Op.cit. p 131

<sup>(2)</sup> Jean-Marie MIGNON, La colonisation Française et les Algériens musulmans dans le dépt d'Oran, de 1880 à 1914, Thèse: faculté des lettres et sciences humaines d'Aix-en-Provence 1969-1970, p 62

اليهود: لم يوفر اليهود قط عمالا في الخدمات الزراعية؛ وقلة قليلة منهم كانت تمتلك أراضي فلاحية، وتشغل في مزارعها عمالا جزائريين<sup>(1)</sup>

الإيطاليون: قرب إيطاليا من السواحل الشرقية للجزائر، وجه الهجرة الإيطالية إلى هذه الجهة من البلاد؛ ففي سنة 1856 بلغ عدد الإيطاليين المهاجرين إلى الجزائر 9.472 نسمة، وفي سنة

1896 ارتفع هذا العدد إلى 35.268 نسمة معظمهم من سردينيا، واليدمونت، وصفقيا، وضواحي نابولي، إلا أن هؤلاء الأواخر كانوا صيادين أكثر منهم فلاحين.

إن الإيطاليين كانوا أكثر تاججا للعمل إلا أنهم لم يحضوا بنس الكفاية التي كان يتمتع بها الإسبان لدى الكولون لكون هؤلاء الأواخر يحسنون العمل الزراعي ويبرعون فيه مقارنة مع الإيطاليين الذين كانوا بطلبون بأجور أعلا؛ ومع أنهم كانوا جميعا يتقشرون في عيشهم إلا أن الإيطاليين كانوا ولودين وكثيري الإلحاح مما وفر للكولون يدا عاملة.

من ملاحظات اليهودية التي تشتهر بامتلاكها للأراضي الفلاحية في منطقة مسكر تكثر من سعوت، ويهودا ومنحليم اللذان كانت لهما أراضي زراعية في كلوا، المراجع الأرثوذكسي التاريخي لمجلس قضاء مسكر.

التونسيون والمغاربة: هجر التونسيون والمغاربة إلى الجزائر عبر حدودها الشرقية والغربية، وكان عددهم قليلا بامتناء مواسم القطف والجني التي كان العدد فيها يتزايد.

وقد وصف الفرنسيون العرب التونسيين بقلّة النشاط الزراعي مقارنة بالمغاربة، إلا أنهم يقولون أن كلا منهما يحتاج إلى الرقابة وأداء العمل تحت القوة والعنف، أما عددهم فقد بلغ 21.424 نسمة سنة 1901<sup>(1)</sup>

وكثيرا ما أدت زيادة المهاجرين المغاربة إلى الجزائر للعمل في مزارع الكولون إلى استياء الجزائريين وإثارتهم لأعمال شغب ضد المغاربة الذين كان المعمرون يمنحون لهم الفرص للعمل في حقولهم على حساب العمال الجزائريين.

واستنادا إلى وثائق رسمية فإن مشادات كانت تقع من حين لآخر بين الأهالي الجزائريين والمهاجرين المغاربة لأجل العمل في مزارع الكولون، حيث أشار أحد التقارير «أنه على الساعة الخامسة من مساء يوم 28 أوت 1937، بينما كانت مجموعة تتألف من ثلاثين مهاجر مغربي تقف بالسياحة العمومية لواد برقش (Gaston Doumergue) تنتظر التشغيل لدى الكولون في

<sup>(1)</sup> Jean-Marie MIGNON. Op.cit, p 69



حقول الكروم، هاجمهم عشرة من الأهالي الجزائريين رشفاً بالحجارة فاصابوا ثلاثة منهم بجروح، وهو الأمر الذي استدعى تدخل الحارس البلدي وفرقة الدرك لعوب الليل (Aoubellil) قصد تهدئة الأوضاع، كما تدخلت أيضاً فرقة الدرك لحمام بوججر لتفح تحقيق صباح يوم 30 أوت 1937، وخلصت إلى أن أعمال الشغب كان الهدف منها منع العمال المغاربة من العمل في حقول المعمرين لتسح المجال للعمال الجزائريين، وبهذه الطريقة اضطروا الكولون إلى التخلي عن اليد العاملة المغربية وتشغيل يد عاملة جزائرية<sup>(1)</sup>

المالطيون: كان المالطيون من المهاجرين الأوائل الذين خطوا بالجزائر وقد عدد المقيمين منهم في الجزائر العاصمة وقسنطينة بـ 213 نسمة سنة 1833 إلا أن عدد المشتغلين منهم في الزراعة كان قليلا جدا، لأنهم يفضلون التجارة والخدمات العامة (المقاهي- المطاعم- رجال الأعمال...) <sup>(2)</sup>

البروسيون: مع نهاية سنة 1830 وبداية 1831 أقبلت سفينة من ميناء الحافز باتجاه العالم الجديد وعلى متنها أكثر من 700

مهاجر أغلبهم من إقليم رينانيا و بافاريا و ووتمبرغ ومن بينهم أيضا مهاجرون من سويسرا والأناضول وهم في طريقهم إلى البرازيل توقفوا بدانكارك، وتحت تأثير الدعاية الفرنسية الماهرة قبل هؤلاء التحول إلى الجزائر التي تلقوا فيها وعودا بالحصول على أراضي زراعية خصبة إثر حلولهم بها، فكانت أولى منازلهم في الجزائر دالي إبراهيم والقبه، إلا أنهم لم يتمكنوا من الاستقرار بهما، فحوّلوا إلى غرب الجزائر ليثبتوا في المراكز الاستيطانية لوادى التاغية قرب معسكر، و جورج كليمنتصو (ستيديا حاليا)، و سانت ليوني (المقهوم حاليا)<sup>(1)</sup>؛ وفيما بين 1849-1850 تمكن رجال «باد» (Bade) و «بالاتينا» (Palatinat) الواقعتان في إقليم رينانيا الفارين من بروسيا من الاستقرار بمركزتي «دوبليوني» (حسين) و «ديتري» (سيدي لحسن)<sup>(2)</sup>؛ وللعلم فإن الألمان استفادوا من الجنسية الفرنسية، وقد بلغ عددهم 6.950 نسمة سنة 1904<sup>(3)</sup>، إلا أن المهاجرين البروسيين الذين كانوا من أجود الفلاحين ظل عدد يتناقص حتى آل بهم الأمر إلى الاختفاء.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M.G.G.A. Carton 1M/9 et 2M/30 (création de centres de colonisation)

<sup>(2)</sup> Pierre GOINARD, Op.Cit, P 98

<sup>(3)</sup> DEMONTES Victor, le peuple Algérien: essai de démographie Algérienne, Alger 1906, p 340

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. carton 9H/41 (l'administrateur de la C.M d'Aln Temouchent à M<sup>re</sup> le préfet d'Oran

<sup>(2)</sup> Pierre GOINARD, L'Algérie: L'œuvre Française, Paris 1984, p 98

وبهذا الشكل أصبحت الجزائر أرضا للمواطنة العالمية بحيث  
استقرت فيها فئات من مختلف الجنسيات منهم إنجليز، هولنديون،  
بلجيكيون، بولونيون وكذلك يونان وسوريون، وسويسريون  
والألمان وهندوس<sup>(1)</sup>

وفي سنة 1886 سجلت الهجرة الأوروبية إلى الجزائر  
الأرقام التالية:

- الفرنسيون: 220.000 نسمة

- الأجانب: 217.000 نسمة من بينهم 142.000 أسباني،  
44.133 إيطالي، 15.313 مالطي، وحوالي 15.000 من مختلف  
البلدان الأوروبية (ألمانيا، سويسرا، بلجيكا، اليونان، بواندا،  
بريطانيا...).

- اليهود: 43.000 نسمة<sup>(2)</sup>

وتغيرت الجهة الغربية من الجزائر بالتواجد الأوروبي  
الكثيف خلافا للجهات الأخرى حيث كان العنصر الإسباني  
يهيمن على العنصر الفرنسي بـ 102.453 نسمة مقابل 78.880،  
وفي حين كان عدد الإسبان يفوق عدد الفرنسيين بثلاث مرات في

وهران وسيدي بلعباس، ومغنين في المحمدية (Perregaux)، ويأربع  
مرات في كل من سيق وبني صاف وبوسفر، فإن الفرنسيين كانوا  
يشكلون غالبية في كل من تلمسان ومستغانم ومعسكر<sup>(3)</sup>

أما الإيطاليون فقد تركزوا في الجهة الشرقية من الجزائر،  
كما أنه من ضمن هؤلاء المهاجرين وجد إيرلنديون، كما كان  
هناك مشروع لتوطين صينيين في الجزائر<sup>(2)</sup>

ولترجيح العنصر الأوروبي أصدرت إدارة الاحتلال  
الفرنسي قانونا في 26 جوان 1899 يمنح للمولودين الأجانب في  
الجزائر الجنسية الفرنسية شريطة أن يكون أبائهم يقيمون في الجزائر،  
وقد قدر عدد الذين اختاروا التجنس بعد صدور هذا القانون  
بـ 170.000 شخص، وفيما بين 1906-1911 تزايد عدد  
الأوروبيين في الجزائر بـ 100.000 نسمة، وفيما بين 1911-1921 لم  
يتجاوز نموهم 30.000 نسمة بسبب قلة الإنجاب.

وفي سنة 1926 كان أوروبي واحد يعيش في الريف مقابل  
ثلاثة بالمدينة، وفي سنة 1934 أصبح الأوروبي الواحد في الريف  
يقابله خمسة أوروبيين بالمدينة<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> Ibid

<sup>(2)</sup> C. A. E. M. G. G. A. carton F 86/1894. (charte-partie conclue a cork pour le  
transport d' congrats Irlandais en Algerie, 13/10/1863, (projet d'  
immigration chinoise)

<sup>(3)</sup> Pierre GOINARD, op. cit, p. 320

<sup>(2)</sup> Pierre GOINARD, op. cit, p. 98

<sup>(3)</sup> Pierre GOINARD, op. cit, p. 318



وتعزى هجرة الكولون من الريف إلى المدينة خلال هذه الفترة (1926-1954) إلى تطور وسائل النقل ووفرته لديهم.

لكن هؤلاء المهاجرين نوا بسرعة الظروف القاسية التي حالتهم إلى الهجرة من بلدهم إلى الجزائر، فلم يتعاطفوا مع الأهالي ولم يشفقوا عليهم ولم يتعاملوا معهم بإنصاف؛ جاءوا من جهات هي أشد فقرا في أوروبا كالمناطق الحدودية ذات الكثافة السكانية المرتفعة مثل إقليمي القوق *Vosges* والألزاس (124 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد) والموزال (483 ن/كلم<sup>2</sup>) والمارت (52,3 ن/كلم<sup>2</sup>)، وذات الزيادة المطردة للسكان، ومنها على سبيل المثال إقليم الألزاس الذي كان يجمع 800.000 نسمة في عام 1814، ارتفع عدد سكانه إلى 914.000 نسمة عام 1830، ثم إلى 1.067.000 نسمة عام 1846<sup>(2)</sup> والمناطق التي عجزت فيها المؤسسات الزراعية والصناعية عن استيعاب الفائض السكاني (أزمة عمل)، وشهدت فيها بعض السنوات كوارث طبيعية أنت على المحصول الزراعي كما هو الحال مع المناطق الشمالية لفرنسا التي قل فيها الإنتاج الفلاحي فيما بين 1828-1854، ومناطق الراين التي غمرتها الفيضانات عام 1852، أو تلك التي هبت عليها

(1) Pierre GOINARD, op. cit. p. 320

(2) Fabienne FISCHER, Alsaciens et Lorrains en Algérie (histoire d'une migration 1830-1914), Nice 1999, p. 66

موجات البرد القارس عام 1853 واجتاحت القتران والجراند أراضها حيث أنت العواصف على 90.000 هكتولتر من القمح في إقليم كولار بالراين الأعلى؛ أو التي سادها الجفاف في 1859.

كما أن المناطق التي خرج منها أهلها طلبا للهجرة إلى الجزائر هي التي شهدت مصانع النسيج فيها تقليصا في عدد العمال وانخفاض في الأجور بسبب فائض الإنتاج، وفيها تقلصت الحيازات الأرضية لحوالي 7,50٪ من الفلاحين بسبب الإرث، أو تلك التي تأثرت بالقانون الغالي (1827) الذي حرم السكان من الانتفاع من الخدمات الغاية إلى حد منعهم من جمع الأوراق اليابسة التي تساقط من الأشجار<sup>(1)</sup>، أو تلك التي وقعت تحت الاحتلال الألماني عام 1870.

وعن هجرة الأوروبيين والفرنسيين إلى الجزائر واستيطانهم بها يكفينا شاهدا على ذلك مثال الألزاس واللوري اللذان اثبت المهاجرون منهما في كل جهات الوطن الجزائري، كما

توضحه الخريطة -المرفقة في الملاحق-، وبطبيعة الحال إلى جانبهم وجد مهاجرون جاءوا من مختلف أصقاع فرنسا وأوروبا.

ومن الأمور المدهشة أن المهاجرين إلى الجزائر من فقراء فرنسا وأوروبا قد تناسوا بسرعة بؤسهم؛ فبعد أن عززوا مراكز قواعم في الجزائر وتسلموا مقاليد الأمور الحساسة أصبحوا لا يعبئون بحقوق الجزائريين؛ فاستخفوا بهم وتجاهلواهم، وقاموا بممارسات وتجاوزات ضدهم لم تكن أبداً في مستوى ادعاءات فرنسا للحضارة، وفرنسا موطن حقوق الإنسان.

وعلى هذا الأسس لا يمكننا أن نستغرب أن تؤدي تصرفات المهاجرين الأوروبيين - الضالة - إلى حدوث ردود فعل من الشعب الجزائري.

وقد استطاع الكاتب الفرنسي «الفبيكونت دو كسي دي سانت أيمور» (Le Vicomte de Caix de St Aymour) من خلال مقال له أن يضع بين أيدينا شاهداً حياً للظلم الذي كان يعانيه الأهالي من قبل الكولون، حيث يقول «ظل الأوروبيون يتظرون إلى الأهالي نظرة احتقار ويعتبرونهم سلالة بشرية لا تصلح إلا للاستغلال، ويؤكد أن الشتايم والمعاملات الفرنسية المهينة للمجتمع الجزائري قد أثارت العداوة والبغضاء بين الفتيين وآلت إلى نتائج خطيرة في العلاقة بينهما...» ويضيف قائلاً «أن المواطنين الذين كان عليهم حماية مصالح الجميع بعدل وإنصاف نسوا واجبهم فاستبدوا بمناصبهم وتعسفوا» وذهب إلى حد وصف

الموظف الفرنسي بـ «مرزيبان» (Satrape) وهي تسمية كانت تطلق - قديماً - على حكام بلاد فارس المستبدين، ويكشف في مقاله عن شعور الموظفين الفرنسيين بالتفوق وبالفوق، وترجيحهم بفكرة العنف، إذ كانوا لا يرون فائدة ترجى من الأهالي سوى الضرائب وأعمال السخرة، وقد باركت العدالة ورجال السياسة تصرفاتهم<sup>(1)</sup>

يستشف من كلامه أن موظفي الدولة من المهاجرين الأوروبيين وأبنائهم من بعدهم كانوا يستفيدون من وقوع الظلم على الأهالي، ولا سيما الفلاحون الذين عانوا من عنف الاستعمار ما لم يعانیه غيرهم، وأن مباركة العدالة ورجال السياسة للظلم إشارة إلى انعدام أدنى المثل الإنسانية والأخلاقية.

### اختلال التوازن السكاني

بحث الفلاحون الجزائريون عن حل للآزمة الفلاحية التي حلت بهم في الهجرة إلى المدن المجاورة لهم أو إلى الخارج، وبوجه أخص إلى فرنسا.

ففيما بين 1920-1930 بلغ عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا وحدها 40.000 مهاجر، وفي عام 1947 وصل عددهم إلى

<sup>(1)</sup> Le Vicomte de Caix de Saint-Aymour. «Français-Espagnols, indigènes et Italiens», in Historia spécial, juin 1987, n° 486 H.S. Paris 1987, p p 98 - 99.



66.000 ليتقل هذا الرقم إلى 194.500 مهاجر عام 1954<sup>(1)</sup> وحتى غاية 30 سبتمبر 1961 قدر عدد المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا بـ 400.000 شخص من بينهم 24.000 امرأة، و 80.000 طفل، أما عدد العاملين فقدر به 250.000 موزعين على مختلف القطاعات الاقتصادية<sup>(2)</sup>

ويقل الهجرة من الريف إلى المدينة انتقلت نسبة سكان المدن من 28 ٪ من مجموع سكان الجزائر سنة 1878 إلى 44,6 ٪ سنة 1936، فمدينة الجزائر العاصمة لوحدها بلغ عدد النازحين إليها إلى ما لا يقل عن 80.000 نسمة عام 1954 يسكنون في 120 حي قصديري في ظروف مأسوية مهمشين وضحايا للانشطار بين الريف والمدينة<sup>(3)</sup>

وفي حين استقر جزء من سكان الريف الجزائري في القرى والبوادي، وتكدس جزء ثان حول المدن، فإن الجزء الثالث سلك طريق الهجرة إلى الخارج.

(1) Hamud AIT AMAR, op. cit, p 35  
(2) François PERROUX, L'Algérie de demain, Paris: P.U.F. 1962, p 16  
(3) Benjamin STORA, Histoire de L'Algérie Coloniale, Alger: ENAL 1994, p 49

وابتداء من سنة 1915 برزت الهجرة إلى فرنسا كظاهرة خاصة بسبب إشراك الجزائريين كمتطوعين وجنود في الحرب العالمية الأولى.

واستنادا إلى المجلة الفرنسية «لا فريك فرانساز» الصادرة عام 1919 فإن المعطيات الإحصائية لمشاركة الجزائريين في الحرب كانت كالتالي:

- الجنود: 177.000
- العمال: 75.000
- القتلى: 56.000
- الجرحى: 82.000
- المجموع: 390.000<sup>(1)</sup>

أما فرحات عباس في كتابه كليل الاستعمار فقد ذهب إلى القول أن عدد الفلاحين الجزائريين الذين عبروا البحر الأبيض

(1) سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، 1930-1900، ج 2، ط 03 الجزائر: ط. بونند  
1983، ص 209

المتوسط خلال سنوات الحرب الأربعة قد بلغ نصف المليون، وأن البعض منهم كان مجندين بينما عيى الباقية للعمل في المصانع<sup>(1)</sup>.

ونج عن تجنيد الجزائريين مجاعات حادة لا سيما في سنة 1917 حيث تضررت عائلات المجندين الذين لم تصلهم المنح، يضاف إلى ذلك الجفاف الذي أصاب البلاد خلال هذه السنة، وهو الأمر الذي أدى إلى هجرات متتالية من الأرياف باتجاه المدن والقرى.

وتذكر بعض الكتابات أن أكثر من ثلث سكان الجزائر الذكور كانوا يستخدمون عام 1918 بفرنسا، بما يعادل 2,7 / من مجموع الأهالي<sup>(2)</sup>.

وقد يتعجب المرء لهذا العدد الهائل من الجزائريين المشارك في الحرب. ففي حين سلك البعض من الجزائريين طريق التجنيد تلقيا من الحالة الاقتصادية النعسة، فإن البعض الآخر من أبناء النخبة تجند في صفوف فرنسا إيمانا منه بأن مشاركته في الحرب ضد ألمانيا النازية تدخل ضمن إطار الدفاع عن الحرية

<sup>(1)</sup> Ferhat ABBAS. La nuit coloniale, Paris: René Julliard, 1962, p 13

<sup>(2)</sup> فنزل روبرت ليجون، تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830-1976، ترجمة عيسى صفور، الجزائر، دول المطبوعات الجامعية، 1982، ص 116.

والديمقراطية، أما فئة ثالثة من أبناء الشعب الجزائري فقد فضلت الاعتصام بالجبال بدل التطوع أو التجنيد في الجيش الفرنسي، وهذا ما يفسر الأحداث التي وقعت في بركة والأوراس حيث لم يلتحق من المدعويين سوى 25 متطوعا من ضمن 250 مدعو، أما بمعسكر فقد تظاهر سكان قرية سيدي دحو بشوارع المدينة يوم 05 أكتوبر 1914 بعد أن أوعز الآباء لأبنائهم بعدم التجنيد<sup>(1)</sup>، كما اغتتم سكان قسنطينة فرصة الحرب فطالبوا في ديسمبر 1914 باسترجاع أراضيهم المصادرة في عام 1871.

ولم يكن التزوح الريفي، والهجرة إلى الخارج أو المجاعات القاتلة التي أودت بحياة الآلاف من الجزائريين هي وحدها التي أخلت بالتوازن السكاني للمجتمع الجزائري، فإلى جانبها كانت هناك جرائم القتل الجماعي العمدي في حق الجزائريين.

ونظرا لطول سلسلة عمليات الإبادة الجماعية للسكان الجزائريين-والتي كان لها بالغ التأثير على التوازن السكاني- نكتفي بذكر نماذج منها:

<sup>(1)</sup> يرجع إلى: عالم محمد. «انتفاضة معسكر أو دينامية الضلال الشعبي في مطلع القرن العشرين» مجلة التاريخ، للنصف الأول من سنة 1986، رقم 21، الجزائر 1986، ص 89-114



• معركة مغارات أولاد رياح التي قام بها الكولونيل بيليسي في سنة 1845 بدعم من سيدي العربي، والتي أنت النيران فيها على أكثر من 500 ضحية ما بين رجال ونساء وأطفال<sup>(1)</sup>

• مجازر شهر ماي 1945 التي راح ضحيتها 45.000 شهيد، وهي التي تحدث فيها «تقرير توبر» (Rapport Tubert) فقط عن القتلى من الجانب الأوروبي، بينما أعلن الجنرال «ديفال» (Duval) أن حصيلة القتلى الجزائريين كانت ما بين 500 إلى 600 ضحية. وفي حين تحدثت سلطات الاحتلال الفرنسي عن 1500 ضحية مسلمة، فإن الأمريكان راحوا إلى القول أن عدد الضحايا بلغ 35.000، بل و 80.000 بناء على ما صرح به الدكتور بن جلول في الجمعية الوطنية الاستشارية يوم 28 فبراير 1946، أما المناضلون الجزائريون فيحصون العدد بـ 45.000<sup>(2)</sup> ضحية كما ذكر أعلاه.

• أعمال القتل والإبادة التي أودت بحياة مليون ونصف مليون شهيد خلال مرحلة ثورة أول نوفمبر 1954، وهو الرقم الذي صرحت به الحكومة الجزائرية بعد استرجاع الجزائر استقلالها في 1962 - كذبه الفرنسيون بنشرهم لأرقام لا يتعدى

<sup>(1)</sup> Yacono XAVIER- la colonisation des plaines du chélif, TL, Alger 1975, p 231  
ينظر أيضا مصطفى الشرف، المرجع السابق، ص 113.

<sup>(2)</sup> Mahfoud KADDACHE, Histoire du nationalisme Algérien 1919-1954, Tome 2, Alger : S.N.E.D, 1980, P 718

فيها القتلى الذين سقطوا على يد عساكر الاحتلال الفرنسي 374.000 ضحية، و 219.000 مواطن جزائري قتلوا على يد جبهة وجيش التحرير الوطني<sup>(1)</sup>

ويقول مصطفى الأشرف «لنا أدلة قوية على أن حرب الإبادة بنتائجها المباشرة وغير المباشرة قد أدت بين 1830-1870 إلى هلاك عدة ملايين من السكان»<sup>(2)</sup>

ومهما يكن من أمر فلا أحد يمكنه أن يدرك العدد الحقيقي لضحايا الجرائم التي ارتكبتها الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وهجرة الأوروبيين إلى الجزائر هي الأخرى كان لها دور في الإخلال بالتوازن السكاني داخل الحضائر الجزائرية الكبرى. ففي سنة 1950 مثل عدد السكان الأوروبيين بالجزائر العاصمة 60٪ من مجموع سكانها، أما مدينة وهران التي بلغ عدد سكانها في نفس السنة 256.661 نسمة فقد كانت هي المدينة الأولى التي يتجاوز عدد الأوروبيين فيها عدد الجزائريين؛ أما الإسبانيون لوحدهم

<sup>(1)</sup> François-Porteu DE LA MORANDIERE, Soldats du Djebel, Paris (S.D) p 374

<sup>(2)</sup> مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 22

فكانوا يمثلون 65٪ من مجموع سكانها سنة 1931 من بينهم 41٪ متجنسون بالجنسية الفرنسية

إلا أنه على الرغم من عمليات الإبادة والنزوح الريفي المتزايد، فإن نسبة السكان بالأرياف ظلت مرتفعة: 81٪ يسكنون الأرياف مقابل 19٪ من الجزائريين يسكنون المدن.

وحتى سكان الأكواخ والأحياء القصديرية المحيطة بالمدين الكبرى هم أصلا من أبناء الريف الذين ضاعت منهم أراضيهم الفلاحية، أما خلال حرب التحرير (1954-1962) فقد نزح نحو المدن حوالي 731.000 نسمة.

تحول المراكز الاستيطانية إلى بلديات كاملة  
الصلاحيات

بعد أيام من سقوط الجزائر في يد قوات الاحتلال الفرنسية أنشأ المارشال دي بورمون لجنة تتكون من جزائريين وموريسكيين ويهود يرأسها أحمد بوضرة تحمل اسم المجلس البلدي، إلا أنه لم يصدر أي قرار يحدد صلاحياتها.

أسندت لهذه اللجنة -المجلس البلدي- مهام الإعداد للحاجيات الأكثر استعجالا، ومنح لها حق التصرف في ناتج الضريبة، واحتكار بيع الملح لمواجهة النفقات التي تحتاجها المدينة.

وفي 09 يناير 1831 صدر قرار ينص على تشكيل مجلس بلدي أهلي (Conseil municipal indigène) يتشكل من سبعة أعضاء مسلمين وعضوين يهوديين<sup>(1)</sup> إلا أن هذا المجلس الذي نشأ في ظروف خاصة تسودها الفوضى والاضطرابات لم يكن سوى مؤقتا، أنهيت مهامه بعد أن عين ملك فرنسا لجنة تتولى وظيفة ضابط الحالة المدنية تعويضا للمجلس البلدي الأهلي، وأمر باقتطاع أرصدة مالية من ميزانية الدولة تخصص لتسيير شؤون المدينة.

وفي سبتمبر 1834 قامت فرنسا بأول محاولة لها لإرساء قواعد إدارة بلدية في الجزائر، فأنشأت مجالس بلدية في كل من الجزائر العاصمة وغنابة ووهران وضبطت مداخيلها ونفقاتها، إلا أن السلطة الفعلية للبلديات أسندت بالكامل لمراقب مالي. وفي 02 أوت 1836 صدر قرار ينص على إدراج مداخيل بلديات الجزائر ونفقاتها ضمن الميزانية الاستعمارية (Budget colonial).

<sup>(1)</sup> M.P. DE MENERVILLE, op. cit, p 200



مرت إحدى عشرة سنة من دون أن يطرأ تغيير على التنظيم الإداري للبلديات، وفي عام 1848 بدأ النظام البلدي يشهد تطورا، حيث نشأت في 31 يناير 1848 ست بلديات كاملة الصلاحيات<sup>(1)</sup>، وفي 16 أوت 1848 أصدر الجنرال «كافيناك» (CAVAGNAC) ونسب السلطة التنفيذية قرارا ينص على إنشاء بلديات كاملة الصلاحيات في الأقاليم الجزائرية.

وتطبيقا للقانون الفرنسي الصادر في 07 أبريل 1884 تحصلت البلديات كاملة الصلاحيات في الجزائر على الاستقلال الذاتي في إدارة شؤونها المالية، شأنها شأن البلديات في الوطن الأم - فرنسا، ونظرا لقلّة مداخلها توسعت هذه البلديات على حساب أراضي الفلاحين الجزائريين المجاورة لها، واستفادت من الضرائب العربية المفروضة على الجزائريين الذين لم تقدم لهم خدمة تذكر مقابل الأداء الضريبي، كما لم تمنح لهم فرصة لاختيار من يتوب عنهم في المجالس البلدية المنتخبة التي لم يتعد فيها عدد مثليهم في جميع الحالات ستة نواب تعينهم إدارة الاحتلال، ويخرمون من حق الترشح كرؤساء للبلديات.

<sup>(1)</sup> بلديات كاملة الصلاحيات هي جماعات محلية تتمتع بالشخصية القانونية والمالية والتمويلية، وتتمتع بمجالس ومناطق بلدية منتخبة من قبل السكان، إلا أن هذا الطراز من البلديات وجد فقط في المناطق ذات الغالبية الأوروبية. وقد منحت هذه البلديات الأوروبية من فرض توليهم فيما بين 1870-1919.

وبناء على قرار صدر في 20 ماي 1868، ومرسوم 07 أبريل 1884، ثم مرسوم 06 فبراير 1919 الذي ينص في أحكامه على إسناد مسؤولية رئاسة البلديات كاملة الصلاحيات إلى معمرين فرنسيين، ووضع نائب خاص على رأس كل مركز استيطاني يكون فرنسيا، يتولى مهام ضابط الحالة المدنية، وضابط الشرطة القضائية في آن واحد، ويتكلف بضمان تنفيذ القوانين والتنظيمات، فإن جميع رؤساء ونواب البلديات كاملة الصلاحيات كانوا من أصل فرنسي، ولم يوجد من بينهم مطلقا ولا جزائري واحد، وحتى البلديات المختلطة كان يوجد على رأس كل منها نائب خاص من أصل فرنسي كما تدل على ذلك الوثائق الرسمية لحكومة الاحتلال الخاصة بالقوائم الاسمية لرؤساء ونواب البلديات كاملة الصلاحيات، ويكفي في هذا الإطار الاستشهاد بنموذج عمالة وهران خلال عام 1919، حيث كان أوروبي على رأس كل واحدة من البلديات التسعين الكاملة الصلاحيات التي تتواجد على مستوى الدوائر الخمسة المؤلفة للعمالة (وهران: 40 بلدية كاملة الصلاحيات، سيدي بلعباس: 16 بلدية كاملة الصلاحيات، مستغانم: 20 بلدية كاملة الصلاحيات، سيدي بلعباس: 16 بلدية كاملة الصلاحيات، مستغانم: 20 بلدية كاملة

الصلاحيات، معسكر: 07 بلديات كاملة الصلاحيات، تلمسان: 07  
بلديات كاملة الصلاحيات<sup>(1)</sup>

وللعلم فقد ظل الأوروبيون يستأثرون بمنصب رئيس البلدية  
كاملة الصلاحيات منذ نشأتها إلى غاية 1962، ونستدل على ذلك  
بنموذج بلدية معسكر التي نشأت في 17 جوان 1852 وتداول على  
رئاستها فيما بين 1852-1962 عشرة رؤساء بلدية هم على  
التوالي:

• م. لافاي (M. Lafaye) : (1854-1852)

• بيريز  
فرينريك (Perez Frédéric) : (1882-1870)

• إيزيدور  
كباسو (Isidor Cabassot)

• لويس مارتن (Louis Martin) : (1934-1917)

• كاميل دالي (Camille Dallée)

• جيميلوت (gimbert)

• باسكال (Pascal)

• موزيلي (Muselli)

(1940-1934) (1942-)

(1946)

<sup>(1)</sup> Préfecture d'Oran- Recueil des actes administratifs, année 1919, (maires et adjoints des communes de plein exercice: Etat des communes du département d'Oran. p p 35 - 39.

• كرو (Cros) : (1942-1940)

• فرناند مالي (Fernard malé) : (1962-1946)

• انتوان الونسو (Antoine Alonso) : (1962)

أما المجلس البلدي فلن يتعدى فيه عدد النواب الجزائريين في  
البلديات الناشئة ستة أعضاء، وإليك فيما يلي التشكيلة البشرية  
لمجلس بلدية معسكر كاملة الصلاحيات لسنة 1954 - كنموذج -

• مالي فرناند (malé Fernard) : رئيس البلدية

• دالي روني (Dallée René) : نائب

• زميرو جول (Zmiro Jules) : نائب

• طاهر أحمد (Tahar Ahmed) : نائب

• قلووي (Gluais Henri) : نائب

هنري

• بيداي فرناند :

نائب خاص مدان

فترتي (خاصية) (Pedaille Fernand)

حاليا نائب خاص

بسن عيوني

(العمومية حاليا)

• فورنيل روني (Fournil René) :



- شني عثمان : (Chenini Othmane) نائب
- كارثيران : (Carteran Fernand) نائب
- فرناند

- سالب : (Selbe Marcel) نائب
- مارسيل
- مولاسردون : (Moulasserdon Mokhtar) نائب
- مختار
- الويس : (Elouissi Tayeb) نائب (1)
- الطيب

وقد وجد المعمرون في هذه المجالس البلدية ما يكفل لهم السيطرة ويصون مصالحهم ويرجع الكفة لصالحهم، وهكذا أصبح الجزائريون تحت رحمتهم.

وكثيرا ما كانت المراكز الاستيطانية التابعة للبلديات المختلطة تتحول إلى بلديات كاملة الصلاحيات، وذلك في حالة توفرها على الشروط المطلوبة كالمرافق الإدارية اللازمة للبلدية، والعدد الكافي من السكان الأوروبيين بما يسمح بإنشاء مجلس

(1) Louis ABADI, Gilbert LEVERONE, Maocara de ma jeunesse, Barcelone, 2000, p. 31

بلدي، والمصادر المالية الكافية لتسيير المصالح البلدية الضرورية، كما كان التركيز في هذه الشروط على ضرورة وفرة الأمن للمستوطنين الأوروبيين.

وفي واقع الأمر كان لا يشرع في بناء مركز استيطاني إلا بعد التأكد من أن الأهالي الجزائريين لا يكونون عداء للمستوطنين في المنطقة التي تقرر إنشاء مركز استيطاني جديد بها، أخرى تحويله إلى بلدية كاملة الصلاحيات.

وأثناء تفحص الملفات الخاصة بإنشاء المراكز الاستيطانية لاحظنا أن كل المراسلات بين رؤساء المكاتب العربية والسلطات الوصية كانت تتضمن فقرة عنوانها الأمن (Sécurité) تحتوي معلومات عن التصرفات والسلوكات العدائية للسكان تجاه الاحتلال، وعلاقاتهم بالمقاومة الشعبية وموقفهم منها، ومن العبارات المقروءة في هذه المراسلات: « Sentiment hostile à la domination, non hostile... » ومن الأمثلة على ذلك:

« قرية زلامطة: لا يظهر عليها أي تصرف معادي للاحتلال » (1)

(1) C.A.O.M.G.G.A. Carton 5L /25 (colonisation)

أقرب كاشرو: لم يتوقف سكانها عن الإدلاء بتعاطفهم مع فرنسا، بدليل وفوفهم إلى جانبها أثناء قمعها لثورة فليسة سنة 1864<sup>(1)</sup>

«حتى يكون المستوطنون في مأمن من غارات الأهالي القادمين من الجنوب لابد من بناء مركز عين تاسلت الاستيطاني على الطريق الرابط بين فرنلة وسعيدة»<sup>(2)</sup>

«وجود مركز ويزغت الاستيطاني بجوار الخط الحديدي يسهل التدخل في حالة وقوع اعتداء على المستوطنين... وبطبيعة الحال فإن علاقات طيبة تربط بين الكولون والأهالي، كما أنه لم تسجل ولا حالة سرقة أو نهب»<sup>(3)</sup>

وقد تأجلت الكثير من المشاريع الاستيطانية بسبب انعدام الأمن وصعوبة الاتصال بالمراكز الاستيطانية المجاورة.

وفيما بين 1871-1919 تحول عدد كبير من المراكز الاستيطانية إلى بلديات كاملة الصلاحيات وضم إليها عدد من الدواوير، فتسببت هذه السياسة في تشاؤم المواطنين الجزائريين الذين عارضوا بشدة تحويل المراكز الاستيطانية إلى بلديات، وأمام

(1) Ibid.  
(2) C.A.O.M. G.G.A. Carton SL /25 (colonisation)  
(3) Ibid.

هذا الموقف جددت العملية فيما بين 1919-1945 وتعطلت نسبياً بسبب تخوف الأوروبيين الذين أصبحوا من المعارضين لعملية إلحاق الدواوير بالبلديات الكاملة الصلاحيات خشية رؤيتهم على رأس البلديات الجديدة مجلساً بلدياً غاليته مسلمة، هذا إلى جانب عوامل أخرى من بينها النتائج الديمغرافية للحرب العالمية الأولى والاحتجاجات الشديدة للجزائريين ضد عمليات نزع الأراضي ومصادرتها لأجل توسيع المراكز الاستيطانية وتحويلها إلى بلديات كاملة الصلاحيات.

وخلال المدة من 1870 إلى 1895 أنشئت 153 بلدية كاملة الصلاحيات، كانت أصلاً مراكز استيطانية وألحقت بها دواوير ضامناً للتوازن المالي<sup>(1)</sup>، منها في الجهة الغربية من البلاد 90 مركزاً تحول إلى بلدية كاملة الصلاحيات<sup>(2)</sup> كما أشير إليه سابقاً.

لم يكن من هدف لفرنسا من وراء تحويل المراكز الاستيطانية إلى بلديات كاملة الصلاحيات سوى تهيئة الجزائر وإعدادها للاندماج في الوطن الأم فرنسا، إلا أن هذه السياسة لم تؤت ثمارها، بحيث تكهن جميع الساسة والحكام الفرنسيون الذين

(1) Claude COLLOT. Les institutions de L'Algérie durant la période coloniale 1830-1962. Alger: O.P.U. 1987. P118  
(2) C.A.O.M. G.G.A. Carton, 1M/60



تداولوا على السلطة في الجزائر بفضل مشروع الإدماج، ومن هؤلاء الناسة والحكام نذكر: دي توكفيل (DE TOCQUEVILLE) في 1847، والمارشال ماكهمون (DE MACMAHON) الحاكم العام للجزائر في تقريره يوم 23 أبريل 1868، والسنتور بيهيك (BEHIC) في تقريره إلى وزير الحربية عام 1869، و'جول فيري' (Jules FERRY) الحاكم العام للجزائر في 1892 وجورنار -الحاكم العام للجزائر- في 1893، والمارشال ليوتي في جويلية 1907 أثناء توزيع الجوائز بثانوية وهران، و'جول كامبون' (Jules CAMBON) -الحاكم العام للجزائر- في خطاب له أمام مجلس الشيوخ وفي العديد من المناسبات حيث أكد «أنه من الخطأ الاعتقاد في دمج الجزائر في فرنسا أو تحويل أفراد شعبها إلى فرنسيين لأن هذا الشعب يؤمن إيمانا جازما بأن الحضارة العربية الإسلامية هي أرقى الحضارات، كما أن للجزائريين دينهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم».

ومن هؤلاء الحكام الواسي العام للجزائر 'ليوتو' (LUTAUD) في خطاب له يوم 03 فبراير 1914 أمام غرفة النواب، وموريس فيوليت (Maurice VIOLETTE) والحاكم العام الجنرال فيغاند (WEYGAND) في 24 جويلية 1942، و'جناك بشارك' مدير الشؤون الإسلامية في تقرير له تحت رقم 3463 مؤرخ في 25

سبتمبر 1942 إلى الحاكم العام للجزائر، و'جورج سيردون' (Georges SURDON) رئيس غرفة محكمة الاستئناف بالجزائر عام 1946، و'ج لامبارت' (J.LAMBERT) -أستاذ بكلية الحقوق في جامعة الجزائر- في عام 1952.

لقد أثار هؤلاء جميعا الفروق الاجتماعية والتاريخية بين المجتمعين كما أثاروا عقبة الدين الإسلامي الذي يحول دون تحقيق المشروع الاستيطاني الإدماجي<sup>(1)</sup>

(1) لمعرفة تفاصيل أكثر عن تكهنات القادة الفرنسيين بفضل المشروع الاستيطاني-

الإدماجي الفرنسي في الجزائر، راجع:

Supplément au bulletin politique de juillet 1954. «Opinion de quelques auteurs sur les méthodes administratives de la France en pays d'outre-mer et surtout en Afrique du nord» relatives à L'Algérie- pp 1-15.

روجت سلطات الاحتلال الفرنسي لشروعها الاستيطاني في الجزائر وأعطت حانة وغطاء اقتصاديا كبيرا، حيث اعتبرته إنجازا حضاريا يفتح في الجزائر آفاقا شاسعة بإمكانها تطوير القاعدة الاقتصادية والاجتماعية للجزائر.

إلا أنه ينبغي الاعتراف بأن المشروع الذي حقق مكتسبات استراتيجية للمستوطنين، قد أضر سلبا على المجتمع الجزائري، وأحدث أضرارا اقتصادية واجتماعية وبشرية تمثلت في اقتلاع الفلاحين الجزائريين من أراضيهم وتهجيرهم منها، إضافة إلى شتة لحرب إبادة ضدهم، وبناء المراكز الاستيطانية وجلب المزيد من المهاجرين الفرنسيين والأوروبيين إليها، مما أخل بالتوازن السكاني، ومنع المستوطنين حق الاستئثار بأخصب الأراضي الفلاحية واستنزاف ثروات البلاد ونخباتها السطحية والجوفية لصالحهم.

## الفصل الثاني: العرائض والمذكرات الاحتجاجية

### تمهيد

- أملاك الغائبين المتروكة.

- حول التطبيق الجائر للتشريعات العقارية.

- تعاطف الإدارة الاستعمارية مع الكولون والعلماء،

والإسراف في تجاهل مطالب

الأهالي.

### خاتمة



## تمهيد

إن المطلع على العرائض والمذكرات الإحتجاجية التي تقدم بها الفلاحون الجزائريون إلى الإدارة الاستعمارية الفرنسية خلال الفترة من 1830 إلى 1962 يكتشف بأن مسألة الأراضي الفلاحية هي التي استحوذت على محتوياتها.

ولعل الإمام بهذه المحتويات يلقي أمامنا بعض الأضواء في محاولتنا لفهم جوهر الصراع الدائر بين الفلاحين الجزائريين من جهة والمعمرين الفرنسيين والأوروبيين من جهة أخرى طيلة هذه الفترة.

كما أن هذه المذكرات تعتبر سجلا أميناً لموقف الفلاحين الجزائريين من الكولون، ومن القياد وأصنافهم ممن استولوا على أراضيهم بأي شكل من الأشكال، وشاهدًا حيًا على رفضهم لإجراءات الفرنسية، وتصديهم للمشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر.

تعرض المحتجون في مذكراتهم إلى تجاوزات موظفي الإدارة الاستعمارية والكولون والقياد؛ ومن خلال تاريخ إيداعها يتبين

للقارئ أن الفلاحين الجزائريين قد دخلوا في صراع مفتوح مع هذه الأطراف طيلة فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، وهي جميعها تسم بالتشكي من حالة اليأس والشقاء الذي بلغتهم من جراء تجريدهم من أراضيهم، وفيها خملوا ضمناً وصراحة إدارة الاحتلال الفرنسي مسؤولية فقدانهم لأملاتهم وظلم الكولون والقياد لهم.

إلا أن هذه العرائض لم تحرك قيد أنملة شعور الإدارة الاستعمارية؛ فأجوبة وزير الداخلية، والحاكم العام للجزائر، وعامل العمالة، ومدير الأملاك العامة (الدومين) وحتى المتصرف الإداري اتسمت بالخبث والتجاهل الصريح لحقوق الفلاحين المنتصبين.

وما علينا سوى الاستشهاد بنماذج وعينات من هذه الرسائل الاحتجاجية التي تعكس بحق أنماط المقاومة السلمية التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

### أملاك الغائبين المتروكة

لقد نتج عن القرار الصادر عن حكومة الاحتلال في 08 سبتمبر 1830 القاضي بمصادرة أملاك البايك، وأراضي الموظفين الأتراك الذين غادروا الجزائر، وكذلك أملاك الجيوس ردود فعل، وذلك وقد قدم الفئصل الإنجليزي احتجاجات الجزائريين إلى

السيد «جيراردي» (GERARDI) مدير الأملاك العامة «الدومين» قائلا له «يجب عليكم استعادة أملاك مكة والمدينة - يقصد بها الأحباس - وكذا الأراضي المصادرة إلى أصحابها»<sup>(1)</sup>

وهنا يصعب تصديق المزاعم الفرنسية التي وردت في نص وثيقة الاستسلام التي وقع عليها كل من الداوي حسين و«دي بورمون» في 05 جويلية 1830 في الجزائر العاصمة بأن فرنسا تنوي الحفاظ على «حرية أهل البلاد لاختلاف درجاتهم، ولدينهم وأملاتهم ومتاجرهم وصناعاتهم،

لا أحد يتعدى عليهم، وحرمتهم يحترم»<sup>(2)</sup> إلا أن القانون الذي أصدرته بعد ثلاثة أشهر من سقوط العاصمة الجزائرية في أيدي عساكرها يؤكد العكس تماما، فأملاك المؤسسات الدينية، وأملاك الذين نزحوا عن ديارهم قد وضعت بموجب هذا القانون رهن المصادرة والحجز.

ومعنى ذلك أن هذا القانون جاء ليعطي الاحتلال الفرنسي فرصة الاستيلاء على الأراضي الجزائرية بحجة أن أصحابها أو المسؤولين عليها متغيبون، وأن الفرنسيين هم أحق بحراستها والاحتفاظ بها

(1) Ibid

(2) عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر العاصم (1830-1900)، الجزائر:

م.د.ك.م. ص. 68. نقلا عن المكتبة الوطنية بباريس. RES.LK 8 1319



واستخدامها في أغراض التعمير والتنمية الاقتصادية والاجتماعية،  
وبعبارة أخرى جاء هذا القانون كخطوة أولى في إضفاء طابع  
الشرعية والصيغة القانونية على سيطرة فرنسا على أملاك الغائبين  
والاستيلاء عليها.

وعلى هذا الأساس احتج الجزائريون على هذا الإجراء التعسفي  
لدى الوسيط الإنجليزي لاعتباره يلحق أشد الضرر بمؤسسات  
الأحباس ومصالح المتغبين.

وغني عن القول أن استيلاء فرنسا على أملاك البايك وأملاك  
الأحباس والمتغبين قد مكن حكومة الاحتلال من استخدامها  
لتسهيل استيطان المهاجرين إلى الجزائر من سائر أنحاء أوروبا.

كما احتج أمالي مدينة الجزائر لدى القائد الفرنسي «برتران»  
وقدموا له عريضة بطلبونه فيها بإرجاع أملاك الأحباس التي  
استولى عليها «كلوزيل» عام 1830، إلا أنه لم يلبي طلبهم (1)

ويصدر القرار المشيخي (1863/04/22) أخذت الشكوك  
والمخاوف تزداد حيال الفلاحين الجزائريين، وتنبهوا إلى خطورة  
هذا القرار وما سينجم عنه من تنافس حول تسويق الأراضي بعد

(1) أحمد حسن الشيشاوي: «أرض الملكية العقارية للعموم في الجزائر (1830-1871)»، المجلد  
06، ص 1423/ عارض 2002، ص 116.

تفكيكها، وبدأ لبعض الفلاحين الجزائريين عن كانوا على اقتناع  
تام بأن الهدف من إجراءاته لم يكن سوى تسهيل عملية انتقال  
الممتلكات - الجزائرية - من أيديهم إلى أيدي الكولون، ومن ثم  
إلحاق الأذى بالفلاح بعد تجريد من ملكيته، إلا أن فلاحين  
آخرين تسابقوا على بيع أراضيهم للكولون الأوروبيين. ومن بين  
هؤلاء فلاحو قرية الصحاري الشراقة (بلدية جبل الناضور  
المختلطة، دائرة تيارت، عمالة مستغانم)، ولاسيما فلاحو قبيلة  
أولاد زيان الغرابة، والدحالة، أولاد زيان الشراقة، وأولاد  
زودية، أولاد حدو، وأولاد بلحسن، وأولاد سيدي خالد، وأولاد  
عزيز، وأولاد خروبي، وأولاد عفيف، وأولاد بورنان، والشاوية،  
باستثناء قبيلة قنادزة، والكعابرة، والمرابطين الغرابة؛ وقد باع  
هؤلاء للكولون اثنان وثمانين قطعة أرضية تقدر مساحتها  
الإجمالية بأزيد من 23.118 هكتار يضاف إليها 224 هكتار تابعة  
لقبيلة الشاوية (1)

وأمام هذا الموقف راح أعيان قرية الصحاري يحتجون بشدة على  
التكتيك الاستعماري في استدراج الفلاحين البسطاء عن طريق  
القرار المشيخي وحملهم على بيع أراضيهم للكولون.

(1) C.A.O.M. G.G.A Carton I N/05 (Conservation des hypothèques de  
Mostaganem)

ولكن إدارة الاحتلال رغبة منها في كسب الفلاحين واستمالتهم، وحتى لا يعتبروا الاستيطان خطرا على مستقبلهم فإنها تملصا من المواجهة، ومقارعة الحجة والصراع عوضت الأشخاص الذين اغتصبت أراضيهم، ومن هؤلاء مائة وثمانية وأربعون فلاحا في دائرة مستغاثم بأولاد معالف، من بينهم خمسة فلاحين من قبيلة بوكامل<sup>(1)</sup>

وحتى أراضي البايك التي استخدمها الأمير عبد القادر في تاقدمت - قرب تيارت - صادرتها السلطات الاستعمارية الفرنسية على اعتبار أنها أراضي مخزنية وأدخلتها ضمن أراضي أملاك الغائبين التروكة، إلى جانب ثلاثة قطع أرضية بقبيلة أولاد عوف - قرب سعيدة - كانت تحت تصرفه<sup>(2)</sup>

ومع أن سلطات الاحتلال الفرنسي قد وضعت نفسها حارسا على أملاك الجزائريين المهاجرين إلى حين عودتهم إليها مطالبين باستردادها، إلا أن برقية 12 ماي 1866 نصت على عدم رفع الحجز (main levée) على هذه الممتلكات، ونساءلت فيما يجب اعتبارها أملاكاً تابعة للبايك أو أملاكاً خاصة؛ وللعلم فإن هذه الأراضي

(1) C.A.O.M. G.G.A Carton I N/05 (Etats des partages, transactions et compensations non encore régularisées) (réclamation de la djénâa des Ouled Maael).

(2) C.A.O.M. G.G.A Carton I N/04 (séquestre: Alger le 12/05/1966)

استخدمها الأمير عبد القادر في أغراض اجتماعية وعسكرية، حيث أقام بها مجمعا سكنيا (الزمالة) ونجما عسكريا.

منحت مصلحة الأملاك العامة بمعسكر، الأراضي التي كان يستولي عليها الأمير عبد القادر في قبيلة أولاد عوف إلى محمد بن برجى<sup>(1)</sup>، إلا أن أحد أهالي أولاد عوف طالب بحقه في ملكية هذه الأراضي التي يعتقد أنها مخزنية على أنها ملكا خاصا جرّده من سلطات الاستعمار، وأنه يتتظر أن تجري عليها الإجراءات التطبيقية للقرار المشيخي حتى يعوض بدلها أرضا أخرى، أو يتلقى مقابلها مبلغا ماليا تحدده السلطات الرسمية.

ردت سلطات الاستعمار على هذا الشككي بأن مصلحة الأملاك العامة قد سلمت لمحمد بن برجى هذه الأراضي خطأ لاعتقادها أنها أرضا مخزنية ليس من حق أحد المطالبة بها<sup>(2)</sup>

وفي إقليم سيدي بلعباس اصطدم المشروع الاستيطاني الفرنسي بمعارضة شديدة من قبل الفلاحين.

إن قبيلة الحازج التي تبلغ مساحة أراضيها الفلاحيّة 18.306 هكتارا لم تبق منها فرنسا لهذه القبيلة سوى 4.846 هكتارا بصفتها

(1) Ibid.

(2) Ibid.



أراضي ملك، أما باقي المساحات فقد تعرضت للحجز والمصادرة بناء على القرار الإمبراطوري الصادر في 25 أبريل 1866، بحيث أصبح متوسط المساحة الأرضية للشخص الواحد من أبناء هذه القبيلة لا يتعدى أربع هكتارات.

ومع أن التقرير الذي وجهه المارشال «راندون» وزير الحرية إلى الإمبراطور الفرنسي ويذكر فيه أن قبيلة الحازج لها مساحات أرضية فلاحية تقدر بـ 45.000 هكتار، وأن القسم الأكبر من أراضيها قد تم حجزه بعد هجرة معظم أهلها إلى المغرب سنة 1845 وذلك لاعتباره أرضا مهملة، كما أن عددا كبيرا من فلاحي هذه القبيلة قد قتلوا في المعارك أو هلكوا جراء الفقر، مشيرا في آخر تقريره أن القبائل المجاورة لسيدي بلعباس - من دون ذكر أسماءها - والتي تقدمت بعرائض احتجاجية بسيطة قد تم تعويضها أخويا<sup>(1)</sup>

يفهم من قول راندون أن جميع الذين غادروا أراضيهم وهجروها أو قتلوا في المعارك، أو هلكوا من الجوع والفقر قد تسقط حقوقهم المشروعة في أراضيهم وحتى حقوق ورثتهم لتفتح بذلك شهية الكولون لتوسيع ملكياتهم بلريعة غياب أصحابها.

إلا أنه إزاء رفض الأهالي والفلاحين الصغار لعملية مصادرة وحجز أملاك الغائبين وتوزيعها على المهاجرين الفرنسيين والأوروبيين لجأت سلطات الاحتلال إلى تعويضهم تخاشيا للصدام والتخفيف من حدة الصراع كما جاء في آخر التقرير.

أما عبارة «قد تم تعويضهم أخويا» فنشعر من خلالها أن راندون قد فتر حماس الفلاحين واستببط الأعداء بتعويضهم، وفي كلمة «أخويا» أكثر من دلالة على أن الفلاحين الجزائريين قد اقتنعوا بالتنازل عن أراضيهم المغتصبة للاستعمار بكل طيبة خاطر وسط المغريات بالتعويض وإطلاق التطمينات الكاذبة. وذلك هو التكتيك الذي سار عليه الاستعمار الفرنسي في الجزائر مع الفلاحين ليهدئ من غليانهم حيث نراه يعتمد الرقعة واللفظ واللين في الأسلوب إلى جانب التمسك بالشدة والحرص والثبات ومقارعة الحججة بالحجة.

ويضيف التقرير بأن ممثلي دوار أولاد رياح والعثمانية ومهديد قد احتجوا لدى سلطات الاحتلال على طريقة التقسيم

<sup>(1)</sup> M.P. DE MENERVILLE. Dictionnaire de la législation Algérienne 2.V. 1860-1866. Alger-Paris 1877, p 240.

التي تعرضت لها أراضيهم في أعقاب صدور القرار المشيخي  
(1) (1863/04/22)

### حول التطبيق الجائر للتشريعات العقارية

في حقيقة الأمر فإن الاحتجاجات التي رفعتها القبائل ضد  
الإجراءات التطبيقية للقرار المشيخي لا يمكن حصرها بالنظر  
لكثرتها.

وإثر تحديد أراضيها المقدرة بـ 8.025 هكتار فإن قبيلة  
عكرمة الغراب الواقعة في قسم مستغام على ضفاف وادي يلل  
والتي اقتطعت منها مساحة تقدر بـ 1.200 هكتار من أجود  
أراضيها لإنشاء مركز يلل الاستيطاني، رفعت ثمانية قبائل  
احتجاجات خاصة إلى سلطات الاحتلال، إلا أن هذه  
الاحتجاجات لم ينضم إليها جميع الفلاحين.

ومن الأمور المؤسفة أننا وجدنا رسالة موجهة إلى نابليون الثالث  
مؤلفة بأسماء وتوقيعات قياد وأغوات وباش أغاوات من الأقاليم الثلاثة

(1) قسم القرار المشيخي 1863/04/22 لرئيس قبيلة العزازج إلى  
عمدة بولويس هي على التوالي:

1- لولاد رباح (946 نسمة، و 4.158 هكتار)، 2- حمشة (739 نسمة،  
2.668 هـ)، 3- غمالية (534 نسمة و 1.753 هكتار)، 4- لولاد غلزي:  
(547 نسمة، 3.820 هكتار)، 5- مهيبد (861 نسمة و 5905 هـ).  
M.P. DE MENERVILLE: op. cit. p. 241

للجزائر يجدون فيها فرنسا ويشيدون بفضلها، ويعرضون عليها أموالهم  
ودمائهم فداء من أجل الدفاع عنها.

ولا حاجة لنا للمزيد من الأدلة غير إحالة القارئ لمراجعة هذه  
الرسالة لمعرفة ولاء وحب هؤلاء لفرنسا التي صانت حقوقهم وأبقت لهم  
على امتيازاتهم (1)

(1) إليكم فيما يلي مقتطفاً من نص هذه الرسالة، وأسماء الموقعين عليها:

« Nous chefs indigènes que vous avez comblés de bienfaits... nous demandons à votre  
majesté qu'à l'exemple des Français il nous soit permis de mettre nos biens et nos  
personnes à votre disposition... Vous nous avez abandonné la propriété de nos terres,  
vous nous avez conservé nos croyances religieuses et garanti notre honneur, nous  
devons notre aide à la France. Ont signé:

Mohamed - Bel Hadj Ahmed et Mokrani, Bachagha de medjana.

El Hadj - Ahmed - Bouakkaz - Ben Achour

Mohamed - Sghir Bengana, Caïd de Biskra.

Shimane - Ben - Siam agha honoraire de Miliana.

Saïd Boudaoud Caïd du Hodna

Belgacem - Bel- Labreuch, bachagha de Djelfa.

Mohamed Saïd Ben-Ali Cherif, bachagha d' Akbou.

Ahmed Bey- ben Chikh - Messoud, Caïd des Amer Dahra (Setif).

Ahmed - bey Gadi, Caïd Batna.

Douadi Ben-Kenkes, Caïd des Amer- guebala (Setif).

Sghir- Bel- Laroussi, Caïd des regha - guebala (Setif).

Abderhamane - Benguendouz el- Mokrani, Caïd Ain-Turk.

Ben- Yahia - ben Aissa, bachagha du Tittery.

Ali ben Mohamedine, agha des Beni- Selimane (Mitidja).

Kaddour Ben - el Mokkfi, agha des Bordjia.

Boualek Ben - Chérifa, bachagha du Djendel (Miliana).

Ahmed Boumezzrag el-mokrani, Caïd de l'ouenougha.

Saïd - Ben Abid Caïd du sahel - el- guebli (Setif)

Ahmed ben - Zidane, Caïd de guergour (Setif).

Ahmed - Boualghan - Bengana, Caïd des gherabav

Louis RICH, Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Alger 1891, pp 80 - 81



وعلى أية حال فإن ما عثر عنه هؤلاء في رسالتهم بشأن إحسان فرنسا إلى الجزائريين وإبقائها على ممتلكاتهم الأرضية ومخافتها على شرفهم لا يتطابق مطلقا مع الواقع.

يحدث هذا في الوقت الذي تعالت فيه أصوات الفلاحين بالنشكي والاستنكار على اغتصاب فرنسا للأراضي الجزائرية.

والأغرب من ذلك أن بعض الموقعين على هذه الرسالة سيتحول إلى عدو لدود لفرنسا بعد تعرض أراضيهم للحجز والمصادرة من أمثال محمد ابن الحاج أحمد المقراني باشاغا مجانة، وسعيد بن بوداود قايد الحفصة، وأحمد باي ابن شيخ مسعود قايد عامر بالظهرة، والصغير ابن العرومي قايد ريغة القبالة، وعبد الرحمن بن قندوز المقراني، وأحمد بومزراق المقراني.

ولم يكن الصراع حول ملكية الأرض قائما في أساسه بين الجزائريين والكولون بل أيضا فيما بين المعمرين الذين كانوا لا يتورعون عن تحويل ممتلكات أرضية بطرق لا شرعية لصالحهم كما تدل على ذلك رسالة النشكي التي تقدم بها جماعة من المعمرين في سيدي بلعباس إلى الحاكم العام للجزائر ضد المعمر «بليتز» (BLENZE) الذي استولى على أراضي فلاحية يدّعون بأنه

(1) C.A.O.M. G.G.A Carton 3 N°01 (réclamation, Oran le 08/06/1872)

والجدير بالملاحظة فإن معظم النزاعات بين الجزائريين حسب ما دللتنا عليه وثائق الأرشيف كانت حول ملكية الأرض<sup>(1)</sup> كما أن المراسلات الإدارية بين المتصرف الإداري

ونائب عامل العمالة أو حتى الموجهة إلى عامل العمالة أو الوالي العام للجزائر بشأن الاحتجاجات حول ملكية الأرض كانت تحمل إشارة كتابية «هام» أي أن موضوع الرسالة جدير بالاهتمام، لاسيما إذا كان الأمر يتعلق بنزاع حول ملكية الأرض بين طرفين أحدهما موالي للاستعمار (كولون، أغا، قايد، مجند في جيش الاحتلال...) وآخر معارض، حتى يكون محل رعاية واهتمام من قبل الإدارة الاستعمارية التي كانت تتحيز للمتعاملين معها كما هو الحال مع الرسالة التي تقدم بها المدعو عبد المؤمن عبد القادر- الذي كان يعمل تحت

العلم الفرنسي- ضد جللول الصادق وحندان عبد المؤمن اللذان كان يستغلان أرضه وأرض إخوته أثناء غيابه<sup>(2)</sup>

أما الذين لم يكونوا في خدمة الاستعمار، فعليا ما كانت ترد إليهم رسائلهم بحجة أنها أرسلت بدون طابع بريدي (الدمغة) وذلك تذرعا بقانون 13 بروير السنة السابعة، الذي أعيد العمل

(1) C.A.O.M. G.G.A Carton 3 N°08 (réclamation, Oran le 27/10/1930)

(2) C.A.O.M. G.G.A Carton 3 N°01 (réclamation)

به وفق منشور وزارة الداخلية الفرنسية الصادر في 06 أفريل 1886  
والذي ينص على أن الرسائل الموجهة إلى المؤسسات الإدارية  
يجب أن تكون مدموغة ومكتوبة على أوراق مطبوعة<sup>(1)</sup>

إن سوء تطبيق الإجراءات التنفيذية من قبل اللجان المكلفة  
بالتحقيق في الأراضي وفحصها وتعيين حدودها، إلى جانب عدم  
وجود نظام موحد لتحديد أراضي العرش وأراضي الملك دفع  
الفلاحين الجزائريين خلال عام 1873 إلى رفع احتجاجات إلى  
سلطات الاحتلال عن طريق الجماعات يشكون فيها من عمل  
اللجان التي فصلت عند التحقيق في الأراضي دون إدراك ولا  
تمييز، حيث آلت إلى تحويل أملاك خاصة إلى أملاك عمومية  
(بلدية). واعتبرت الأراضي الفلاحية المتروكة للراحة السنوية  
(Jachère annuelle) شاغرة وأدرجتها ضمن الأراضي الجرداء  
والخصوية غير المزروعة، وضمنتها إلى قطاع أملاك الدولة<sup>(2)</sup>

لم يعترف الفلاحون الجزائريون بسندات الملكية التي سلمت  
لهم، وبعضهم لم يسحبها من مصلحة الأملاك. وقد قدر أحد  
المحافظين المحققين عدد السندات التي لم يسحبها أصحابها بـ

25.000 عقد من بين 244.830 عقد مسجل (10/7)، كما أن  
البعض الآخر أتلف هذه السندات أو ردمها في التراب<sup>(1)</sup>

وكثيرا ما غدت التصرفات الطائشة للمحافظين المحققين  
عملية الصراع بين المعمرين والفلاحين الجزائريين وزادت من  
حدته، لأن نتائج هذه التحقيقات عرضت الفلاح الجزائري إلى  
خسارة أرضه - وهي أعز ما يملك

وإن كانت فرنسا قد تصورت أنها بإجراءاتها العقابية المتمثلة  
في مصادرة أراضي الفلاحين الجزائريين بمقتضى قرار 27  
جوان 1871 الذي نص على حجز جميع أراضي القبائل التي  
ساندت المقراني في ثورته ضدها<sup>(2)</sup> ستضعف الفلاحين  
الجزائريين، فعلى العكس من ذلك، فإن عمليات المصادرة  
الجماعية قد عمقت ارتباط الفلاحين بأرضهم وتضمينهم على  
استرجاعها ونبهتهم إلى خطورة هذه الإجراءات العقابية وطبيعتها  
العدوانية المنافية للتعايش السلمي مع المعمرين، وهذا يعني أن  
القرارات الخاصة بمصادرة أراضي الثوار على المدى القريب أو  
البعيد ستقلب على الدبن استنوها، وستؤدي إلى عكس ما كان

<sup>(1)</sup> Ibid, p 97

<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton 2 II/81

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton 3 N°38 (Le préfet du département d'Oran à M<sup>r</sup> le  
maire de Mascara le 01/03/1917).  
<sup>(2)</sup> Charles-Robert AGERON, Les Algériens musulmans et la France T1,  
Paris P.U.F. 1968, p 07



تطلب منه شراء الأراضي التي تم لإدارة الاحتلال أن صادرتها منهم.

الشخص - الدوار - القبيلة	المساحة المطلبة بها	تاريخ الاحتجاج ج	قرار المصدر ة	المرجع	الملاحظة
دوار زموري	5.349 هكتار	01/08 1873			طلبات مرفوعة
جماعة قرية تاورة	2.570 هكتار	01/12 1873	06/27 1871	Bull off n° 368	
ضواحي دلس	1.301 هكتار	01/12 1873	09/14 1871	Bull off n° 375	
أولاد سمير			08/12 1871	Bull off n° 371	
الحاج أحمد محي الدين		08/03 1873			
بلعبد بورس		08/08 1873	06/27 1871	Bull off n° 368	

المصدر: C.A.O.M. G.G.A. Carton 2 H/81

منتظرا منها، وهذا هو الاستنتاج الذي يمكن أن يخرج به المرء من تتبعه للتطورات التي أعقبت قرارات المصادرة والحجز الجماعي.

إن تفاعل الفلاحين الجزائريين مع الأرض كجسم واحد ونسكهم بها، سيؤدي بفرنسا الاستعمارية إلى الفشل في مشروعها الرامي إلى انتزاعهم منها.

ففي 31 جويلية 1873 تقدم سكان قرية زموري الذين طردوا من أراضيهم بمذكرة احتجاج إلى الحاكم العام للجزائر يطلبون منه النظر في حالتهم المأسوية بحيث لم يبق لهم السلطات الاستعمارية سوى بعض أشجار التين وبعض البساتين، ويناشدونه التدخل حتى يُسمع لهم بالبقاء فوق ما تبقى لهم من مساحات أرضية، وأبلغوه بأنه يعز عليهم مغادرة أراضيهم التي ولدوا فيها؛ كما تقدم سكان قرية تاورة مطالبين بشراء مساحة أرضية تقدر بـ 2.570 هكتار تم مصادرتها<sup>(1)</sup> إلا أن سلطات الاستعمار وقفت عتبة كزودا في سبيل حل مصائب الفلاحين، وأخضعت جميع المذكرات الاحتجاجية لما كانت تسميه بالقانون العام ( la loi commune ) وإليك فيما يلي جدولاً بأسماء بعض الأشخاص والقبائل التي وجهت رسائل إلى الحاكم العام للجزائر سنة 1873

وبالنظر لضخامة الملف الخاص بمصادرة الأراضي الزراعية للفترة من 1871 إلى 1875، لا يعني إلا أن أشير إلى أن المطلع عليه قد ينهر لما ارتكبه الاستعمار الفرنسي من ظلم في حق الفلاحين الجزائريين بانتزاعه منهم أعز ما يملكون؛ كما أنه لم يسمع لاستغاثتهم وصراخاتهم، ولم ينظر إليهم ولا مرة واحدة بعين العطف والرحمة.

إن رد الإدارة الاستعمارية على جميع العرائض والطلبات الخاصة بشراء الأراضي التي تمت مصادرتها كان سلبيا<sup>(1)</sup>

ويبدو من خلال الجدول أعلاه أن الفلاحين الجزائريين لم يفلحوا في استعادة أراضيهم باعتماد وسيلة العرائض والمذكرات الاحتجاجية، والطلبات الكتائية الجماعية أو الفردية خلال الفترة من 1871 حتى 1875.

لعل سبب امتناع إدارة الاحتلال عن بيع الأراضي الجزائريين يعود إلى محاولة الحكومة الفرنسية الوفاء بوعودها التي قطعتها على سكان الأزراس واللورين منذ شهر مارس 1870 بمنحهم مائة ألف هكتار من الأراضي الجيدة<sup>(2)</sup> بل وأكثر من

ذلك تراها فيما بين 1904 و1927 وزعت على المهاجرين الأوروبيين 237.000 هكتار من أجود الأراضي مع منح مالية مقابل التزامهم إن اضطروا إلى بيع تلك الأراضي فلن يبيعوها إلا لمستعمر ليس إلا، ولا تباع لمسلم أبدا<sup>(1)</sup>

وفي بعض الجهات من الوطن تظاهرت إدارة الاحتلال بالاهتمام بقضايا الفلاحين الجزائريين، حيث أرشد ضباط المكاتب العربية الفلاحين المبعدين من أراضيهم والمجمعين في أراضي جبلية غير صالحة للزراعة برفع شكاويهم واحتجاجاتهم إلى عامل العمالة.

وبناء على ذلك بعث فلاحو «تروا مارابو» (سيدي بن عدة حاليا)، وفلاحو «غيار» (عين الطلبة حاليا) بعرائض احتجاجية إلى عامل عمالة وهران في 12 ماي 1877<sup>(2)</sup>، إلا أن سلطات الاحتلال اكتفت في الرد عليهم بأن الأراضي التي صودرت منهم سيعوضون عنها بأراضي أخرى، لكن الفلاحين رفضوا بإصرار

<sup>(1)</sup> محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية من 1903 إلى 1931، المجلد الأول،

الجزائر، ش. و. ن. ت، 1978، ص 292 - عن أحمد توفيق المنني، هذه هي

الجزائر، مكتبة النهضة، الجزائر، 1956، ص 99

<sup>(2)</sup> Michel LAUNAY, Paysans Algériens, Paris, édition du seuil, 1963, p 128

<sup>(1)</sup> تراجع الملف المشار إليه في : C.A.O.M. Carton 2 H/81

بشارل روبرت أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1970، ترجمة عيسى

عصفور، الجزائر، د. م. ج. 1982، ص 86



وعناد قبول هذا العرض، مما يؤكد بشكل قطعي رفضهم للسياسة العقارية الفرنسية في الجزائر وتشبثهم بأراضيهم.

وفي هذا الشأن يقول المتصرف الإداري لبلدية معسكر المختلطة في تقريره الموجه إلى عامل عمالة وهران: «إن احتجاجات أولاد بوحنيبة وأولاد سليمان تعود إلى سنة 1867، ولاني أوليت اهتماما شخصيا بقضيتهم، وكررت محاولة تهدئة غضبهم أربع مرات متتالية حيث قدموا رفقة جيرانهم أولاد بوهادي وتجمعوا عند باب المكتب، بعضهم يحمل عرائه الخشبي، والبعض الآخر يحمل جبلا من الخلفاء على رقبتة أو في يده يطلبون من السلطات الاستعمارية الكف عن مصادرة الأراضي وحجزها، والعدول عن حشد السكان (Cantonnement)»<sup>(1)</sup>

وهنا يقف المتبع لتصرفات الفلاحين وردود فعلهم من عملية المصادرة والحجز على أنهم عازمون وبدون خوف ولا تردد على استرجاع أراضيهم.

وقد طالعنا بعض الكتابات أن هناك قبائل لم ترفع احتجاجات ضد فرنسا الأراضي من بينها في الجهة الغربية من الوطن قبائل الدواير، والزمامة، وقسم من البرجية من الذين

(1) Ibid. p 129

سبق لهم أن تعاملوا مع الأتراك ثم انحازوا إلى الفرنسيين ولم تمسهم عمليات الحجز، وأكثر من ذلك، فإن هذه القبائل قد اغتنمت فرصة تحالفها مع الفرنسيين، فوسعت ممتلكاتها الأرضية على حساب ممتلكات صغار الفلاحين.

وكثيرا ما حدث لسلطات الاحتلال أن عرضت الفلاحين بأراضي أخرى مقابل أراضيهم التي انتزعت منهم بحجة المنفعة العامة، وسلمتهم عقودا تثبت أحقيتهم في ملكيتها، إلا أنها بعد مرور سنوات ألغت اعترافها بصلاحيه هذه العقود وفسختها، ومما يثبت ذلك العثور على عرائض جماعية وفردية تؤكد هذه الحالة، منها عريضة احتجاجية تقدّم بها تسعة فلاحين من دوار ححاجة ببلدية معسكر المختلطة إلى الحاكم العام للجزائر يذكرّون فيها أن السلطات الاستعمارية قد صادرت منهم أراضيهم الواقعة بعين فارس، وتنازلت لهم عوضها عن أراضي تقع بالمالح في دوار سجرارة، وبعد مرور عشرين سنة طردتهم منها<sup>(1)</sup> وعريضة فردية تقدّم بها المدعو زين عبد الرحيم ولد محمد من دوار سجرارة التابع لقبيلة أولاد بوعلام يحتج فيها لدى المتصرف الإداري لبلدية معسكر حول الأراضي التي منحت له بوادي المالح، وذلك منذ

(1) C.A.O.M. G.G.A Carton 2M/07. (réclamation en date du 02-05-1899)

عشرين سنة بمقتضى عقد مكتوب تعويضا عن أرضه التي صودرت منه في إطار توسيع مركز عين فارس الاستيطاني<sup>(1)</sup> إلا أننا نساءل عن سبب طردهم من هذه الأراضي التي منحت لهم كتعويض عن أراضيهم التي انتزعت منهم، وما هي الأسس القانونية التي استندت إليها إدارة الاحتلال لإبطال حقهم فيها. وإن كان المالك لأرضه لا يحق له الاحتفاظ بها إلا متى قدم إثباتات تؤكد نصرته فيها، فإن هؤلاء أكدوا في مذكراتهم الاحتجاجية بأن لديهم الأدلة الثبوتية على تصرفهم فيها منذ عشرين سنة، ومع هذا أسقطت فرنسا حقهم فيها وأخرجتهم منها.

إن عدم رد سلطات الاحتلال الفرنسي على شكاوي هؤلاء الفلاحين يعتبر نفيا لسيادتهم عليها وعلى امتلاكهم إياها، ويبدو أن الإدارة الاستعمارية بهذا الأسلوب أنها تجاهلت مكاتبات الأهالي حول ملكية الأراضي لاعتبارها نشاطا معاديا للحضور الفرنسي في الجزائر، يجب التصدي له.

وإن كان للسلطات الاستعمارية مواقف سلبية حيال مطالب الأهالي، فعلى العكس من ذلك، فإن المرائض والمذكرات الاحتجاجية

<sup>(1)</sup> Ibid. (réclamation en date du 28/07/1899)

التي كان الكولون يرفعونها إلى إدارة الاحتلال كانت تحظى بالاستجابة السريعة، ومن الأمثلة على ذلك أنه على الرغم من اعتراض المتصرف الإداري لبلدية معسكر المختلطة على طلب الكولون القاطنين بمركز ماوسة الاستيطاني لاقتطاع جزء من الأراضي التابعة لأحكام البلدية لإنشاء بساتين تلحق بالمدرسة وبالمعبد (presbytère)<sup>(1)</sup> إلا أن الحاكم العام للجزائر رد على العريضة التي وقع عليها ثمانية من الكولون بالرضى والقبول، فشجعهم ذلك على بناء كنيسة<sup>(2)</sup>

وبمقتضى مرسوم 11 جويلية 1858، والمادة الثانية من مرسوم 08 سبتمبر 1859 صادرت فرنسا أراضي فلاحية كان يمتلكها مائة وستون فلاحا جزائريا لتوسيع مركز ماوسة الاستيطاني الذي بدأت أعمال توسيعه في 1876 تلبية لرغبة الكولون<sup>(3)</sup>

فهذان النموذجان يكفيان سندا بأن الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر - والتي كانت تتغنى بحقوق الإنسان والمواطن -

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton 2M/13 (réclamation en date du 21/07/1890)

<sup>(2)</sup> Ibid. (Pétition des habitants réclamants la construction d'une Eglise à Mascara en date 24/04/1893)

<sup>(3)</sup> Ibid. (Supplément au courrier de Mostaganem Expropriation terrain nécessaire à la création du centre de colonisation à Mascara du 18/06/1876) Voir aussi Moubacher du mardi 19/09/1876



لم يكن يهملها ما سيلحق بالأهالي من غبن بعد طردهم من أراضيهم.

ومهما كانت الحجج والذرائع التي ظلت تستند إليها فرنسا طيلة سبعين سنة من احتلالها للجزائر (1830-1900) لتبرير اعتداءاتها على الأهالي، فإنها لا تبرئها على ما اقترفته من ظلم وعدوان واغتصاب في حق الجزائريين.

تعاطف الإدارة الاستعمارية مع الكولون والعلماء، والإسراف في تجاهل مطالب الأهالي

إن الذين سافتهم ظروف الاحتلال للهجرة إلى الخارج وقدرت عليهم الإقامة في ديار الغربة لم يقطعوا الصلة مع الجزائر وظلت تشدهم إليها تلك الأراضي التي تركوها وراءهم ولم ينفصلوا عنها في انتظار العودة.

فمن دمشق كتب الأمير عبد القادر رسالة مؤرخة بـ 11 مارس 1880 الموافق لـ 29 ربيع الأول 1297 إلى محافظ الغابات لسيدي بلعباس يطلب منه إعادة الأراضي المسماة «بلاد الجنة» الواقعة في قبيلة أولاد سليمان التابعة لبلدية سفيروف (Mercier Lacombe) إلى أصحابها الشرعيين، وهم المدعو الحاج قادة ولد الشيخ المقيم بدمشق، وأخوه الحاج محمد والحاج العربي، وأبناء

عمهم المعروفون باسم أولاد بوحاد القاطنون بقبيلة أولاد سليمان؛ ويذكر فيها محافظ الغابات بأن هذه الأراضي قد ضمتها السلطات الاستعمارية إلى الأملاك الغاية مع أنها ممتلكات خاصة ورثها أصحابها من آبائهم وأجدادهم، وكانوا يستغلونها منذ عهد الباي محمد بن عثمان الكبير

إلى يوم جردتهم الإدارة الاستعمارية منها. وفي الأخير يأمل الأمير عبد القادر في أن يكون محافظ الغابات من ذوي العدل والإنصاف، ويعيد الأراضي المغتصبة إلى أصحابها الذين هم في حاجة ماسة إليها<sup>(1)</sup>

والذي يهملنا في هذه الرسالة هو تمسك الجزائريين بأراضيهم وارتباطهم بها رغم وجودهم بأرض المهجر، وعدم فقدانهم الأمل في استعادتها؛ وتقريبهم من الأمير عبد القادر ليتوسط لهم في ذلك هو دليل قاطع يؤكد هذه الرغبة، إلا أننا لا ندري إن قدرت إدارة الاحتلال للأمير عبد القادر وساطته أم لا.

(1) أرشيف خاص. عائلة حديبي عبد العزيز بسفيروف. ونص الرسالة مكتوب باللغة الفرنسية ومذيل بختم الأمير عبد القادر، وبإمضاء عبد القادر الحسني

وفي عام 1882 رفع سكان قرية بني تالة التابعة لبلدية  
معسكر المختلطة مذكرة إلى المتصرف الإداري ضمنوها مطلب  
تعويض فرنسا لأراضيهم التي اغتسبت منهم عام 1842 بسبب  
مساندتهم للأمير عبد القادر في حربه ضد الاستعمار الفرنسي،  
وأيضا بسبب جودة أراضيهم، إلا أن المتصرف الإداري ادّعى  
جوابه على مذكرة أنهم بأن الأراضي التي استبقته لهم إدارة احتلال  
قد باعوها بمحض إرادتهم إلى الخواص، وأنهم مازالوا مستمرين  
في عملية بيع أراضيهم، وبلغتهم بأن البلدية لم يبق لها من  
الأراضي سوى مساحة عشرين هكتار بدوار يوحيفية، وعلى هذا  
الأساس رفض ادعائهم في الأرض التي يطالبون بتعويضها<sup>(1)</sup>

وكثيرا ما منحت للفلاحين الجزائريين تعويضات عينية أي  
أراضي فلاحية مقابل أراضيهم التي صودرت منهم، إلا أنه تبين  
فيما بعد أنها أراضي غير قابلة للتقسيم وتقع ضمن ممتلكات  
لعائلات أجنبية كما هو الشأن مع المدعو الحبيب بلعربي بن ويس  
السكن بدوار عين فكان، والذي رد الحاكم العام للجزائر على  
رسالة بأن طلبه سيؤخذ بعين الاعتبار<sup>(2)</sup> وغاية انتشار العمليات

الاحتجاجية أسرعت الإدارة الاستعمارية إلى تسوية ستة وأربعين  
حالة عن طريق التعويض المالي<sup>(1)</sup>

وللإشارة فإن الاحتجاجات حول ملكية الأرض لم يكن  
مصدرها دائما جزائريا، فالكولون هم الآخرون تقدموا بمذكرات  
يرفضون فيها ربط منح الأراضي للكولون بشرط الزواج، ففي  
قرية عين افكان تقدم عدد من المهاجرين الأوروبيين ممن لا يتوفر  
فيهم شرط الزواج برسائل إلى الحاكم العام للجزائر يتشدونه فيها  
بالعدول عن هذا الشرط، وقبول الأمر الواقع<sup>(2)</sup>

رد الحاكم العام للجزائر على توسلهم إليه بتكليف  
المتصرف الإداري تشكيل ثلاث مجموعات من الكولون غير  
المتزوجين، على أن تتألف كل من المجموعة الأولى والثانية من  
معمرين اثنين، بينما تتألف المجموعة الثالثة من ثلاثة معمرين<sup>(3)</sup>  
وقد شجع هذا الإجراء توافد مهاجرين أوروبيين جدد على مركز  
عين افكان الاستيطاني، استفادوا جميعا من قطع أرضية  
فلاحية<sup>(4)</sup> هجر معظمهم من إقليم الأكراس واللورين، حيث  
نزلت في عام 1873 بعين افكان عائلات فرنسية قادمة من

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 2 M/08 (02-04-1892)

<sup>(2)</sup> Ibid. (15-01-1873).

<sup>(3)</sup> Ibid. (constitution de 03 groupes de célibataires (12-02-1873).

<sup>(4)</sup> Ibid. (renvoi de demandes d'attribution de terre (02-12-1873).

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 5 L/25.  
<sup>(2)</sup> Le Réveil de Mascara du Dimanche 01/02/1891.



الأكراس واللورين، منها ست عائلات تتكون من اثنين وثلاثين شخصا<sup>(1)</sup>

أما المقال الذي نشرته جريدة (Le Moniteur de l'Algérie) يوم الأربعاء 16 جويلية 1873 فقد حث الوافدين من الأكراس واللورين بالاستقرار في عين افكان والبقاء بها، وذلك رداً على إشاعات مفادها أن النازلين بعين افكان يعتزمون الهجرة إلى كندا بحجة أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية لم تف بالتزاماتها وعودها بمنحهم الأراضي اللازمة والكافية<sup>(2)</sup> لكن الكولون المقيمين بعين افكان نددوا بهذا المقال وبعثوا بذاكرة جماعية ضمنوها أسماءهم، يلتزمون فيها بالبقاء في عين افكان<sup>(3)</sup> وأمام موقفهم هذا، أصر الحاكم العام للجزائر ألا أن تتنازل الدولة عن 547.18 هكتار لسبعة وعشرين عائلة مكونة من مائتي وثمانية شخص نزلت بعين افكان عام 1882<sup>(4)</sup>

وتمثل الخليفة التي يمكن استخلاصها من نموذج احتجاجات الكولون في الرد الإيجابي والتسريع من قبل إدارة الاحتلال على مطالبهم، في حين نرى على العكس من ذلك تماطل وتغادي في الإجابة

(1) C.A.O.M. G.G.A Carton 2 M08 .  
(2) Ibid. (moniteur de l'Algérie du Mercredi 16/07/1873)

(3) Ibid

(4) Ibid

على احتجاجات الفلاحين الجزائريين إلا في حالة الخوف من حدوث حركات عصبانية، نجدها تعرض عليهم وعودا بالتعويض المالي والعيني، معربة عن أمانها وعن رأيها في عدم تضييع حقوقهم.

أما إذا كان النزاع حول ملكية أرضية بين خصمين جزائريين حول من له الأحقية على الآخر في امتلاكها، فإن إدارة الاحتلال كانت تفضي النزاع بينهما باستخلاص الملكية منهما وعرضها على البيع بالمزاد العلني، وتقسم ثمن بيعها بين المتخاصمين، وبهذا الشكل يضيع حق كل منهما في ملكية الأرض التي كانت في الغالب تنتقل إلى أحد الكولون، وعن هذا النموذج اخترنا مثالا نستدل به على ذلك.

ففي عشيرة أولاد سيدي الهاشمي بدوار الزاوية (بلدية ماوسة - دائرة معسكر) تقدم المدعو الحبيب بن الطيب بعريضة بواسطة المحامي بولان صورييل (Paulin SAUREL) ضد ثلاثة فلاحين من نفس العشيرة يدعي فيها أنه يشترك معهم في امتلاك أرض غير قابلة للتقسيم، إلا أن أحدهم نجراً على بيع هذه الملكية الأرضية الجماعية بأكملها إلى المدعو سعيد

ولد سي عبد القادر بن أحمد وفق عقد مسجل لدى الموثق «بن شاريل» (BENCHARELLE) بتاريخ 27 مارس 1883 بمبلغ مالي قدره 625 فرنكا - مدفوعة نقداً -، ولما تم البيع على حساب

حقوق المدعي -الطيب بن الحبيب- وفي غيابه، فإن هذا الأخير عارض البيع وطالب بفسخ العقد وبطلانه. وهذه الأسباب تم فسخ العقد وبطلان البيع وفق المادة 815 من القانون المدني، والتي تمنع التصرف في أملاك القبيلة الغير قابلة للتقسيم.

وانهاء للصراع تقرر بيع قطعة الأرض الجماعية المتنازع عليها بالمزاد العلني -آخر مزايده الحق في امتلاكها- على أن يقسم مبلغ شرائها فيما بين الورثة، وفي 18 مارس 1885 نطقت المحكمة ببطلان البيع الذي تم أمام الموثق «بن شاربيل»، وعرضت الملكية الأرضية الجماعية على البيع بالمزاد العلني بمبلغ مالي أولي قدره مائة فرنك<sup>(1)</sup>

لا تهمنا حيثيات الحكم في هذا المثال بقدر ما تهمنا نتائجه المتمثلة في فقدان الفلاحين الجزائريين لأراضيهم بهذه الطريقة وإسقاطهم بمثل هذا السلوك لحقوقهم المشروعة فيها.

ونبقى دائما في حاجة إلى ضرب المزيد من الأمثلة لإبراز رفض الجزائريين التنازل عن ممتلكاتهم الأرضية.

<sup>(1)</sup> Etude de M<sup>c</sup> Paulin SAUREL, avocat défenseur 1885. Cahier des charges. Vente sur licitation. Pour el Habib Bentayeb contre M<sup>c</sup> Said Ould A.E.K. Ben Ahmed et autres. Enregistré à Mascara le 17/12/1885

ففي سنة 1885 صادرت إدارة الاحتلال الفرنسي مساحة أرضية غابية في نسموط -بضواحي معسكر- تقدر بـ 176,39,50 هكتار، فرفع الفلاحون مذكرة احتجاج ضد قرار المصادرة، يذكرون فيها السلطات الاستعمارية بأن القرار المشيخي (1863) قد اعترف لهم بملكيته، إلا أن مدير الأملاك العامة رد عليهم في تقريره الذي رفع نسخة منه عامل

إلى عامل عمالة وهران بأن مصادرة الأملاك الغابية لنسموط قد تمت خلافا لما تنص عليه التشريعات المعمول بها في إطار مرسوم 25 ماي 1869، ومع هذا تمت المصادرة.

ومن ضمن الاثنين والثلاثين فلاحا ممن أمضوا على المذكرة الاحتجاجية قبل ثمانية وعشرون منهم بالتعويضات، بينما الأربعة المتبقين اعترضوا بشدة على قرار التعويض -وهم على التوالي: البشير بلحبيب، سي محمد بلمكي، عبد القادر ولد سي أحمد، والطاهر بن عبد الرحمن<sup>(1)</sup>

وبهذه الطريقة تكون إدارة الاحتلال قد ألحقت أراضي غابية بأملاك الدولة دون اللجوء إلى حكم القانون والشرعية، وإنما اعتمادا على حكم الأمر الواقع وعلى المبادرات الفردية للحكام،

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton 2M/107



يعني اكتساب الحق باللجوء إلى الوسائل الاستعمارية. وحتى لا  
تثير الشبهات، فإنها لجأت إلى أسلوب التعويض الذي قبل به  
بعض الفلاحين مكرهين، بينما رفضه آخرون لاعتبارهم إياه  
استخفافاً بهم واحتقاراً لهم واستهتاراً بحقوقهم، ومهما كان الأمر  
فإن النتيجة واحدة، وهي حرمان الأهالي الجزائريين من حقوقهم  
في ملكية الأراضي والروض الخشبية الاستعمارية الفرنسي  
ولقدرة.

تلكم هي تصرفات الذين ادعوا، بل واحترفوا الدفاع عن  
حقوق الإنسان وحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

ومن الأمور المثيرة للعجب والدمشة إقدام إدارة الاحتلال  
الفرنسي على مصادرة أراضي فلاحية يتمتع أصحابها بسندات  
رسمية تثبت امتلاكهم لها، كما هو الحال مع أراضي دوار سيدي  
أحمدوش (دائرة معسكر).

وقد أدى هذا التصرف إلى إحداث قلاقل بين الفلاحين  
وجعلهم أكثر إحساساً بحقوقهم المنغصة من جانب إدارة  
الاحتلال الفرنسي، فرفعوا مذكرة احتجاجية جماعية إلى الإدارة  
الاستعمارية مذيلة بإمضاءاتهم وأسمائهم، مدعومة برفقة بسند  
ملكية يعود إلى العهد العثماني يثبت أحقيتهم في امتلاكها، وعلى

أنهم اشتروها من الباي محمد بن عثمان الكبير في سنة 1185  
هـ/ 1771 م.

وقد ورد فيها صراحة أن الأرض التي صادرتها فرنسا قد  
«اشتراها السيد الحاج محمد بلعيد، وسي امعمر بن عيسى،  
وسيدي علي بن موسى، وجميع أولاد سيدي أحمدوش، ومن  
تنسل منهم من الذكور دون الإناث، من البائع لهم - كما ورد في  
النص - مولانا المؤيد السيد باي محمد بن عثمان المجاهد في سبيل  
الله، جميع الأرض المنسوبة لبني عامر المعروفة بـ«المدوة كقبة الولي  
الصالح سيدي أحمدوش معلومة عند العام والخاص بما فيها  
المقبرة المنسوبة لبني عامر، والحاسي اللي في وسط الطريق...»

وتنتهي الوثيقة بالعبارات التالية «باع إليهم ذلك بيعاً  
صحيحاً بأربعمئة ريالاً صرف الجزائر بعد ما قبضها السيد  
الباي المذكور قبضاً وافياً، ودفعها في بيت مال المسلمين، وبذلك  
صارت ملكاً للمساكين... لا دخل لأحد فيها، بحضرة السيد  
التهامي بلمختار، والسيد الحاج الطاهر بن عبد القادر وباي  
شاوش أحمد بن خدة»<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 5 L/25 (colonisation officielle)

والىكم فيما يلي نسخة من هذه المذكرة، مرفقة بنسخة من  
سند البيع الذي يحتوي على تفاصيل دقيقة عن المعالم الحدودية  
لهذه الملكية الأرضية مع توقعات أعيان الدواوير.

نسخة من الشكوى الجماعية لسكان قبيلة سيدي حمادوش (معسكر)  
شد قرار مصادرة أراضيهم مرفقة بسند الملكية



المصدر: C.A.O.M. G.G.A. Carton 5 L/25 (colonisation officielle).



توفيعات اعيان الدواوير وكبرانهم<sup>(1)</sup>

Handwritten text in Arabic script, likely a manuscript page. The text is dense and covers most of the page, with some lines written in a different script (possibly Persian or Turkish) at the bottom right. The page is numbered '140' in the top right corner.

[illegible]

بعض الجزائريين لم يكن يروق لهم الاستمرار في العيش تحت وطأة الظلم، فكانت لهم مواقف مشهودة حيال إجراءات الفرنسية واغتصاب الأراضي من الفلاحين الجزائريين، ومن بين هؤلاء المدعو عبد القادر ولد عيسى الذي رفع احتجاجا إلى الحاكم العام للجزائر يرفض فيه التعويض عن أرضه التي صودرت منه في دوار القراينية والمقدرة مساحتها بعشرين هكتارا، المذكور الحاكم العام للجزائر في آخر الرسالة بتصريحات فرنسا إثر سقوط الجزائر في سنة 1830 احترامها للديانة وللممتلكات<sup>(1)</sup>

قل ما نجد احتجاجا مثل هذا يذكر فرنسا بعدم وفائها  
بوعودها، وقد أثارت هذه الرسالة الاحتجاجية حفيظة كل من  
المتصرف الإداري لبلدية كاشرو المختلطة (سيدي قادة حاليا)  
ورئيس دائرة معسكر، حيث أكد كل منهما في مراسلاته مع عامل  
عمالة وهران، والحاكم العام للجزائر أن عبد القادر ولد عيسى  
ليس له إلا أن يقبل بالتعويض كنصيحة له لأنه ساء هما أن  
يسمعا أصواتنا تتعالى بالشكوى والاحتجاج، وتعرب صراحة عن  
دهشتها البالغة في تناقض فرنسا مع مبادئها وتعهداتها للجزائريين  
بعدم المساس بملكياتهم.

<sup>11</sup> CAOM, GGA, Carton 2 M/40 (réclamation de M A.E.K. oul d'Alsace en date du 18-10-1889).

وقد حركت هذه الرسالة سكون الحاكم العام للجزائر الذي  
أبوق رسالة إلى عامل عمالة وهران يحث فيها على التعجيل  
بتعويض الأشخاص الذين صودرت أراضيهم<sup>(1)</sup> وفي الأخير  
أرغم عبد القادر ولد عيسى بن مكّي على قبول التعويض والكف  
عن الاحتجاج<sup>(2)</sup>

ولا يهمننا في هذا المجال أموض بأرض مماثلة في جهة أخرى  
أم لم يعوض بقدر ما يهمننا وعي هذا الفلاح وجرائته وشجاعته  
وتعلقه بأرض أجداده التي لم يرض عنها بديلا.

وقد أجبر بعض الفلاحين الجزائريين ممن اغتصبت أراضيهم  
لنستخدم كحزام أمني أو لتوسيع المراكز الاستيطانية - ولم توافق  
السلطات الاستعمارية على تعويضهم إياها بأراضي أخرى من  
أملك البلديات أو أملاك الغائبين المروثة على التخلي عن  
ممارسة الفلاحة بعد أن ضاقت بهم السبل ولم يجدوا لا من  
يقرضهم مالا ولا من يتصدق عليهم كما يشير إليه نص المذكرة  
الاحتجاجية التي بعث بها المدعو أحمد بن فطاف البزيد من دوار  
البكارية إلى الحاكم العام للجزائر والتي يطلب فيها بدل أرضه التي

ضاعت منه أن تمنحه سلطات الاحتلال تسريحا يسمح له بتعليم  
القراءة لأبناء الأهالي، أو توظيفه كمعون إداري. بعد أن ذكر  
الحاكم العام للجزائر بأنه تقدم بطلب مماثل خلال شهر مارس  
1889، لكن المتصرف الإداري منعه من الخروج إلى الدواوير لأداء  
مهمة التعليم<sup>(1)</sup>

فمع أنه تصرف وفق مرسوم 18 أكتوبر 1892 الذي لا  
يسمح للأهالي الجزائريين بممارسة التعليم الخاص إلا بإذن من  
الحاكم العام<sup>(2)</sup> وإن كان هذا المرسوم قد صدر يستين بعد تقديمه  
الطلب - إلا أن المتصرف الإداري قد استقبل طلبه بالعداء والتفور  
مما يجعلنا لا نشك في أن هذا السلوك يبرهن على الشعور العدائي  
لبعض المتصرفين الإداريين حيال الأهالي الجزائريين، وإليك فيما  
يلي نسخة من هذه المذكرة<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/47

<sup>(2)</sup> Claude COLLOT. Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale (1830 - 1962) Alger: P.U.F. 1987, p 315

<sup>(3)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/47

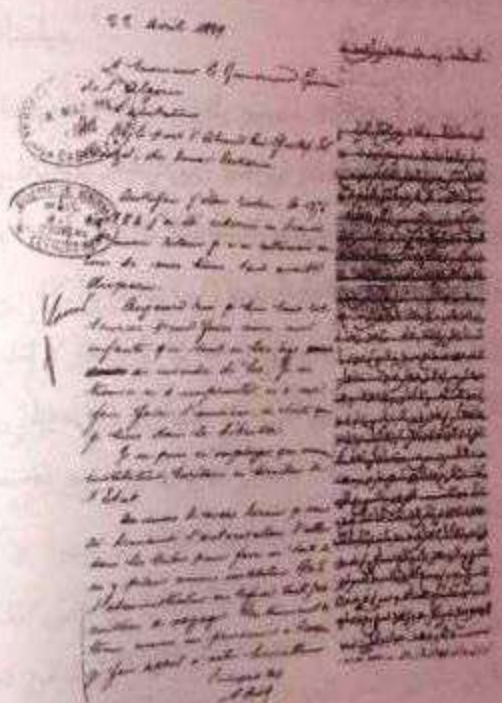
<sup>(1)</sup> Ibid. (le G.G.A. Mr le Greffier d'Oran en date du 09/12/1889).  
<sup>(2)</sup> Ibid. (renvoi de la réclamation de A.E.K.ould Aissa en date du 10-06-1890).



رسالة تشكي من مواطن جزائري (أحمد بن قطاف) إلى الحاكم العام للجزائر يعرض فيها سوء حاله بعد أن استولت إدارة الاحتلال على جميع ممتلكاته في أعقاب دغمة السجن فيما بين 1876-1884<sup>(1)</sup>

وقد أدت العرائض والمذكرات الاحتجاجية التي تقدم بها الفلاحون الجزائريون إلى البرلمان الفرنسي وإلى سلطات الاحتلال فيما بين 1892-1894 إلى تشكيل لجنة تحقيق برلمانية يرأسها «جول فيري» (Jules FERRY)، وذلك بعد أن وصلت إلى فرنسا تقارير تنذر بالخطر عن «الحالة العامة» لدى الجزائريين المقيمين في المناطق الجبلية، وبالإضافة إلى ذلك فقد اغتتم الجزائريون فرصة وجود «لجنة جول فيري» بينهم سنة 1892 وتقدموا إليها بمطالب قوية<sup>(1)</sup>، وتمكنت هذه اللجنة بعد جولة قامت بها عبر المناطق الأكثر تأثرا بالقانون الغابي وقوانين الاندماج وإجراءات القمع المسلطة على السكان من قبل الموظفين الإداريين العدائيين الشفقة من جمع شهادات الفلاحين، وتوصلت إلى الكشف عن عوامل أخرى ساهمت في ازدياد شقاء الفلاحين وبؤسهم، منها التكاليف الجبائية، ونتائج التشريعات العقارية.

وفي الجنوب الجزائري عارض السكان بشدة إقدام فرنسا على حفر الآبار، ومحاولة بسط سيطرتها على الواحات وإقامة المستوطنات العسكرية، وخير شاهد على ذلك مذكرة الاحتجاج الجماعية التي بعث بها باشا تيميمون والقرارة إلى القائد العسكري



(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج: 02، ط: 03، الجزائر: ش. بون ت. 1983، ص 80 (بصرف).

له فيها عن مخاوفه من انتشار لخبث ثورة الشيخ بوعمامة بالمناطق الجنوبية للجزائر<sup>(1)</sup>

وللإشارة فإن الرسالة التي بعث بها الجنرال «بوتارد» إلى الحاكم العام للجزائر يخبره فيها بخطورة الموقف الناجم عن حفر الآبار، والتي يعرض فيها عليه مشروعا بإنشاء سبعة نقاط مائية على الطريق الرابط بين المتبعة وتيلخوزة كانت تحمل علامة «سري» (Confidentiel)<sup>(2)</sup>

وما يمكن استخلاصه من هذا الاحتجاج الجماعي لسكان الجنوب الجزائري أن الماء كان أحد أهم أسباب صراعهم مع الاحتلال الفرنسي، وذلك لما قد ينجر عنه من مكاسب استراتيجية تساعد على تحقيق أحلام الكولون في تحويل الصحراء الجزائرية إلى جنة خضراء.

لقد ظلت المذكرات الاحتجاجية خلال القرن التاسع عشر تشكل واحدة من بين أهم الوسائل القانونية الكفيلة بتحقيق هدف الفلاحين الجزائريين في استعادة أراضيهم، وأداة ناجعة للتعبير عن موقفهم وإكترائهم بمسألة التعدي على حقوقهم

الفرنسي المقيم بالمتبعة، والتي تحمل أسماء وإمضاءات أحد عشرة قائدا اجتمعت كلمتهم على المعارضة الشديدة لاستيلاء الفرنسيين على أراضي تيمطيط، ودخولهم القصر من غير استئذان السكان أو القياد، وبلوغهم بساتين النخيل، وضمنوا رسالتهم خبرا مفاده أن قياد تدككت، وعين صالح، وسالي، غير راضين تماما بعملية حفر الفرنسيين لأبار في أراضيهم الواقعة بـ «تيلخوزة»، وأن الهجوم الذي تعرضت له الحامية العسكرية الفرنسية «بالأحمر» كان من صنع ثمانية عشر رجلا من المهارة أصحاب الشيخ سيدي بوعمامة، وأنهم معروفون بأسمائهم<sup>(1)</sup>

وفي نفس السياق وجه ثمانية عشر قائدا من الجنوب الجزائري رسالة جماعية بتاريخ 19 أوت 1896 يمتحجون فيها على الوجود العسكري الفرنسي فوق أراضيهم<sup>(2)</sup>

وأمام خطورة الموقف خاصة وأن هذه الاحتجاجات تزامنت مع ثورة الشيخ بوعمامة (1881-1904) - أسرع الجنرال «بوتارد» (BOITARD) قائد القسم العسكري للإقليم الوهراني بإبراق رسالة إلى الحاكم العام للجزائر يكشف

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 22 H/56

<sup>(2)</sup> Ibid. (12/04/1896).

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 22 H/56 (en date du 29.07.1896)

<sup>(2)</sup> Ibid



وامتنانها، كرفضهم لإقامة المشاريع الاستيطانية فوق أراضيهم، أو إسقاط حقهم فيها بعد ترحيلهم منها، أو إكراههم على القبول بالتعويض المالي والعيني.

ومن بين المذكرات التي تثير رفض الفلاحين لسياسة التعويض والتي يجدر بنا التوقف عندها إثباتا لهذه الحقيقة، أربعة رسائل احتجاجية بعث بها أصحابها إلى المتصرف الإداري لبلدية كاشرو المختلطة ونسموط، يعترضون فيها بشدة على قرار مصادرة أراضيهم وتعويضهم إياها بأراضي أخرى<sup>(1)</sup> إلى جانب عريضة أخرى رفعها تسعة فلاحين من دوار

حجاجة (معسكر) إلى المحاكم العام يبدون فيها رفضهم للأراضي التي منحهم إياها إدارة الاحتلال بديلا عن أراضيهم<sup>(2)</sup>

وظلت العرائض الاحتجاجية حول ملكية الأرض ترد من الفلاحين الجزائريين تبعا على سلطات الاحتلال الفرنسي خلال الفترة ما بين 1900 و 1962، وتثل مظهرها بارزا لتشكي الفلاحين من سوء حالهم، ومؤشرا لتنبهم الدفاع عن أراضيهم ومطالبتهم لحقوقهم بأنفسهم كما سيظهر من خلال النماذج التي

<sup>(1)</sup> C.A.O.M.G.G.A Carton 2M/40 (réclamation de divers indigènes Pailao  
le: 01/10/1897  
<sup>(2)</sup> C.A.O.M.G.G.A Carton 2M/07 (en date du 02/03/1899).

ستعرض لاحقا، مثل العريضة الاحتجاجية التي تقدم بها المدعو بن نغماس أحمد بن محمد من عين ثموشنت إلى المحاكم العام للجزائر يطالب فيها بأرض جدّه الولي الصالح سيدي محمد بن نغماس دفين «ريوسالادو» (المالح حاليا) غرب وهران، والمقدرة مساحتها بـ 32,5 هكتارا - حيث يوجد ضريحه - والتي استولى عليها أحد الكولون، وقد تضمنت العريضة معلومات بخصوص التحقيق الجزئي الذي خضعت له هذه الأرض سنة 1875، وتفاصيل دقيقة بأسماء الورثة من ذرية وأحفاد سيدي محمد بن نغماس، وتنتهي بطلب الإلتماس من المحاكم العام للجزائر فتح تحقيق ينصف الورثة ويمنحهم حقوقهم في الإرث<sup>(1)</sup> إلا أننا لم نعثر على جواب من إدارة الاحتلال على هذه الرسالة، وإليك نسخة منها.

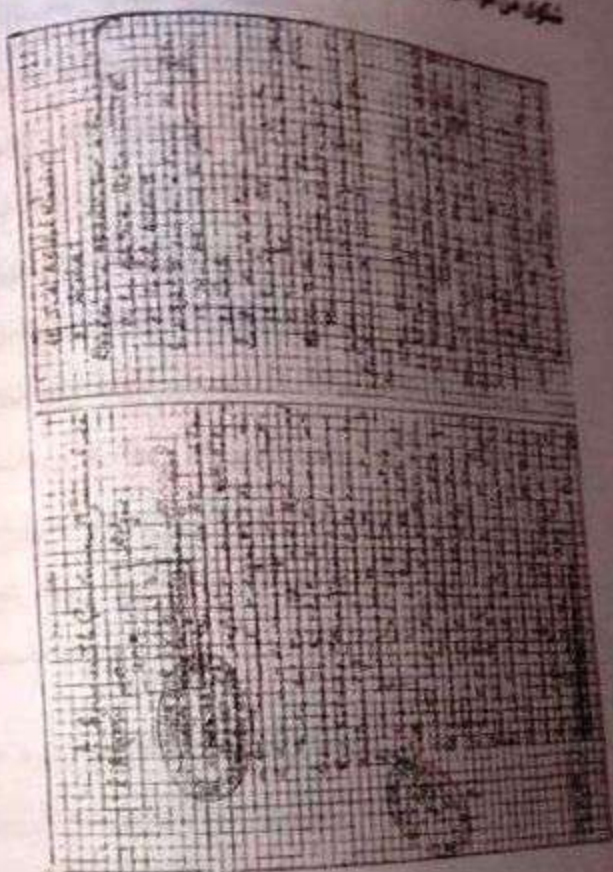
<sup>(1)</sup> C.A.O.M.G.G.A Carton 3N/01 (le 17 Juin 1931)

تجلت معارضة الجزائريين ورفضهم التخلي عن حقوقهم في ملكيتهم لأراضيهم من خلال رد فعلهم وتصديهم لمرسوم 13 سبتمبر 1904 الذي أبقى على الامتياز المجاني للكلون بشرط الإقامة في الجزائر لمدة عشر سنوات على الأقل، ونص على استعادة عملية بيع الأراضي عن طريق المكتب المقترح للأوروبيين، واستثنى الأهالي الجزائريين من الاستفادة من إجراءاته بناء على نص المادة الثالثة منه (1)

وقد يلمس القارئ للمذكرات الاحتجاجية الغيرة الوطنية للفلاحين الجزائريين وهي تندفق من بين السطور دفاعا عن حقوقهم في ملكيتهم لأراضي آبائهم وأجدادهم، وكشفا للمخطط الاستعماري الاستيطاني، ونداءات حارة موجهة للإدارة الاستعمارية للتدخل لصالحهم من أجل القضاء على تجاوزات الكلون ووضع حد لجشعهم.

وأمام تصاعد الاحتجاجات ضد جور فرنسا وغضاها الطرف عن تهافت الكلون للحصول على المزيد من الأراضي تدخلت الإدارة الاستعمارية لمعالجة الموقف، فشرعت خلال عام 1910 في دراسة المذكرات الاحتجاجية للفلاحين الجزائريين

(1) Le département d'Oran et son conseil général 1830-1930, p 206





التوسع على حساب أراضي جيرانه تأميناً لمستقبله وتركيزاً للملكية  
الأراضي بيده لوحده، وتصميماً على تجريد الفلاحين الجزائريين  
المجاورين له من حقهم في ملكية أراضيهم.

وهذا السلوك يعتبر أحد أهم المظاهر البارزة لاتجاه الكولون  
في تجاهلهم لحقوق الأهالي، ونظرتهم إليهم كأنهم مجرد أصحاب  
أملاك ينتظرون مبادرة الشاري للإسراع في بيع أراضيهم  
وممتلكاتهم، ليصبحوا بذلك أسبداً مطلقين على الأراضي  
الجزائرية بعد انتزاعهم الاعتراف من السلطة بملكيتها.

ومن بين الذين طالبوا باستعادة حقهم في الأراضي التي  
صادرتها فرنسا منهم عقاباً لهم على تمردهم ضدها- نذكر جماعة  
قبيلة العمري التي رفعت احتجاجاً في 13 جوان 1906 إلى الحاكم  
العام للجزائر، أمضى عليه عشرة أشخاص إثر اجتماع لهم  
بإحدى المقاهي<sup>(1)</sup> يطالبون فيه من سلطات الاحتلال أن تعيد  
إليهم الأراضي وبساتين النخيل التي صودرت منهم عقب ثورة  
واحة العمري سنة<sup>(2)</sup> 1876، وللعلم فقد تحولت الممتلكات

(1) C.A.O.M. G.G.A. Carton 2H/90 (les membres de la Djemâa de Lamri  
(Bouazid) commune de Biskra à Mr le gouverneur général à Alger en date du  
13/06/1906).

(2) تقع واحة العمري على بعد 48 كلم جنوب غربي بسكرة، اندلعت فيها الثورة ضد  
فرنسا عام 1876 برعاية محمد يحيى بن محمد شيوخ أولاد إدريس

والتكولون معاً بدأ بدوار أولاد بورنان. ومن بين تسعة وثلاثين  
مذكرة احتجاجية منها سبعة وعشرون مسجلة في دفتر  
الاحتجاجات باللغة الفرنسية، واثنى عشرة مذكرة مسجلة باللغة  
العربية. وجدت مذكرات احتجاجية لمعمرين أوروبيين من بينهم:  
بوستوميس (POUSTOMIS) و«رينوماري» (RENOUS)  
ماريه (MARIE) وأرملة «لامورو» (LAMOUREUX) وزوجة  
«رونيوش» (RODERICH) وشريكها «درمي» (DERMY).  
ولابيا «جورس» (GORSSE) يطالبون فيها بتوسيع ملكياتهم  
على حساب أراضي جيرانهم، وطرد الفلاحين الجزائريين من  
سكانهم البنية فوق الأراضي التي اشتراها الكولون منهم.

لما الفلاحون الجزائريون فكانت احتجاجاتهم ضد محاولات  
الكولون التوسع على حساب أراضيهم، وتأخرهم في دفع مبالغ  
شراء الأراضي منهم<sup>(1)</sup>

مثل هذه الاحتجاجات تمنحنا الفرصة لنقارن بين مطالب  
الأهالي ومطالب الكولون، ففي حين نرى فريق الأهالي يشكو  
من جور الكولون وتوسعهم ظلماً على حساب أراضيهم، نرى  
الفريق الثاني يطالب السلطات الاستعمارية المحلية بمساعدته على

(1) C.A.O.M G.G.A. Carton 1N/05

المصادرة في نوفمبر 1879 من أملاك للدولة إلى اثنين من الكولون  
أحدهم يدعى «تير فوربولي» (Tierre FORIOLI) والثاني  
اسرائيلين (SARRAVIN).

وذكر الفلاحون الجزائريون الحاكم العام بأن هذه الرسالة  
هي الثالثة من نوعها بعد الرسالة الجماعية التي بعثوها إليه في 20  
جوان 1904 والتي لم يعترف لهم في الإجابة عليها بحقوقهم في  
ملكيتهم لأراضيهم المكتسبة بالقول أنه يمكن استعادتها من  
الكولون عن طريق شرائها منهم.

أما الرسالة الأولى التي وجهت إلى الحاكم العام للجزائر  
والتي تعود إلى سنة 1886 فقد ناشد فيها سكان واحة العمري  
سلطات الاحتلال السماح لهم بزراعة أراضيهم المحتجزة لأنها  
المصدر الوحيد لضمان العيش لأبنائهم ولعائلاتهم التي تعاني  
الفقر والجوع<sup>(1)</sup>

وللإشارة فإن عائلات واحة العمري التي لم يثبت تورطها  
في أعمال ضد فرنسا ظلت تتمتع بأراضيها الزراعية والرعية  
وتحظى بالحماية الاستعمارية<sup>(2)</sup>

وفي شهر نوفمبر من سنة 1910 تقدمت جماعة العمري مرة  
أخرى بعريضة تطالب فيها الحاكم العام للجزائر مجدداً السماح لها  
بشراء الأراضي المحتجزة عقب ثورة العمري (1876)، لكن الحاكم  
العام رد عليهم بأن الأراضي المحتجزة قد تم بيعها للكولون وما  
عليهم سوى التوجه لملاكها لشرائها منهم، وإليك فيما يلي نسخة  
من هذه الرسالة مع ترجمة إلى الفرنسية.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 2H/90 (en date du 21/01/1886)  
<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 2H/90 (listes nominatives des libanais ruraux  
fidèles avec indication des tentes et des troupeaux, en date du 22/02/1887)





وقد يظهر لقارئ هذه الرسالة مبالغة أصحابها في الدخ  
والظلمة التي للدولة الفرنسية الاستعمارية وتجريم أبائهم.

لكن ينبغي أن يفهم من ذلك أنه ليس إلا أسلوبا حكيما  
يراد منه استعطاف فرنسا، وليستكنوا عن طريق هذه المزاوغة من  
استعادة الأراضي التي صادرتها فرنسا من أبائهم وأجدادهم  
بإجراء عقابي - جماعي يشمل كل أفراد القبيلة بسبب  
عصيانها وتبردها على فرنسا سنة 1876 - وتقديمها يد المساعدة  
والعون للثائر محمد يحيى بن محمد شيخ أولاد ادريس الذين هم  
فرع من أولاد بوزيد - مشيرين أن العقاب قد لحق بهم بحكم  
التبعية لأبائهم مع أنهم كانوا آنذاك أطفالا صغارا، وأن المسؤولية  
تقع على أبائهم الذين تم نفي البعض منهم إلى كاليدونيا الجديدة،  
بينما البعض الآخر وفته المتبنة، ومن بقي على قيد الحياة لم يعد له  
شان ولا تأثير.

فعلوا ذلك لعلهم يلتبسون من الحاكم العام للجزائر عفو  
بمسلمهم ونعاد إليهم بمقتضاء الأراضي التي صودرت من آبائهم.  
إن التمسع في هذا التشكي يدرك من خلال كلماته أن  
أصحابه لم يطلبوا من فرنسا إعانة أو مساعدة (فهم ليسوا سوالين)  
وإنما طلبوا منها أن ترد إليهم حقوقهم الضائع، لأن الأمر آل بهم إلى

التدهور الاقتصادي والفقر الاجتماعي بسبب مصادرة أراضي  
أبائهم.

وما تضرعهم إلى الحاكم العام للجزائر وتوسلهم إليه  
باستغاثة أقرب ما تكون إلى النثر «أنت أبو الجميع، ولا تترك أحدا  
يضيع، وتنتظر إليه بعين الرحمة بعد القهر ليطيع، وينتهي عما صدر  
منه ويربع (كذا)...» سوى وسيلة أدبية سليمة ومفضلة لكسب  
مشاعر الخصم وعواطفه.

ومن المذكرات التي تدلنا على التجاوزات والتعدييات  
الفرنسية على ممتلكات الأهالي، وتكشف لنا عن الإحساس  
الفطري للجزائريين في تمسكهم بأراضيهم، وتعلقهم بها، نموذج  
التشكي الذي رفعه أعضاء جماعة عرش الصحاري إلى مدير  
أملاك الدومين بوهران يعربون فيه عن تشاؤمهم من الإجراءات  
التطبيقية لقانون 16 فبراير 1897 وينددون به، ويعتبرونه جائرا  
ومجحفا في حقهم لأنه حرم أزيد من 50.000 رأس من الأغنام من  
الاستفادة من المراعي الشاسعة التي انتزعت منهم<sup>(1)</sup>

إن هذا التشكي، رغم ضعف لغته وركاكة تعبيره إلا أنه  
استطاع أن يمدنا بمعلومات عن الحالة البائسة التي آل إليها سكان  
عرش الصحاري، ويفضح جشع الفرنسيين الذين لم يكن لهم من

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 1N/05 (réclamations)





وحتى تخفف من حدة رفض الأهالي لعملية اغتصاب الأراضي والكف عن المطالبة باستعادتها، سلكت إدارة الاحتلال تكتيكا قتل في من قواين إدارية صارمة من شأنها أن توجيل عودة الأراضي للجزائريين، ونكرهم على التخلي عن المطالبة بها بحجة أن المذكرات والعرائض التي تقدم بها الفلاحون يسودها الغموض والالتباس، وهي تخلو من الإشارات التوضيحية بما في ذلك عدم صحة اسم المستفيد وموقع الملكية الأرضية التي يطالب بها، وتذرعت في ردّها أن هذا يتطلب عناء وبحثا طويلا من قبل مصالح الأرشف.

وفرضت على المشتكين تقديم عرائضهم الاحتجاجية إلى السلطات المحلية وليس رأسا إلى الحاكم العام للجزائر، على أن تتولى الإدارة المحلية إحالتها إلى مصالح العمالة، وذلك بعد فحصها والإبداء بملاحظات حولها حتى تسهل عمل الوثائقي وتخفف على المشتكين مشقة التنقل، وصرف مبالغ إضافية للوصول إلى مقر العمالة<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> Préfecture d'Oran- Recueil officiel des actes administratifs, années 1912-1913, pp 27-28

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى وحتى لا يعجل الجزائريون نحو المعسكر الألماني-التركي عمدت سلطات الاحتلال الفرنسي إلى التغرب من الأهالي رغبة في استغلالهم لخدمة أغراضها والاستعانة بهم في قتال الألمان والأتراك، ولم يكن منطقها وليد حب فرنسي لهم أو رغبة جامحة في خيبرهم ومساعدتهم على نيل حقوقهم؛ وتمكنت من إقناعهم بالعدول عن طلب جوازات السفر إلى سوريا بعد أن نجحت في بث إشاعات في الوسط الجماهيري الجزائري مفادها أن العائدين من المدينة المنورة قد جاءوا بأخبار تؤكد أن الأتراك قد وضعوا أيديهم على ممتلكات المهاجرين الجزائريين في سوريا<sup>(1)</sup> والتفتت إلى الأعيان وإلى البرجوازية الجزائرية المثقفة في محاولة لاستمالتها.

وتشير تقارير الشرطة الاستعمارية أن بعض المدن الجزائرية أنشئت بها جمعيات مؤيدة لقضية فرنسا منها «لجنة أعيان الأهالي بمدينة معسكر»

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H/16 ( extraits des rapports des commissions de police - confidentiel- le 08/11/1914).



تعرض لتقييد أسماء الراغبين في التبرع بالبسة دافئة وأقنعة  
واغطية لإرسالها إلى الجنود المقاتلين في جبهات الحرب<sup>(1)</sup> وأقرت  
ولم تلت إدارة الاحتلال سكان الأرياف بأن المتصرفين  
الإداريين متكون على مناقشة قانون الأنديجينا ومراجعتها  
لصالحهم<sup>(2)</sup>

وفي العرض الذي تقدم به «م. باستور» (M. PASTOR)  
وهو صيدلي ونائب بلدية قسنطينة أمام اجتماع للنادي الفرنسي  
الجزائري يوم 19 مارس 1914 ذكر بأن الجزائريين في الأرياف  
يستمعون مطولا عن النهضة الفلاحية، وحق الأهالي في  
استخدام المعدات الفلاحية الحديثة، والاستفادة من القروض  
البنكية، إلا أن الدعاية الفرنسية لم تكن مجهولة الأهداف لدى  
الأهالي، فقي صفوف الفلاحين أخذت الشكوك والمخاوف تزدهر  
جبال المستعمر، وبالنظر للنتائج السيئة للسنة الزراعية (1914)

<sup>(1)</sup> تلك هذه لائحة من الآتي أسمائهم: معمر بوشنتوف (فلاح ومستشار في المجلس  
البلدي) رافا فرملة عبد الرحيم (خوجة بلدية معسكر المختلطة) أمينا. أسية مصد  
(مزرعة) أمينا الخزينة. والأعضاء الإضافيون هم: عبد حنيفة عبد القادر (فلاح  
ومنتخب طبر)، بقية عبد القادر (نائب بفرجة) خليل الحاج أحمد بن خليل (تاجر)  
<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/16 (extrait des rapports de commissaires de  
Police (1914)).

اتخذت فرنسا إجراءات مسبقة تجاه الفلاحين<sup>(1)</sup> الذين قابلوها  
بالعداء والنفور، وعبروا عن ذلك بشنهم إضرابا عاما عن العمل  
بالقابات لصالح الكولون<sup>(2)</sup> وهاجوا ضيعات الكولون المنعزلة  
لاسيما في بلاد القبائل. وفي بعض جهات الوطن تعرضت بعض  
الشخصيات الجزائرية المتعاملة مع الاستعمار إلى عمليات  
اغتيال<sup>(3)</sup> كما ثار الفلاحون في جبال بني شقران ضد الوجود  
الفرنسي تحت ذريعة الامتناع عن السماح لأبنائهم بالالتحاق  
بالخدمة العسكرية الإجبارية<sup>(4)</sup>

وسوف نعود للحديث عن ثورة بني شقران في الفصل  
الخاص بمظاهر النضال ضد احتكار فرنسا للأراضي الفلاحية.

أما الأمير خالد بن هاشمي فقد احتج في الرسالة التي بعث  
بها إلى ولسن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بشدة على

<sup>(1)</sup> Ibid.

<sup>(2)</sup> Ibid.

<sup>(3)</sup> من بين المتعاملين الذين تعرضوا لعملية اغتيال نذكر عبد حنيفة الحاج عثمان  
المستشار البلدي والقاضي بمعركة معسكر الذي تمت مراسيم دفنه على الساعة  
العاشرة صباحا من يوم 26 نوفمبر 1914 بحضور «مارتن بارت» رئيس  
دائرة معسكر يرافقه كل من رئيس البلدية والنائب العام، وحوالي أربعة آلاف  
مواطن (C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/16).

<sup>(4)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/16, (extrait des rapports mensuels d'Octobre  
1914, Alger le 11/11/1914)

الغصب فرنسا للأراضي الفلاحية الجزائرية، وطرد أصحابها منها تحت ذريعة المنفعة العامة مشيرا إلى أن مصادرة أملاك الأحياس قد حرمت المؤسسات الدينية والفقراء من الاستفادة من مداخيلها<sup>(1)</sup> وفي الاستعمار الفرنسي بالاستعمار الروماني لسولوكهما نفس الحطة في انتزاعهما الأراضي الفلاحية من أصحابها الشرعيين وتوزيعها على الكولون.

لما اقترحات النواب الجزائريين - داخل الوفود المالية- الرامية إلى حل مشكلات الفلاحين، فقد كانت لا تخصى بتصويت أو موافقة الأغلبية عليها، ولهذا كانت تسحب بسرعة، ولا حاجة لنا للدخول في موضوع الضغوطات والمناورات والإغراءات للجيلولة دون الموافقة عليها.

إن الحاكم العام للجزائر السيد «بورداس» (BORDES) قد صرح في عام 1922 أمام الوفود المالية قائلا «أنه لمن سوء النية أن نعلن أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر مبني على مصادرة أراضي الجزائريين».

لما (فيوليت)، فقد بين قائلا «أن إجراءات المصادرة ستكون ضرورية عندما نريد توسيع قرية»<sup>(2)</sup>

ومن المسائل التي تدل على حدة التنافس بين الفلاحين الجزائريين والكولون حول ملكية الأرض احتجاج الكولون ضد هجرة العمال الجزائريين إلى الخارج، لأن الهجرة قد مكنت الكثير من الفلاحين المهاجرين من جمع ثروة مالية سمحت لهم باستعادة أراضيهم التي استلبت منهم<sup>(1)</sup>

وقد اعتبر الكاتب الجزائري مصطفى الأشرف أسلوب المهاجرين الجزائريين في صرف أموالهم من أجل استعادة أراضيهم عن طريق

شراؤها من الكولون كأداة فعالة في استراتيجية المقاومة السلمية الطويلة الأمد<sup>(2)</sup>

ويمكن الاستدلال باستمرار صدور الشكاوي من الفلاحين الجزائريين على موقفهم الحازم ووفائهم الخالص في الحفاظ على أراضي آبائهم وعدم التخلي عنها مهما باعد الزمان بينهم وبين تاريخ الاستيلاء عليها، ومن الأمثلة على ذلك المذكرة الاحتجاجية التي رفعها المدعو قلوبو ميلود ولد محمد إلى الحاكم

<sup>(1)</sup> Abdelkader LAKJAA. La longue marche des ouvriers agricoles de la résistance à la prolétarianisation, à la conquête de l'identité VI. Thèse doctorat 3<sup>ème</sup> cycle, sociologie du travail université de Paris, p 64.

<sup>(2)</sup> Mostefa LACHERAF. L'Algérie nation et société, Paris maspero 1974, p 12

<sup>(1)</sup> Mahfoud KADDACHE, l'Emir Khaled, Alger, OPU 1987, p 122

<sup>(2)</sup> Abdellah LAROUL. L'histoire du Maghreb T II, Paris 1978, p 49



العلم ضد الكولون الذي استولى على أرضه وظل يستغلها لمدة ثلاثين سنة كاملة

أما الفلاحون الجزائريون الذين تقدموا بشكاوي يدعون فيها امتلاكهم لأراضي فلاحية بدون تقديم الأدلة والسندات فإن فرنسا أبطلت ادعاءاتهم وأسقطت حقهم فيها، فلم تترك لهم حيلة أو وسيلة يتفنون بها إلى الأراضي التي يدعونها، ومن هؤلاء المدعو عادل مدني، ويوهلال محمد من دوار أولاد سعيد اللذين احتجوا على القرار الذي منعهما من زراعة الأراضي التي يدعيان ملكيتها باعتبارها كانت أصلا موقعا لسد مائي جرفته الفيضانات عام 1927، وقد غرمتهم سلطات الاحتلال بمائتي فرنك<sup>(1)</sup>

كما ادعى شخص آخر من مدينة معسكر يدعى بن شنين عبد القادر ولد زمعلاش في مارس 1934 بأن أرضا في «دويليو» (أحسين) تقدر بـ 84 هكتارا هي ملك له قد ورثها من آباءه من دون أن يثبت ذلك عن طريق سند مكتوب<sup>(2)</sup>

ونتيجة إصراف الفلاحين الجزائريين في بيع أراضيهم للكولون في بعض الجهات من الوطن أصبحت أراضي الكولون تهاجم أراضي بعض الفلاحين الجزائريين من جميع الجهات وهو الأمر الذي تسبب في خلق متاعب للفلاحين وألحق بهم أذى

كثيرا، ونستدل على هذه الحالة بنص الرسالة التي بعث بها بن ديو عبد القادر ولد قدور إلى عامل عمالة

وهران والتي يقول فيها: «محوّرتي مساحة أرضية بشعين هكتار من بينها اثنتي عشرة هكتارا مزروعة نباتات أمريكية وخمسين شجرة زيتون، تطوقها من جميع الجهات أراضي فلاحية يمتلكها أربعة كولون، وقد منعتني أحدهم يدعى «هنري بيغول» (Henri PUGOL) من اجتياز ممر عبر أرضه يصلني بأرضي»<sup>(1)</sup>

وللعلم فإن الممر كان مفتوحا للمارة منذ ثلاثة وخمسين سنة، إلا أن هذا الكولون اعترض سبيلي في أحد الأيام وهو يعمل مسدسا يدويا (Revolver) وهددني قائلا: «لو تستقل عبر هذا الممر سأحرق رأسك، وأرغمني على الرجوع من حيث أتيت، ثم هتف لرجال الدرك يشتكي مني، لكن بمجرد وصولهم أبلغوه أن الممر مفتوح ويستخدم كمسلك للمارة منذ مدة طويلة، وليس له الحق في منع الناس من المرور، إلا أنه لم يسمع لكلامهم، وعلى هذا الأساس أطلب منكم منحي إذنا بالمرور عبر هذا المسلك»<sup>(2)</sup>

واليكم فيما يلي نسخة من نص هذه الرسالة.

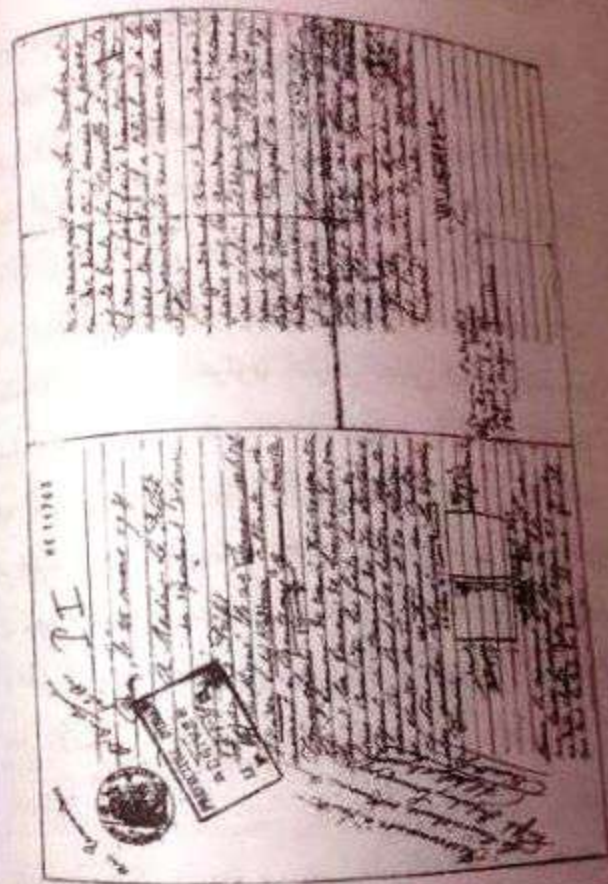
<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton 3N/1 (réclamation)

<sup>(2)</sup> Ibid.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton 3N/8 (réclamation)

<sup>(2)</sup> Ibid.

تشكي فلاح جزائري ضد معمر فرنسي سد أمامه الممر الواصل إلى  
حقه غير مسلك بحتار أرض المعمر (1)



CAOM GGA Carte 1971

يشك من تصرف هذا الكولون أنه كان يرغب في مذهب  
إلى أرض هذا الفلاح الجزائري؛ وقد تدرك بهذه الوسيلة كمبرر  
لإكراهه على التنازل عن أرضه عن طريق بيعها له تخلفا من  
المضايقات.

وللإشارة فإن مثل هذه التصرفات لا زال الجزائريون  
يذكرونها لحد الآن لما تركته من أثر مسمى في نفوسهم.

وبناء على نص الرسالة التي بعث بها المتصرف الإداري  
بلدية فرندة المختلطة إلى عامل عمالة وهران في 02 ديسمبر 1932  
ينبني بأن الفلاحين الجزائريين كانوا يرون في مصادرة أراضيهم  
الفلاحية خطرا يهدد مستقبلهم الاقتصادي والاجتماعي. وفي هذا  
الشان يقول المتصرف الإداري: «لم يعارض الفلاحون الجزائريون  
فكرة تعويض أراضيهم التي صودرت منهم في كل من مدرسة و  
لوهو بأراضي أخرى مقابلها في بلدية جبل النادور المختلطة، إلا  
أنهم يرغبون في أن تكون الأراضي الممنوحة لهم غير بعيدة عن  
دواويرهم الأصلية وصالحة للزراعة».

وأبلغ المتصرف الإداري بلدية فرندة المختلطة عامل عمالة  
وهران بأن القطع الأرضية التابعة للدومين - المعينة للتعويض -  
والواقعة في دواوير دحالة، أولاد جراد، والجديد لا تتوفر على



الشروطين التاليين طلبهما الفلاحون، وعلى هذا الأساس سيجري  
تعويضهم في الأراضي المسماة «أم الذباح»، وستمنح لهم مساحة  
أرضية تقدر بأربعمائة هكتار في دوار أولاد بلحسين ببلدية جبل  
التاور المختلطة والغير بعيدة عن حدود دوار لوهو، ومركز  
بالات الاستيطاني (ملاكو حاليا).

كما رغب المحتجون أن يمنحوا تعويضا بأراضي الدومين  
الحقبة لوائي بنا في إقليم بلدية «تريزال» (السوق حاليا) أو  
بلدية تيارت المختلطة<sup>(1)</sup>

ولعل عبارة عرضونا بأرض صالحة للزراعة ولا تبعد عن  
دواويرنا نجسم في ذهن القارئ فكرة تشدق الجزائريين بأراضيهم  
الأصلية، وعدم رضاهم باستبدالها أو تعويضها بأرض أخرى،  
ولاسيما إذا كانت بعيدة، وفي مناطق جرداء وعطشى، ومع هذا لم  
يحدوا من

حل حاسم لعضلتهم سوى القبول بالتعويض مكرهين، وهذا  
حرمانهم على الإبقاء على أراضيهم الفلاحية بين أيديهم كما  
أنهم لم يقبلوا بالتعويض المالي لأنهم كانوا على بصيرة من أن بيع

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton 3N/1 (expropriation - recasement).  
L'administrateur de la commune mixte de Freneda à monsieur le Préfet  
d'Oran en date du 02/12/1932.

الأراضي أو التنازل عنها مقابل مبلغ مالي سوف يحوّلهم إلى غرباء  
في بلدهم ويحرمهم من خدمات أراضيهم بصفة أبدية.

وكثيرا ما احتقر القياد المواليون للاستعمار ممن تبنا نظرية  
استخفافية واستعلالية حيال الأهالي، فاستولوا على أراضي  
ليست لهم وبدون مبرر، ولا بأس من الاستشهاد بالملكرة  
الاحتجاجية التي تقدم بها المدعو صوفي محمد ولد بن يحيى من  
عين تموشنت إلى المحافظ المحقق ومدير المصلحة التوبوغرافية لعمالة  
وهران يشتكي فيها من القايد بن شبيحة الذي اغتنم فرصة انتقاله  
إلى أوروبا للمشاركة إلى جانب الجيش الفرنسي في الحرب والقتال  
معه، فأخرج إخوته من الأرض المسماة «بولعزارة» في دوار  
عويليل ليستغلها لصالحه، ويتوسع على حسابها<sup>(1)</sup> وإليك فيما  
يلي نسخة من نص هذه الرسالة الاحتجاجية.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton 3N/1.





لم تكن ظاهرة الاستيلاء على أراضي الغائبين من أجل أداء الخدمة العسكرية الإجبارية أو المشاركة في جبهات القتال أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1918) مقصورة على القياد فقط، وإنما شملت كذلك موظفي أملاك الدولة والفلاحين الجزائريين.

وقد وجدت مذكرات وعرائض احتجاجية لأشخاص ولعائلات أغتصبت أراضيهم أثناء غيابهم منها على سبيل المثال تلك التي تقدم بها المدعو طيبي الحاج حمزة الذي تحولت أرضيه الرعوية والمقدرة مساحتها بمائتي وسبعة وعشرين هكتارا إلى أملاك الدولة والتي يستعطف فيها عامل عمالة وهران بأنه أخلص في وُدّه لفرنسا بأدائه الخدمة العسكرية ووضع نفسه رهن السلطة الاستعمارية خلال الحرب العالمية الأولى<sup>(1)</sup>

وهناك عرائض رفعت إلى وزير الداخلية الفرنسي كما هو الحال مع المدعو حبوب محمد بن غلام الله الذي تقدم باحتجاج حول أرضه التي استولى عليها فلاحون جزائريون أثناء غيابه، يتظاهر فيها بإخلاصه لفرنسا كسبا لود وعطف وزير الداخلية<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton. IM/68 (protestation)

<sup>(2)</sup> Ibid.

وتسائل المتصرف الإداري عن الكيفية التي يجب تطبيقها لحماية الفلاحين الجزائريين من المضاربين، وما هي الوسيلة التي تمكنهم من بيع إنتاجهم في ظروف عادية<sup>(1)</sup>

وعن الحالة المؤسفة التي يعيشها العمال الأهالي في مزارع الكولون يطالعنا تقرير آخر للدرك الاستعماري الفرنسي مفاده أن بعض المعمرين تقدموا بشكاوي ضد العمال الجزائريين الذين امتنعوا عن قطف العنب بحجة أن مدة العمل اليومي هي أحد عشرة ساعة وليس ثماني ساعات، وأن العمال الذين تقل أعمارهم عن اثنين وعشرين سنة يعتبرون أطفالا يتقاضون تسع فرنكات في اليوم - فقط - ويشير نفس التقرير أن الأهالي العاملين في مزارع الكولون يتعرضون لعقوبات لأتفه الأسباب، وأن المعمرين يجبرون العاملين في حقولهم على شراء الخبز منهم بمبلغ 3,10 فرنكا للخبزة الواحدة - التي يقل وزنها عن الكيلوغرام الواحد -

وأكدت تحريات الدرك الاستعماري أن اثنين من الكولون وهما «كامبس» (CAMBS) من الهميز، و«بارتاب» (BARNABE)

وقد سار كثيرون على هذا المنوال توددا لفرنسا، منهم المدعو علق من ذعية الذي بعث برسالة إلى أحد النواب في المجلس الوطني التونسي<sup>(1)</sup>

غير أن هناك نظرة عجيبة إلى حقوق الأهالي من لدن بعض المتصرفين الإداريين الذين رفعوا تقارير إلى السلطات الاستعمارية الوعية يشكون فيها من ظلم المضاربين للفلاحين الجزائريين الصغار، وهو ما يطالعنا عليه التشكي الذي تقدم به المتصرف الإداري للبلدية كاشروا المختلطة، وكأنه يتحدث فيه بلسان الفلاحين الجزائريين الصغار حيث يقول «أكثر من خمسمائة فلاح جزائري تموزتهم حوالي ألف هكتار من الأراضي الفلاحة المزروعة كروما والتي تنتج سنويا 45.000 قنطار من العنب يشتريها المضاربون بالكامل من الفلاحين الجزائريين الذين يمنهم بينهم من يعما في شكل خور، وهو الأمر الذي يجبرهم على بيعها في شكل عنب ليصبح هؤلاء الفلاحون فريسة سهلة للمضاربين والوسطاء الذين لا يترددون في استخدام طرق خبيثة في صفقاتهم التجارية»<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 1H/105 (Le marché indigène des raisins dans la C.M de Cachrou (Palikao-Mascara) Huertas René: administrateur adjoint)

<sup>(2)</sup> Ibid.  
Ibid.



بمحصول الكروم فقط، وإنما بالاقتصاد العام للوطن، وبعانلات  
العمال الزراعيين<sup>(1)</sup>

ولعل هذا هو السبب الذي تدخل رؤساء البلديات  
والتصرفون الإداريون ورجال الدرك الاستعماري من أجله  
لإنفاذ الموقف.

كما أنه لمثل هذه التصرفات الجائرة تعالت النداءات تدعوا  
عمال الأرض إلى التضامن وتنظيم المسيرات الاحتجاجية ضد  
سلوكات الكولون، ومن ذلك دعوة الاتحادية العامة للعمال  
(C.G.T.) إلى إضراب عام يوم الأربعاء 30 نوفمبر 1938<sup>(2)</sup>

ويبدو في هذه المرة أن النداءات تعالت احتجاجا لتضرب  
على أيدي المضاربين والمعمرين الاحتكاريين الذين طغوا وبالغوا  
في ظلمهم للعمال البؤساء إلى حد تحقيق الربح الوفير على  
حسابهم برفع ساعات العمل اليومي إلى أحد عشرة ساعة،  
واعتبار البالغين من العمر اثنان وعشرون سنة أطفالا قصرا،  
والرفع من سعر الخبز والتطفيف في الميزان.

<sup>(1)</sup> La dépêche Algérienne du 10/09/1939.

<sup>(2)</sup> Oran Républicain du 28/11/1938

من أصل إسباني يبيعان الحبة الواحدة على أساس كيلو غرام  
واحد في حين ثبت أن وزنها يتراوح بين 750 حتى 860 غرام الأمر  
الذي يجعلنا نحرم أن كولونا آخرين يمارسون نفس الأفعال<sup>(1)</sup>

ونلمس من تقرير المتصرف الإداري والدرك الاستعماري  
إقرارا رسميا للسلطة الاستعمارية للظلم الذي كان يمارس  
الكولون ضد الأهالي، ومثل هذه التصريحات الرسمية لا تحتاج  
إلى تعليق.

وفي الجمعية العامة لنقابة عمال الأرض التي ترأسها  
برامبي علي بمدينة البليدة ذكر علي خوجة الحاضرين بأن النقابة  
قد تقدمت بشكوى ضد الكولون الذين يبيعون الحبة الواحدة  
للمال بوزن 705 غرام على أساس كيلو غرام واحد<sup>(2)</sup>

وامام امتناع الأهالي عن العمل في مزارع الكولون بمناسبة  
فصل جني العنب تدخل عامل عمالة الجزائر العاصمة بدعوة  
الكولون لوضع التسهيلات أمام العمال للانتقال من كل جهات  
الوطن الجزائري إلى سهول متيجة للعمل في حقول الكروم، لأن  
الانتاج من العمل في المزارع خلال فصل جني العنب قد لا يضر

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/41 (Salaires agricoles dans le sud Algérie le  
26-09-1939 - confidentiel -)  
<sup>(2)</sup> Alger Républicain du 16-02-1939

وبدأ الحزب الثابتة الثانية بدأ وعي الفلاحين في التزعة الحزبية  
لحق أهداف سياسية، ولجلى ذلك بصورة واضحة في مظاهرة  
فلاحية للفلاحين الصغار إثر اجتماعها بسعيدة يوم 26 أوت 1944  
بإعلان مراح مدغري على الأمين المحلي السابق لأحباب البلاد  
والحرية وأمين نقابة صغار الفلاحين، وبالإفراج عن ونزار علي  
وكل الذين ثبت برائتهم.

وتعلم أن ونزار قد أدخل السجن في ماي 1944 بسبب  
قوله لأحد الأوربيين «أياها الفرنسيون لم يبق لكم سوى لهم  
فلا تسوي لكم رطة عقكم» وبعد أيام من إلقاء القبض عليه،  
وبذلك يوم 18 ماي 1944 قطع مناضلو حزب الشعب الجزائري  
الخطوط الهاتفية بمدينة سعيدة، وقاموا بمحاولة لإحراق مقر  
البلدية.

وقد انضام الكولون من احتجاجات الفلاحين ضد  
أسباب تنظيم هؤلاء نقابة العمال الزراعيين للنضال ضد  
قوانين التمييز بين الكولون المتواجدين في شرق الجزائر  
والغرب، وعارضوا الأمر الصادر عن ديغول يوم 03 مارس 1944.

إلا أنهم أوجسوا احتجاجهم إلى الفترة التي تعقب تحرير الأراضي  
الفرنسية<sup>(1)</sup>

وبينما أقدم المدعو بن شبيحة يوسف النائب الوطني السابق  
في حكومة فيشي على عرض أراضيه للبيع، فعنى لا تستغل تلك  
الأراضي إلى الكولون وبالتالي يحرم سكان البلاد الأصليين من  
خدماتها تدخل الموفد المالي السيد بشطارزي لدى الإدارة  
الاستعمارية لثمنه من بيعها للكولون أو استبدالها بمأراضي في  
جهات أخرى قد تكون أقل جودة منها<sup>(2)</sup>، وإناحة الفرصة  
للفلاحين الجزائريين ممن لديهم القدرة المالية لشراؤها أو  
استجارها حتى تحصر الاستفادة منها بالفلاحين الجزائريين.

وقد رد الحاكم العام للجزائر على اعتراض الموفد المالي  
السيد بشطارزي في رسالة إلى عامل عمالة وهران في 06 أفريل  
1945 ينذره فيها بخدمة مصالح الاستعمار ويدعوه للمبادرة باتخاذ  
إجراءات مناسبة<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> C.A.O.M.-G.G.A. Carton 9H/41 (l'Assemblée générale de la fédération des  
syndicats agricoles de l'Oranie - le 09/05/1944)

<sup>(2)</sup> C.A.O.M.-G.G.A. Carton 1H/66. (paysannat indigène d'Aoubeil)

<sup>(3)</sup> C.A.O.M.-G.G.A. Carton 1H/105 (Requête de M<sup>r</sup> le Bach Agha benchiha  
Boucif, Alg. Temouchent le 31/10/1944)

<sup>(4)</sup> C.A.O.M.-G.G.A. Carton 14H/40 (Oran le 06/08/1944) Objet: AS 40  
Fédération des petits agriculteurs et fellahs



المستوطنين الأوروبيين، ونصح السلطات الاستعمارية الوصية بالتخلي عن هذا المشروع<sup>(1)</sup>

وفي الأخير مُنح صاحب الأرض من عقد أي صفقة تجارية مع الأهالي الجزائريين بعد أن أجل النظر في قضيته إلى سنة كاملة ابتداء من تاريخ 01 أكتوبر 1944، بينما حوّل مشروع بناء القرية الفلاحية الجزائرية التي كان من المقرر بناءها غير بعيد من مركز عوبليل إلى مركز سيدي دحو الاستيطاني في بلدية مكرة المختلطة، وذلك بعد أن تباع الأراضي السكنية للفلاحين عن طريق المكتب المفتوح، ومع هذا سمح للكلون بشراء أراضي في مركز سيدي دحو من الباشاغا بن شيعة تقدر مساحتها بـ 20، 62، 919 هكتار<sup>(2)</sup>

مثل هذه التصرفات تجعلنا على اقتناع تام بأن إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر كانت متحيزة بشكل مطلق وصريح للكلون.

وللإشارة فقط فإنها لم تكن المرة الأولى التي يحتاج فيها الموقدون المالبون على الحالة المزرية للفلاح الجزائري ويقفون فيها ضد العملاء، ومن ذلك إثارة الوفد المالي السيد غلام الله للنقاش حول الأزمة الفلاحية والتجارية التي حلت بمنطقة تيارت عام 1932 والتي كان الفلاحون ضحاياها الأوائل<sup>(3)</sup> وكثيرا ما أفضت تدخلات الموقدين

وتلعب سبب اهتمام الحاكم العام للجزائر بهذه المسألة يعود إلى كون الملكية الأرضية التي عرضها الباشاغا بن شيعة بوسيف للبيع أو الاستبدال لا تبعد عن مركز عوبليل الاستيطاني، ويجعلها الطريق الواصل بين سيدي بلعباس وعين تموشنت، وهي منطقة لزراعة الحبوب والكروم.

وقد بلغ التصرف الإداري لبلدية عين تموشنت المختلطة بالإعجاب عن رفضه لإقتراح الوفد المالي بشطارزي وتبنى فكرة احتلال يميها إلا لأحد الكلون، وبرر موقفه عن رفض بيعها لأحد الفلاحين الجزائريين بالفرضية التالية: متى وضع فلاح جزائري يده عليها فإنه من دون شك يبني فوقها مقهى شعبيا يوليه الجزائريون، وأن المناخ السياسي غير مناسب في الظروف الحالية.

وفضل التصرف الإداري أن يُبعد الأهالي الجزائريون عن محيط المركز الاستيطاني لعوبليل قدر ما أمكن، وأن يُحشروا خارج مناطق العدوى السياسية (en dehors des zones de contamination politique) لأنه كان يرى في إسكان الفلاحين الجزائريين بمركز عوبليل أو قريبا منه خطرا حقيقيا على

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton. 1H/105

<sup>(2)</sup> Ibid. (état des lotissements de Sidi Daho).

<sup>(3)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton. 14 H/40

وقد كان بإمكان هذا الشيخ أن يطلب من إدارة الاحتلال دعما ماليا ومساعدات مادية تكفيه حاجة الطلبة والزوار إلا أننا نراه يشدد بالحاح في طلبه على الأرض.

وبما تجدر الإشارة إليه فإن الكثير من الممتلكات الأرضية الجزائرية قد تحولت إلى الكولون بتواطؤ من المتعاملين مع إدارة الاحتلال من أمثال القياد والباشاغات وأعيان بعض الدواوير كما حدث مع فلاح دوار سيدي خالد الذي اقترح أعيانه على الفلاحين تحويل بعض أراضيهم لأملاك الدولة أثناء عمليات تطبيق القرار المشيخي<sup>(1)</sup>

وبالفعل تنازل أربعة وعشرون فلاحا من هذا الدوار عن 373 هكتار من أراضيهم الجماعية لصالح أملاك الدولة التي حولتها مباشرة لفائدة الكولون «فرانسوا أبالة» (Francois AYE LA)

ولا ندري ما إذا كان يحوس في خواطر وجهاء هذا الدوار وأعيانه حتى يقدموا أراضيهم لقمة سائغة للاستعمار، وهل فعلوا ذلك برغبة كسب إدارة الاحتلال واستمالتها، مع أن هذا السلوك

الميل إلى نقادة سلطات الاحتلال لإجراءات في صالح الفلاحين الجزائريين كتقديم قروض مالية لهم بالشرق الجزائري، حيث منحت لفلاحي وادي الشرف 200.000 فرنك، ولغاستوفيل

(صالح بوعاشور) 75.000 فرنك، ول سوق أهراس 350.000 فرنك، ول حابس (عزابة) 300.000 فرنك<sup>(1)</sup>

ومن الأمور الملفتة للانتباه أن جميع الناس كانت نظارهم متجهة نحو الملكيات الأرضية، فشيخ زاوية سيدي سعد بن شهرة بحث هو الآخر برسالة إلى عامل عمالة وهران يطلب منه أن تنازل له الدولة عن الأراضي المحيطة بالزاوية لاستغلالها زراعيًا وتحويل مداخلها في الإنفاق على الطلبة المتزايد عددهم يوما بعد يوم، وعلى عابري السيل والفقراء والمعوزين، وذكر عامل العمالة بأن العمر «يار تافالات» (Pierre TAFALAT) يستغل أربعة وعشرون هكتار من ضمن المساحة الإجمالية المحيطة بالزاوية والمقدرة بـ 124 هكتار<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton. 14 H/40 (chambre d'agriculture de Constantine séance du 19/04/1940, aide aux cultivateurs malheureux)  
<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton. 1M/68



بمعارض بشدة مع أماني الفلاحين الجزائريين في الاحتفاظ بأراضيهم

وفي حين تبرع هؤلاء بأراضيهم للاحتلال الفرنسي بعد أن تمّين يتفقون بإجراءات القرار المشيخي التي أفضت إلى تحديد أراضيهم ومصادرها.

ولا بأس من إيراد مثال كنموذج عن هذا التنديد، فقد رفع المدعو الحاج علي بن شريط - من فرنقة - إلى عامل عمالة وهران شكوى يقول فيها بكل صراحة وجراة، أنه على الرغم من حيازته على ستة ملكية رسمي بثبت أحقيته في ملكية أسلافه منذ عام 1881 والشكوة من ثلاثة حصص أرضية تحت أرقام 71-72-73 ضمن قطعة كما حددتها الإجراءات التطبيقية للقرار المشيخي (1887) بدوار موارات بفرنقة، إلا أن هذه الملكيات تحولت إلى ملكية الدولة (الدومين) لنشيد عليها بناءات سكنية، وينهي شكبه مشالاً عن الطريقة التي تحصل بها الخواص على حيازات أرضية من ضمن ملكياتهم ومن مساكنهم فوقها.

وقد اكتفى عامل عمالة وهران في رده على هذه العريضة بدعوة الشكلى إلى توضيح طرحه للقضية وإظهار التاريخ الذي

تمت فيه المصادرة، وتأكيد ذلك عن طريق عقد موثق بثبت أحقيته في الوراثة<sup>(1)</sup>

واستمرت المذكرات والعرائض الاحتجاجية ترد تبعا على الإدارة الاستعمارية من قبل الفلاحين الجزائريين حتى أثناء مرحلة الحرب التحريرية يطالب فيها أصحابها بتحقمهم في التعويض عن الملكيات التي صودرت منهم.

وقد يتقصى القارئ من هذه النماذج الاحتجاجية صورة الماسي التي آل إليها الفلاحون الجزائريون، وما نزل بهم من ويلات جراء فقدانهم لأراضيهم، ومن الأمثلة على ذلك العريضة التي تقدمت بها عائلة قاسمي من مدرسة إلى عامل عمالة وهران تقيم فيها الحجة على عدم وفاء الإدارة الاستعمارية بوعودها، حيث اقتطعت منهم أرضا زراعية بدوار «الجديد» تقدر مساحتها بمائة هكتار من أجل توسيع مركز مدرسة الاستيطاني مقابل تعويضهم إلا أنهم لم يعرضوا<sup>(2)</sup>

ومنها العريضة التي رفعها المدعو عماري بلهوارى ولد بن عبد الله من دوار الدحالة ببلدية التادور المختلطة - دائرة تيارت - في جويلية 1954 ينشكى فيها من الإدارة الاستعمارية التي جردته من

<sup>(1)</sup> C.A.D.M. G.G.A. Carton. 9 H/47

<sup>(2)</sup> C.A.D.M. G.G.A. Carton. 1M/68 (Modrissa le 22/04/1954)

أرض فلاحة تقدر بـ 50 هكتار، ويدعي بأن هذه الشكوى هي الثانية من نوعها التي يتقدم بها إلى الحاكم العام للجزائر<sup>(1)</sup> وأيضا شكوى تقدم بها الباشا بلحاج بن عودة بن صحراري من البو (Trezel) يطالب فيها بأرضه التي انتزعها منه أحد الكولون يدعى «فرانسوا أبالة»، تقع بدوار سيدي خالد ببلدية جبل الناور المختلطة والمقدرة مساحتها بـ 27, 90, 377 هكتار<sup>(2)</sup>

وفي حين اكتفى عامل عمالة وهران في رده على العريضتين الأولى والثانية بأنهما غير مؤستين، فإن رده على رسالة الباشا جاء فيه بأن الأراضي التي يطالب بها هي رملية ومن النوع الرديء، لكن بالنظر لمكانة عائلة بن عودة عند فرنسا، وبالنظر لخدماتها المقدمة للاستعمار، ولكونه فلاحا متحصلا على وسام (Chevalier du mérite agricole) قرر تلبية طلبه بناء على توصيات الحاكم العام للجزائر<sup>(3)</sup>

وبعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 ازداد الفلاحون الجزائريون تشددا في التمسك بأراضيهم، ولم تكن حملات القمع الأعنف التي شنها الاستعمار الفرنسي ضد المداشر والقرى من

جزائريتهم، ولم يفتقدوا الأمل في استرجاع أراضيهم بالطرق السلمية الحضارية، ونستشهد على ذلك بالرسائل التي بعث بها بعض الفلاحين من جهات كثيرة من الوطن، يطالبون فيها فرنسا باستعادة أراضيهم، أو تعويضهم إياها بأراضي أخرى، منها رسالة تقدم بها المدعو بوخرص عبد القادر من تاحارت (Dominique Luciani) يطالب فيها الإدارة الاستعمارية التي انتزعت منه مساحة أرضية تقدر بـ 75, 5 هكتار من أجل توسيع مركز تاحارت الاستيطاني بالتعويض، إلا أن الإدارة اكتفت بالرد عليه بأن هذه الأراضي قد عوض أصحابها مباشرة بعد مصادرتها في عام 1918<sup>(1)</sup>

ومنها رسالة أخرى تقدم بها المدعو بغداد جديد ولد أحمد من دوار «غواديس» ببلدية فرندة المختلطة يطالب فيها السلطات الاستعمارية بالتدخل لاستعادة أرضه المقدرة مساحتها بـ 987, 94, 45 هكتار والتي انتزعها منه القايد حمو عبد القادر والمدعو بومدين ورئيس الجماعة حمو بوحرركات ظلما في سنة 1940، إضافة إلى مساحة أرضية أخرى استولى عليها المتصرف الإداري لفرندة في نفس الفترة<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> Ibid, (en date du 20/02/1955).

<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton. 1M/68.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton. 1M/68(Réclamation)  
<sup>(2)</sup> Ibid.  
<sup>(3)</sup> Ibid.



كما وردت على سلطات الاحتلال رسائل تقدم بها  
فلاحون لفس الغرض، منها تلك التي رفعها السيد حبوب محمد  
بن غلام الله من بلدية السوفر (TREZEL) إلى وزير الداخلية  
الفرنسي يشكي فيها من فلاحين جزائريين استولوا على أرض  
والد المقدرة مساحتها بأزيد من 104 هكتار بينما كان هو غائبا  
لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية<sup>(1)</sup>

ورسالة أخرى رفعها محسن بن ذهيبية بن خالد إلى «دي سافر»  
(DE SAUVRE) النائب في المجلس الوطني الفرنسي -باريس-  
يطلب منه التدخل لاسترجاع أرض أبيه المقدرة مساحتها بـ 150  
هكتار والتي تحولت لصالح أملاك الدومين، ويتوسل فيها كسابق  
بأنه لواجه العسكري تجاه فرنسا<sup>(2)</sup> وقائمة الاحتجاجات التي  
تقدم بها الأبناء لاسترجاع حقوق آبائهم وأجدادهم تكاد لا  
تنتهي<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A Carton. 1M/60

<sup>(2)</sup> C.A.O.M. ظهر يحتوي مركز أرشف ما وراء البحار (آلاف الشكاوي  
والطلبات التي رفعها الجزائريون إلى السلطات الاستعمارية يطالبون فيها باستعادة  
أراضي وأرضي لأبائهم وأجدادهم المقتصة أو تعويضها لهم وذلك ضمن  
شقة 1M

<sup>(3)</sup> Ibid

## خاتمة

نخلص في آخر هذا الفصل إلى القول بأن الفلاحين  
الجزائريين قد عبروا عن أنفسهم بأنفسهم بطريقة حضارية سليمة  
قوية وواضحة.

ويقدر ما كانت المذكرات والعرائض الاحتجاجية التي  
رفعوها إلى الإدارة الاستعمارية تعبيرا عن مدى عمق وعيهم  
بمصلحتهم وصمودهم في وجه الاحتلال، بقدر ما كشفت عن  
حقيقة ما سيهم، ومشاعر العزة والكرامة لديهم باستعادة  
أراضيهم ليعيشوا فوقها، ويدفئوا فيها، وإن لا هم لهم في الدنيا  
سوى الحفاظ على أراضيهم صونا لعرضهم.

وإن دلت هذه العرائض على شيء فإنها دلت على عدم  
استعداد الجزائريين التنازل عن حقهم في أراضيهم والاستسلام  
لإرادة الاحتلال الفرنسي.

كما أظهرت لنا الوسيلة الذكية والحضارية التي تعامل بها  
الجزائريون مع خصومهم وأعدائهم لاسترداد حقهم، حيث  
خاطبهم بأسلوب استعطافي مرن.

وقد يلمس القارئ لهذه العرائض الاقتران بين التشكي  
والنالم من جهة، والمطالبة بالحقوق الضائع ورفض الظلم وعدم

## الفصل الثالث : المقاومة السلمية الطويلة الأمد

### تمهيد

- 1- شراء الفلاحين الجزائريين للأراضي من الكولون.
- 2- النضال النقابي والإضراب عن العمل.
  - المظاهرات.
  - الإضرابات العمالية
  - الانتشار الجغرافي للفروع النقابية (1936-1937)
- 3- أثر الدعاية النقابية داخل الأرياف الجزائرية
- 4- صور من نضال أئمة المساجد الحرة والكتاتيب القرآنية ضد الكولون
- 5- نماذج عن تطور الصراع بين عمال الأرض والكولون خلال عامي 1944-1945
- 6 - امتزاج النضال النقابي للفلاحين الجزائريين بالنضال السياسي (1945-1962)

### خاتمة

الاستسلام للفلاحين من جهة أخرى، وهكذا ناضل الفلاحون  
الذين الطوال

إلا أنه ينبغي الاعتراف أنه مهما كانت إرادة المدارس المدققة  
في احتواء الرغبات الاحتجاجية للفلاحين الجزائريين طيلة فترة  
الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962) فإنه لا يستطيع أن  
يعطي الموضوع حقه كاملاً بمفرده.

فمثل هذا العمل لا يتحقق إلا بجهود جماعية لمختصين في  
علم التاريخ من فهم القدرة والصبر على المداومة.



كان شعور الجزائريين بالانتماء إلى الجزائر يتجسد في امتلاك الأرض، تلكم هي العقلية التي كان يتحلى بها الجزائريون، حتى صار الشخص في الجزائر ينسب إلى قطعة الأرض التي كان يعيش فوقها، ويلقب نسبة إليها كأن يدعى بالأوراسي نسبة إلى إقليم الأوراس، أو القبائلي نسبة إلى بلاد القبائل أو الشقراني نسبة إلى جبال بني شقران... وهكذا التصقت أسماء الأراضي هي الأخرى بأسماء سكانها.

وقد بلغت الرابطة العاطفية بين الإنسان الجزائري وأرضه إلى حد جعله يوصي قبل وفاته أن يدفن في أرضه وأرض آبائه وأجداده حتى ولو فته المنية بعيدا عنها.

إن الجزائري لا يحسن بالسعادة ولا بالأمن والراحة خارج أرضه الشروعة، فجنسية الجزائريين ووطنيتهم مرتبطة بالأرض.

إن نص بيان الأمير عبد القادر الموجه إلى الجزائريين سنة 1832 والتضمن عبارات «إن الرومي قد انتهك مساجدكم وأخذ أحسن أراضيكم وأعطاه لبني جنسه واشترى أعراض نسائكم» يجعلنا نفر أن الأرض في نظر الأمير عبد القادر تساوي قيمتها قيمة المساجد وأعراض النساء.

ولهذا الاعتبارات خاض الجزائريون صراعاً مريراً وطويلاً مع الاستعمار الفرنسي لا شيء إلا لإخراجه من أراضيهم التي استولوا عليها ولم يتحصروا عليها فقط في رفع السلاح ضده، فإلى جانب السلاح كانت هناك أدوات أخرى للمقاومة من بينها الامتناع

عن بيع الأراضي للكلولون أو استبدالها بغيرها بأرض أخرى، وامتناعهم عن التجديد الإجباري وعن دفع الضرائب، ومن ذلك أيضاً إنشاء اللجان والجمعيات والثقافات الفلاحية وشراء الأراضي من الكلولون، والتي يمتد في هذا الفصل هو مقاومة الفلاحين للاستعمار عن طريق المظاهرات والإضرابات وإنشاء الفروع النقابية لصغار الفلاحين، وتفعيل الأرض<sup>(1)</sup>

### شباب الفلاحين الجزائريين للأراضي من الكلولون

تعود المحاولات الأولى لاستعادة الجزائريين لأراضيهم المغتصبة عن طريق شرائها من الكلولون إلى سنة 1863، إلا أن هذه العملية تعطلت خلال بعض الفترات: سنة 1889، وخلال عامي 1908-1909، ونشطت فيما بين 1910-1940 ثم عادت لتتعطل بشكل تدريجي فيما بين 1941-1961.

<sup>(1)</sup> لم يقدم بعد إلى الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، الجزائر، نوفمبر 1983، ص 41.

وخلال الفترة الممتدة بين 1877-1961 تمكن الجزائريون من شراء 987.442 هكتار من الأوروبيين؛ ويذهب بعض الكتاب أنه خلال سنة 1918 لوحدها قد تم للجزائريين أن استعادوا 60.000 هكتار<sup>(1)</sup> بينما ذهب آخرون إلى القول أن الجزائريين تمكنوا خلال هذه السنة من استعادة 0.316 هكتار بمبلغ إجمالي قدره 14.647.000 فرنك، وبالمقابل استعاد الكلولون خلال هذه السنة 16.840 هكتار بمبلغ قدره 8.440.000 فرنك.

أما الأراضي التي اشتراها الجزائريون من الكلولون خلال السنة التي سبقتها (1917) فتقدر بـ 8.448 هكتار بمبلغ قدره: 5.067.000 فرنك مقابل بيعهم للكلولون مساحة أرضية إجمالية تقدر بـ 19.662 هكتار بمبلغ قدره: 6.486.000 فرنك<sup>(2)</sup>

يلاحظ بأن الجزائريين قد اشتروا الأرض من الكلولون بمبالغ جد مرتفعة مقارنة مع الأوروبيين الذين اشتروها منهم بمبالغ منخفضة جداً.

وإذا كان البعض يرجع ارتفاع سعر الأراضي التي اشتراها الجزائريون من الكلولون إلى جودة هذه الأراضي وارتفاع مردودها بفعل عمليات الاستصلاح التي قام بها الكلولون كجلب الماء إليها أو حفر آبار

<sup>(1)</sup> Paul-Leroy BEAULIEU. L'Algérie et la Tunisie. 2<sup>ème</sup> édit Paris 1897, p 28 (extra de la statistique générale de l'Algérie 1882-1884)

<sup>(2)</sup> Charles-Henri FAVROD. La révolution Algérienne, Paris 1959, p 45



هذا لأن بعض الآخر يرجع ذلك إلى تخوف الأوروبيين من انقلاب  
الفترة عليهم فاندروا بالتخلص من أراضيهم واغتنموا فرصة زيادة  
الطلب عليها من قبل الجزائريين فرفعوا الأسعار بحيث أخضعت  
الصقالت لتتكون العرض والطلب.

وقد سلطت الاحتلال على هذا الموقف من أن عملية إقدام  
الكولون على بيع أراضيهم للجزائريين لا صلة لها مطلقا بالحرب التي  
عند حداثتها وأرجعت سبب بيع

الكولون لأراضيهم إلى النتائج التي أفضت إليها «لجنة ملكية  
الأراضي» التي نشأت بمنطق قرار الحاكم العام للجزائر الصادر في 8  
جوان 1890 بغرض دراسة الوسائل والسبل التي توفر للأهالي  
السهيلات التي تمكنهم من استرجاع ملكياتهم الأرضية، وأيضا إلى  
أهمية قضية السلع في كل من محكمة سور الغزلان، ووادي الففة،  
والقنير، وعين غوشت على استفسارات الرئيس الأول لمحكمة  
الجزائر، وكذلك إلى حب الجزائريين للأرض، وجهودهم المضنية  
لاستعادتها من الكولون بأي ثمن، ومع هذا فقد اعتبرت فرنسا أن  
سعادة بعض الفلاحين الجزائريين لأراضيهم قد يساعد على استئجاب  
الأمم وضمان<sup>(1)</sup> إلا أن الأراضي التي استرجعها الفلاحون الجزائريون  
تستغل على تلك التي تخلى عنها الكولون لأسباب جغرافية (أراضي  
خشبة - وعلية - جبلية - عرضة للانجراف ...) أو أمنية كذلك

<sup>(1)</sup> Charles-Henri FAVROD. Op. cit. p. 185

التي شهدت حركات عصبانية لبعض الجماعات أو الأشخاص كما  
هو الحال مع بوزيان القلعي وأقرانه من أمثال مسعود بن زلماط ممن  
عرفوا بالقطاع الشرفاء (Les bandits d'honneur) لدى عامة الشعب  
الجزائري، وينقطع الطرق والخارجين عن القانون في نظر إدارة الاحتلال  
الفرنسي، حيث قاوم بوزيان القلعي مدة ثلاثة عشر سنة (1863-  
1876) في نواحي معسكر، لم يكن فيها لصا أو قاطعا للطريق ينشط  
لصالحه الخاص، إلا أنه زرع الهلع في قلوب الكولون الذين غادر  
أبصارهم المنطقة، كما كان مسعود بن زلماط ينشط في الأوراس ويقاوم  
تواجد الكولون بالمنطقة فيما بين 1917-1921 ويهدد في نفس الوقت  
أعداء بالموت<sup>(1)</sup> وهو الأمر الذي مكن الجزائريين بالجهات التي سادها  
الآن من رعاها الكولون من إضافة 100.572 هكتار إلى رصيدهم<sup>(2)</sup>

وخلال سنة 1887 عوّض الجزائريون الأراضي الفلاحية التي  
خسبت منهم في سهل الشلف بشراء أراضي جبلية من الكولون بقيمة  
19 فرنك للهكتار الواحد مع أن هذه الأراضي الجبلية لم تتعد قيمتها  
الحقيقية 80 فرنكا للهكتار الواحد<sup>(3)</sup>

وخلال سنة 1887 عوّض الجزائريون الأراضي الفلاحية التي  
خسبت منهم في سهل الشلف بشراء أراضي جبلية من الكولون بقيمة  
19 فرنك للهكتار الواحد مع أن هذه الأراضي الجبلية لم تتعد قيمتها  
الحقيقية 80 فرنكا للهكتار الواحد<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> DUFRELOUX. AEK. Elements d'histoire culturelle Algérienne Alger ENAL 194  
p. 164  
<sup>(2)</sup> Mahfoud KADDACHE et Djillali SARI-O.P.U 1989, p. 148. Alger ENAL  
L'Algérie dans l'histoire, T. 05.  
<sup>(3)</sup> Mohamed Elmes MESLI. Les Origines de la crise agricole en Algérie de  
cantonement de 1846 à la nationalisation de 1962 Alger, édité Dabab (S.O.) 198

كما أن بعض الأعيان من الجزائريين ممن كانت تحلوهم الرغبة في توسيع ملكيتهم الأرضية شرعوا في شراء مساحات أرضية من الكولون.

وفي إقليم السرسو الوهراني ذرع الفلاحون الجزائريون أراضي دعوية خشية أن يُلغى عليها قانون 16 فبراير 1897 الذي يعتبر الأراضي الدعوية مواتا ويُلحقها بأملك الدولة<sup>(1)</sup>.

ومع أن بعض الجهات من الوطن قد أصابها الفقر إلا أنه لوحظ بأن بيع الأراضي فيها للكولون كان نادرا كما هو الحال مع بلاد القبائل التي لا الأمر بأهلها إلى الفقر والجماعة بسبب العوامل الطبيعية أو أنوار الحرب والغرامات التي تفرضها عليهم مصالح الغابات.

وإذا قدر لشخص في بلاد القبائل أن يبيع أرضه لسبب ما، فإنه لا يبيعها إلا لواحد من أبناء قومه، فساكن بلاد القبائل كانوا لا يبيعون للأوروبيين أبداً أو على الأصح من النادر أن يبيعوا لهم<sup>(2)</sup>.

وهكذا حرص الجزائريون على الاحتفاظ بأرضهم بل وشراء الأراضي من الأوروبيين كما لوحظ في بعض المدن مثل: القصر وواهي اميزور، وسباو الأعلى، وذراع الميزان، وتيزي غنية

<sup>(1)</sup> C.A.O.M - G.G.A Carton 1 N/5 (rapport concernant les opérations relatives à l'application du S.C. 1863 dans divers tribus de la C.M de Djebel Sahar).

<sup>(2)</sup> مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، الجزائر: موك، 1993، ص 20.

وامبرابو، ودلس، ونفس العملية شهدتها معظم جهات الوطن ومنها: تيبلاط، وخيس مليانة، وعين السلطان، وبومدفع، والخروب<sup>(1)</sup>.

بينما الجهات التي باع فيها الفلاحون الجزائريون أراضيهم للكولون، فقد عرف أصحابها وضعية حرجية كما هو الحال مع فلاحي بلديات غرب البلاد مثل: عين تموشنت، مكرة، الرمشي، أولاد ميمون، الاموريسار، وتيارت، وكاشرو «سيدي قادة»، ومعسكر.

ومنى قدر على فلاح جزائري بحكم الاحتياج والضائقة المالية أن يبيع أرضه لأحد المعمرين فإنه كان يرفع السعر إلى 500 فرنك للهكتار الواحد مع أن معدل السعر الذي كان يعرضه المعمر هو 110 فرنك للهكتار الواحد، بينما إذا بيعت لفلاح جزائري فإن سعرها لا يتعدى 58 فرنك للهكتار الواحد، وهذا قبل الحرب العالمية الأولى<sup>(2)</sup>.

وبهذا الشكل يكون الفلاح الجزائري رغم فقره، وتحلفه قد ساهم بهذا الأسلوب من المقاومة في صيانة القاعدة الاقتصادية للمجتمع الجزائري (وهي الأراضي الفلاحية).

وفي سنة 1919 أبدى الكولون قلقا شديدا من إقدام الفلاحين الجزائريين على شراء الأراضي، فضغطوا على الحكومة التي اتخذت

<sup>(1)</sup> Mahfoud KADDACHE, O.p. cit, p 15.

مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 20.



إجراءات للحد من  
بالأراضي الفلاحية<sup>(1)</sup> عملية استئثار الجزائريين والمضاربين الأجانب

وفي حين عارض الكولون عملية شراء الجزائريين للأراضي  
الفلاحية واعتبروها غير مقبولة ومنافية للاستيطان وخطرا يهدد  
مستقبلهم في الجزائر، فإن الجزائريين اعتبروها واحدة من أهم أشكال  
النضال ضد الاحتلال.

وهذا الشكل وجد المستوطنون الفرنسيون أنفسهم بين خطرين  
جسيمن أحدهما يتمثل في استعادة الجزائريين للأراضي الجبلية  
والسهلية عن طريق شرائها، وثانيهما يتمثل في استئثار المضاربين  
للأراضي الزراعية السهلية<sup>(2)</sup>

وإن كانت عملية استعادة الجزائريين للأراضي الزراعية قد بدأت  
قبل عام 1914، فإنها بعد الحرب العالمية الأولى قد اتخذت شكلا واسعا  
ومفاجئا يهدد بخطر ضد مستقبل الكولون ووجودهم في الجزائر، حيث  
توقعت جريدة «لوتان» (Le Temps) آنذاك المخاطر الناجمة عن  
عملية استعادة الجزائريين للأراضي الفلاحية معلقة على الحدث بالقول  
«من وجهة النظر السياسية سوف يضيع الشمال الإفريقي من بين أيدينا  
ما لم نوظف فيه فلاحين فرنسيين» ومن وجهة النظر الاقتصادية سترجع  
الإنتاج الزراعي - لأن الجزائري لا يحسن استخدام الأرض<sup>(3)</sup>

(1) Mahfoud Kaddache. Op.cit.p 15.  
(2) Ibid.  
(3) Ibid, p 16. (cité par Akhbar du 14/12/1923)

وأصبح الكولون الفرنسيون أكثر انشغالا ليس فقط من جراء  
عمليات استعادة الجزائريين لممتلكاتهم الأرضية عن طريق إعادة  
شرائها من الأوروبيين وإنما أيضا من عمليات إخلاء وإفراغ المراكز  
الاستيطانية<sup>(1)</sup>

وشعر الكولون بأنهم ضحايا لحرقي السياسة، وعلقت جريدة  
«استقبل معسكرو» (Avenir de Mascara) على الوضع متهمة الكولون  
بالحمول والجمود ودعتهم لبذل الجهد تحقيقا للثروة، وما لم يجتهدوا فإن  
الجزائريين سيتمكنون من استعادة جميع أراضيهم بعد عشر سنوات  
وطرد الكولون، ويبقى العرب بالضرورة إلى جانب اليهود المتطقلين  
عليهم، وعندئذ تنمو الأعشاب في الطرقات ويحتاج النخيل اللينفي  
للنظرة (Palmier nain) مرة أخرى، وتزول أشجار الكروم الجميلة،  
وفريا لم يبق من النبات سوى أشجار الزيتون التي يعود غرسها إلى  
عهد الروماني<sup>(2)</sup>

وأمام هذه الوضعية فكر الكولون في تمطين من الإصلاحات،  
أدعوا بدعو إلى مراجعة قانون 16 فبراير 1897 الخاص بالملكية  
الغارية، وثانيهما يطلب تعديل نظام الملكيات الأرضية العامة  
نصحة للاستيطان طبقا لما ينص عليه مرسوم 13 سبتمبر 1906.

(1) L'avenir de Mascara du 09/12/1922 «que sera l'Algérie en 1950?  
(2) Ibid.

مع أنها من أجود الأراضي لصالحهم، ووجهوا انتقادات لاذعة للإدارة الاستعمارية التي أعلنت سنة 1911 بعدم جواز التصرف في أراضي العرش.

وحاولت إدارة الاحتلال أن تتخذ موقفا من الكولون، لكن محاولات هؤلاء كانت أقوى. ففي جوان 1922 حملت موقدبة الكولون (La délégation des colons) إدارة الاحتلال إلى سحب المنشور الصادر في 1911.

وابتداء من سنة 1921 بدأ الكولون يتخلون عن مباشرة العمل في أراضيهم بأنفسهم، وأوكل معظمهم زراعة أراضيهم لفلاحين جزائريين وأوروبيين، وفي سنة 1932 عاد الكثير من الأوروبيين إلى فرنسا بعد أن تخوا عن أراضيهم لوكلاء، وكان الجزائريين فيما بين الحربين العالميتين يات تفرغ من العنصر الأوروبي.

ونعزى الهجرة العكسية للأوروبيين خلال هذه الفترة إلى تخوفهم من رؤيتهم للجزائريين وهم يتزعون الأراضي الزراعية من أيدي الكولون عن طريق شرائها منهم (1).

وفي سنة 1947 نشأت شركة ذات نزعة وطنية يطلق عليها اسم «نظمة آمال الشمال إفريقية» يتشكل أعضاؤها من حوالي مائة عنصر جزائري لغرض دعم الحرفيين الجزائريين الذين يشتغلون في قطاع

(1) Fadila YAHIAOUI. Roman et société coloniale dans l'Algérie de l'entre-deux-guerres, Alger: E.N.A.L., 1985, p 134

وفي سنة 1920 أبدت موقدبات الكولون رغبة في المطالبة بتسهيّل الصفقات والإسراع فيها وفق ما يسمح به قانون 16 فبراير 1897 بفرنس بحري مصلحت التجارة بالأرض لصالح الكولون (1).

ولم تمر إدارة الاحتلال أي اهتمام بالكولون، أبدى هؤلاء وفق في أن تأسس الملكيات العقارية على قواعد ثابتة وأكيدة عن طريق تثبيت كل الحقوق المتعلقة بالتملك بشكل قطعي - صغير قابل للإلغاء - بتسجيلها خطيا ضمن سند قانوني، كما رغبوا في أن تقام بالجزائر مصلحة خاصة لتسجيل الملكيات العقارية تشبه نظام «Act Tome» الذي جرى تطبيقه في استراليا بحيث يلزم المالك بتسجيل ملكيته وتعين معالمها الحدودية مسبقا، كما عليه أن يرسم مخطط الملكية ويثبت به مرفوقا بسند القيد وطلب التسجيل لدى مصلحة التسجيلات. ومن ثم يمنح عقدا خاصا بالملكية العقارية، تودع نسخة من لدى محافظة الأملاك العقارية، وهذا طبعا بعد إتمام الإجراءات الشرعية، وما لم يكن هناك اعتراض على المالك الراغب في تسجيل ملكيته.

لما افلاندان (FLANDRIN) النائب بمجلس الشيوخ فقد اقترح سنة 1921 قانونا يتوقع فيه التسجيل الإجباري لكل العقارات الخاضعة للقانون الفرنسي، وحاول الكولون من خلال هذا القانون السعي في أن تحول الثلاثة ملايين هكتار من أراضي العرش، والتي بقيت غير متبعة،

(1) Mahfoud KADDACHE. Op. cit, p 16



الزراعة والصناعة والتجارة، وتحقيقاً لذلك كون السيد «تبار» لم  
مهمتها السعي لشراء مبنى في باريس، وآخر في الجزائر العاصمة ليكون  
كلاً منهما مقراً لعمليات الشركة «آمال» الناشئة، وفي رسالة سرية بعث بها  
عامل عمالة الجزائر إلى الوزير المفوض الحاكم العام للجزائر يذكر فيها  
بأنه «تم لعدد من الأعضاء المشتركين في محطة آمال الشمال إفريقية من  
يحتلون أراضي فلاحية أن اتفقوا فيما بينهم على رفع طلب إلى الإدارة  
الاستعمارية الفرنسية لتسمح لهم بشراء وسائل للنقل وجارات،  
ويواصل قائلا «إن الشركة مرامي جذ خطيرة تتمثل في عزمها على  
شراء أراضي فلاحية من الكولون الأوربيين لتجربدهم منها»<sup>(1)</sup>

ولم يجمع هذه الشركة متخربين من جميع جهات القطر الجزائري بما  
في ذلك متخربين من الجنوب كـ يسكرة، وتوقرت، ويبلغ عددهم  
حسب التقرير السري تسع وتسعون متخرطاً من بينهم تجار وحرثيون  
تقليديون وفلاحون.

وحتى وإن لم تحقق هذه الشركة الغرض الذي أنشئت من أجله،  
إلا أننا نلحس من عملية محاولتها لشراء الأراضي الفلاحية من الكولون  
أنها كانت حريصة على استرجاع الممتلكات الأرضية للجزائريين.

وإن كان الجزائريون قد تمكنوا من استعادة 987.443 هكتار فيما  
بين 1877-1961 كما سبقت الإشارة إليه، فإن تعليمات جبهة وجيش

<sup>(1)</sup> CA.O.M - G.G.A. Carton 9 H/51 (préfet d'Alger à monsieur le ministre  
plénipotentiaire gouverneur général de l'Algérie), le 14/01/1947

التحرير الوطني نسفت عملية شراء الجزائريين للأراضي من الكولون في  
سنة 1961، لأنها كانت تهدف إلى تخلي الكولون بأنفسهم عن الأراضي  
التي اغتصبوها.

وقد اعتبرت سلطات الاحتلال الفرنسي امتناع الجزائريين في  
أواخر القرن التاسع عن بيع أراضيهم للكولون وتفضيلهم بيعها  
للجزائريين على حد قول الكاتب الجزائري مصطفى الأشرف مظهرها  
من مظاهر الوطنية الفلاحية<sup>(1)</sup>

كما اعتبرت عمليات تحرير المناجزة بالأرض، ومحاولة بعض  
البرجوازيين المحليين تجميع الأراضي الفلاحية بين أيديهم عن طريق  
شراؤها من الفلاحين الجزائريين الصغار ذات أثر، ومن شأنها أن تحول  
دون نجاح المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر<sup>(2)</sup>

وفي سنة 1893 فكرت الإدارة الاستعمارية في إنشاء مركز  
ستيطاني شرق عين الدفلة (Duperre) بحوالي عشر كيلومترات، إلا أن  
لغة المراكز الاستيطانية بعد إشادتها بأهمية موقع المركز وما يقدمه من  
منازات للكولون، أشارت إلى احتمال اصطدام مشروعها الاستيطاني  
بأحدى أكبر العائلات الجزائرية، وهي عائلة بوزيان التي تمتلك قطعاً

عاشق الأشرف. المرجع السابق «نفاذ مستميت عن الأرض»، ص 19-21  
علي لعلوي. الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وسيلة التفكير الاقتصادي، الاجتماعي،  
1960-1961. ترجمة جوزيف عبد الله، ط 01، بيروت 1983، ص 157



أرضية شاسعة، وتظاهر بامتناعها القاطع لبيع أراضيها للكلولون أو استبدالها لهم بأراضي في جهات أخرى.

ولم يرض هذا العائلة التعامل مع الكلولون اضططر الحاكم العام للجزائر في سنة 1891 إلى العدول عن قراره بإنشاء مركز استيطاني فوق أراضي عائلة بوزيان<sup>(1)</sup>

وفي عين كرمين اصطدم الاستيطان بالحاج أحمد بن العزري الساكن في مليانة والذي يمتلك 70، 221 هكتار من الأراضي الفلاحية.

لقد طلب هذا الفلاح مبالغ مرتفعة ثمنًا لبيع أراضيهِ، كما طلب في مقابل استبدالها بأراضي تعتبرها سلطات الاحتلال ضرورية لتوسيع مركز عين كرمين الاستيطاني.

وفي تقريره إلى الحاكم العام للجزائر وصف الجنرال «ويمفن» (WIMPFEN) قائد إقليم وهران ابن العزري بالمحتكر، والمبادر بالإسراع إلى شراء الأراضي التي ترغب الإدارة الاستعمارية في شراؤها من الفلاحين الجزائريين الصغار ليعيد بيعها إلى الكلولون بأسعار جد مرتفعة، أو التنازل عنها للإدارة مقابل أراضي جيدة في جهات أخرى.

ومع هذا فقد أبت سلطات الاحتلال إلا أن تستعيد منه الأراضي التي اشتراها مقابل أربعين فرنك للهكتار الواحد والتي سبق له أن اشتراها من الفلاحين بمبلغ ثلاثين فرنك للهكتار الواحد.

<sup>(1)</sup> Yacono Xavier. La colonisation des plaines du Cheik T I Alger 1955, p. 313.

وهكذا نلاحظ أن الجزائريين بامتناعهم عن بيع أراضيهم للكلولون، وعدم رضاهم باستبدالها لهم بأرض غيرها، ومبالغتهم في رفع أسعارها عند بيعها لهم، يكونوا قد ضربوا لنا أحد أروع الأمثلة في رغبتهم الشديدة في المحافظة على أراضيهم والتعبير عن وطنيتهم.

**النضال النقابي والإضراب عن العمل في مزارع الكلولون**

### المظاهرات:

يدعي بعض الكتاب الفرنسيين بأن الفضل في التطور الاقتصادي للجزائر يعود إلى الإدارة العسكرية، ومن ذلك التنظيمات الأولية للنقيب «لاباسيت» (LAPASSET) في 1846، ومشاريع شركات الجنرال «ليبرت» (LIEBERT) في مليانة خلال عام 1869 التي أفضت سنة 1884 إلى إنشاء أولى الشركات الأهلية للتعاون المتبادل (S.L.P.) من قبل «تيرمان» (TIRMAN) الحاكم العام للجزائر. وكانت هذه الشركات تعتبر في آن واحد صناديق للطوارئ والتعاون المتبادل ووكالات للقروض تتمتع بحقوق محدودة، وتخضع لوصاية الإدارة الاستعمارية؛ وبناء على قانون 14 أبريل 1893 تحولت هذه الشركات إلى تنظيمات خاصة ذات منفعة عامة تجمع الفلاحين وذويًا؛ ثم جاء قانون 19 جويلية 1933 (بعد أربعين سنة) لينشئ الصندوق المشترك للشركات الأهلية للتعاون المتبادل؛ أما قانون 15 أوت 1936 فقد سمح لهذه الشركات أن تلعب دور التعاونيات في إطار غرفة الحبوب.



وفي حقيقة الأمر بدأت اللجنة العامة للعمال الحضريين منذ عام 1920 بتنظيم نقابات العمال الزراعيين

وفي 1936 تأسس الاتحاد المستقل للعمال الزراعيين تحت ظل الكونغرسية العامة للعمال، وضُمَّ 40.000 منخرط. ولم تتوقف نشاطات الحركة العمالية على تنظيم العمال الزراعيين فقط، بل امتدت كذلك إلى صغار الفلاحين وعمال الأرض، -وهكذا- تكونت نقابات صغار الفلاحين في مناطق الونشريس والأوراس (1)

وقد أورد لنا الأستاذ عبد القادر جغللول قولاً تتأكد من خلال وحدة الحركة العمالية الفلاحية، بحيث ضم أحد الاجتماعات السرية للحركة العمالية جماعة من الفلاحين والعمال الزراعيين، إذ يقول نقلاً عن أحد مجاهدي الحركة الوطنية «وقد خرج شخصان عن المألوف من هذا الاجتماع الأول سائق جرار إسباني يتكلم بلهجة سيدي مجاهد من الدشرة القريبة، أما الثاني فملتحم يحمل سبيحة ذات حبات كبيرة من العنبر، إنه مقدم زاوية سيدي عبد القادر في معسكر، ولقد ترأس الاجتماع مبدئياً بالقائمة، ومذكراً باستعداد بني شقران، وهي القبيلة التي غرقت عام 1914» (2)

1- عبد القادر جغللول. تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسبولوجية، ترجمة فيصل عمار، الجزائر: دار الثقافة للنشر مع ديوان المطبوعات الجامعية. (د.ت) ص 132

2- عبد القادر جغللول. المرجع السابق، ص 132

وفي سياق حديثه عن الحركة الوطنية التي ولدت في باريس يقول مصطفى الأشرف «ومن الجدير بالملاحظة أيضاً أن قومية المدن هذه نشأت أولى ما نشأت بين الفلاحين الجزائريين المغتربين في فرنسا» (1) مما يدل أن الفلاحين الجزائريين المغتربين في فرنسا كانوا مشدودين دوماً إلى أراضيهم وملصقين بها على الرغم من وجودهم في أرض الهجرة.

وفي سنة 1937 أنشأ «ليبو» (LE BEAU) الحاكم العام للجزائر مصلحة للاقتصاد الاجتماعي تخضع للإدارة العامة لشؤون الأهالي تحقيقاً لسياسة ترمي إلى تحسين أحوال المزارعين الجزائريين، ومن ثم يأخذ تعبير «الطبقة الفلاحية الجزائرية» (Paysannat Algérien) مكانة له في المصطلحات الإدارية، وعندئذ تتكون لجنة من الفلاحين الجزائريين تتولى التنسيق بين مصالح الأهالي والمصالح الاقتصادية، ومهمتها مراقبة المشاريع التي يقدمها المتصرفون الإداريون.

وفي أبريل 1939 حضر وفد من الفلاحين الجزائريين إلى جانب وفود البلدان المستعمرة المؤتمر الدولي للزراعة في طرابلس، لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية أوقف المشاريع الإصلاحية المبرمجة من قبل «ليبو» الحاكم العام للجزائر؛ وفي عام 1944 استوحت «لجنة كاترو» (Commission Catroux) نشاطها من برنامج «ليبو» الخاص بالإصلاحات في المجال الزراعي.

(1) مصطفى الأشرف. الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة د/ حنفي بن عيسى، الجزائر: 1983، ص 78



ومن ثم ألت تجربة الشركات الأهلية للتعاون المتبادل خلال سنتي 1938-1937 إلى خلق تعاونيات ترتبط بها كأداة لا مركزية لتفعيل القطاع الفلاحي الجزائري تسمى بـ «قطاعات الإصلاح الريفي» (Secteur d'amélioration Rurale, S.A.R.) لتكوين الفلاحين الجزائريين على الطرق الزراعية المعاصرة تمهيدا لإدماج القطاع الفلاحي الجزائري في المنظومة القومية، وفي منظومة القرض والتعاون الزراعي المتبادل.

وظل الاعتقاد سائدا بأن لقطاعات الإصلاح الريفي دور اقتصادي واجتماعي يعود بالفائدة على الفلاح الجزائري الذي أصبح عضوا في مجلس السبير، وهو الأمر الذي سيدفع به إلى تحمل المسؤولية واتخاذ المبادرة مستعينا في ذلك بالتقنين وبالإدارة المحلية<sup>(1)</sup> إلا أن محاولة فرنسا دمج الفلاح الجزائري ضمن نقابات فلاحية من شأنها إحداث تطورات في القطاع الزراعي التقليدي الجزائري واجهت صعوبات، وهكذا لم تحض النقابات الفلاحية قبل الثلاثينات من القرن 20 بإقبال الفلاحين الجزائريين للانخراط فيها.

إلا أنه يجب أن يفهم بأن الفلاح الجزائري لم يكن ضد النضال الثقافي أو ضد مجهودات التطور، وإنما ضد القوانين العقارية المتنافسة مع الشريعة الإسلامية ومع تقاليد المجتمع الجزائري الإسلامي.

إن البرنامج الإصلاحي الفلاحي يتطلب تسخير كل الطاقات، ويستلزم إدراكا للفكرة، ودقة في تنفيذها، على أن تقدم نخبة الشباب

<sup>(1)</sup> Marcel BARBUT. L'évolution de L'Agriculture et de l'élevage traditionnel en Afrique du Nord, Alger, Imprimerie officielle 1952, p 15

المقبل على النشاط الذي نحدوه الرغبة في العمل، والإقدام على الإصلاحات.

كما أن الاندماج لا يمكنه أن يتحقق في ظل روح العداء التي يكنها الشعب الجزائري لإدارة الاحتلال إلا في إطار ظروف التألف الروحي والمادي بين المجتمعين، وما لم ينته الصراع والأحقاد بين المجتمعين مستقل الإصلاحات جامدة.

ولنا في الحضارة الرومانية خير مثال على ذلك؛ فقد أقام الرومان بنايات فخمة في الجزائر، إلا أن حضارتهم آلت إلى الانهيار بسبب خلوها من روح التألف والمودة بين المجتمعين (المستعمر والمستعمر).

ففي تصريح له أمام المؤتمر -الوطني- الواحد والعشرين للتعااضد والتعاون الفلاحي المنعقد في «بيزانسون» (Besançon) بفرنسا يوم 15 جوان 1933 لمحّد «ر. ميسرشميت» (R. Messerschmitt) يتوجّع لحال مربي الماشية، ويدعو لحمايتهم من المضاربين والمرايين، ويضرب مثالا عن ذلك بتاحية سيدي عيسى التي تشتهر بإنتاجها الرعوي والتي يقع فلاحوها فريسة للمرايين.

ومحاربة ظاهرة المضاربة والربا في هذه الناحية أوصى بأن يُنشأ قرض فلاحى أهلي يمنح مربي الماشية قروضا قصيرة المدى تمكنهم من الحفاظ على ثروتهم الحيوانية<sup>(1)</sup> وبناء على هذا التصريح قررت إدارة الاحتلال منح الفلاحين الجزائريين:



٥١- قروض دعم من قبل صناديق القرض الفلاحي، على أن  
يخضع الفلاح الجزائري بنفس  
الامتيازات التي يخضع بها الكولون الفرنسي، ويشتمل نفس  
الواجبات.

٥٢- قروضا من قبل «الصندوق المشترك» تحت رقابة «صندوق  
القرض الفلاحي».

٥٣- قروضا بعيدة المدى.

٥٤- قروضا متوسطة المدى.

٥٥- قروضا قصيرة المدى.

٥٦- تقديم سلفات مالية لرؤساء عائلات الأهالي الكبرى.

٥٧- تقديم سلفات مالية للفلاحين ضحايا الكوارث مقابل نسبة  
من الفوائد تتراوح من 02 إلى 03٪.

كما طالب «مستر شميت» أن يعامل الفلاح الجزائري على  
نفس القدم مع الفلاح الأوروبي، ويتمتع مثله بنفس الحضور  
والامتيازات، مشيرا إلى أن هذا الهدف المزدوج لا يمكن أن يتحقق إلا  
بالاستخدام الحسن للشركات الأهلية للاحتياط (S.I.P) التي هي  
الأساس الوحيدة التي يمكن أن يلجأ إليها الفلاح الجزائري خلافا  
للمؤسسات الأخرى التي تقع في وجهه شروطا لا يطيقها.

ومع هذا فإن الفلاح الجزائري لا يمكنه الحصول على  
قرض دعم ما لم تكن أرضه مفرسة أي خاضعة للتشريعات العقارية  
الفرنسية، وما لم يبرهن ملكيته لدى مصالح الرهن العقاري، على أن  
يتولى صندوق القرض الفلاحي ضمانته لدى المصالح العقارية، وإلا  
تعرض ملكيته للحجز ما لم يسدد ديونه في الآجال المحددة.

أما إذا كانت أرضه غير مفرسة فإن الصندوق المشترك  
(fond Commun) هو الذي يتدخل لصالح منحه قرضا تحت رقابة  
صندوق القرض الفلاحي الذي يلزمه برهن أرضه لدى المصالح  
العقارية.

ففي جميع الحالات كانت المصادرة الشرعية تقترح كضمانة  
لنح الفلاح الجزائري قرضا، وفي سبيل أن يبقى الفلاح الجزائري  
الصغير تحت وطأة الذل والفقر تقهره الحاجة، فإن كلاً من القايد،  
ورئيس الفصيلة القبلية، وحتى الموظف الإداري كان يسبقه إلى عرض  
عصوله الفلاحي في الأسواق المحلية، وهكذا يصطدم الفلاح الجزائري  
الصغير بعقبة العرض الذي يفوق الطلب في الأسواق المحلية.

وعلى هذا الأساس اقترح التصريح على الشركات الأهلية  
للاحتياط (S.I.P) أن تحدّد أسعار الحبوب وتتولى شراء المحصول من  
الفلاحين، على أن يتم ذلك داخل كل دوار أثناء القيام بعملية جمع  
الضرائب وخصيل القروض<sup>(1)</sup>

وهذا الحيف الجائر تقرر مصير الفلاح الجزائري الصغير.

وفي تقرير مطول عن «ش. كورتين» (Ch. COURTIN) المتصرف الإداري الفرنسي بولاية الجزائر في 15 سبتمبر 1937 عن الحالة التي آل إليها الفلاح الجزائري والتي من شأنها أن تحدث ضروبا بالسيادة الفرنسية على حد قوله - مشيرا إلى تعبير الجمهور الجزائري عن استيائه وانتقاده لما يتدب فرسا من تحضر مسائل عن الجذور العميقة لمشكلات الفلاح الجزائري وعن طابعها الاقتصادي والسياسي.

وقد رذ هذا المتحدث المشكل الجزائري إلى العامل الفلاحي ووضعية الفلاح الجزائري، وقانون الأهالي، وتطبيق السياسة العنصرية من قبل إدارة الاحتلال في جميع المجالات (التجنيد - الأجور الزراعية - التعليم - الصحة - التمثيل لدى المجالس ...).

وقال أن الإصلاحات التي طالب بها الجزائريون كان من المفروض الانتهاء منها منذ عشر سنوات خلت، محذرا إدارة الاحتلال من أن الوضع الحالي للإنسان الجزائري سيتول به إلى الثورة يوما ما، وإلى المطالبة بالاستقلال وذكر بأن الجزائر بلد فلاحي بالدرجة الأولى، ودعا إلى تعليم فلاحي لأبناء الجزائر يربطهم بتقدمة الأرض (أراضي الكولون بطيعة الحال).

في هذه الظروف بدأ نوع جديد من شكل التضال الجماعي يظهر في الوسط العمالي الفلاحي.

ومع أن الحركة النقابية كانت ضعيفة بالنظر لتأخر ظهورها في الأرياف مقارنة مع المدن، فلم يكن لها سوى صدى عابرا وتأثيرا ضعيفا في الجماهير الريفية الجزائرية التي ظهر أنها غير قادرة على استيعاب فكرة التضال النقابي الذي يعبر عن مطالب الفلاح والعامل الزراعي، فلم يشارك الفلاحون الجزائريون الصغار في الاجتماعات المناسبة للتقابات لاعتقادهم أن الاجتماع الذي لا يفتح بالسياسة ولا يهتم بقراءة الفاتحة أو بآية من القرآن الكريم لا يركة فيه ولا يؤمل فيه غير، بحيث أن الخلايا النقابية الفلاحية الأولى التي نشأت في إقليم وهران كانت هي التي تفتح فيها الجلسات بقراءة البسطة<sup>(1)</sup> وللمعلم فإن النشاط النقابي الفلاحي داخل الوسط الريفي لم يعرف تطورا ولا استقرارا كما هو الحال في إقليم وهران، وإليك فيما يلي جدول يحدد العمال الفلاحين المنخرطين في الاتحادية العامة للعمال (UDCOT d'Oran)<sup>(2)</sup>.

جدول يحدد العمال الفلاحين المنخرطين في الاتحاد الفرعي للفراتية العامة للعمال بوههران.

<sup>(1)</sup> Abdolkader LAKJAA: La longue marche des ouvriers agricoles de la résistance à la prolétariat, à la conquête de l'identité - thèse doctorat 3<sup>ème</sup> cycle université de Paris I: E.R. des S<sup>ciences</sup> sociales 1990, p. 69.

<sup>(2)</sup> Ibid.



السنة	المتخرفون
1935	00
يناير 1936	800
يناير 1938	3.000
1939	00
1943	00
يناير 1944	500
يناير 1945	23.000
1948	10.000

ويؤيد عدم انتماء الفلاحين الجزائريين وانخراطهم بقوة في صفوف الحركة القومية إلى تأثير الحركة الإصلاحية الباديسية في الجماهير الريفية والحضرية، بل وتأثير الموروث الحضاري القائم على التعاليم الإسلامية. وفي شهر ماي 1934 بعث السيد قاضي عبد القادر رئيس فدرالية الفلاحين بكتابة برسالة إلى الحاكم العام للجزائر يبلغه فيها عن نيته بدعوة الفلاحين الجزائريين ومربي الماشية بعمالة قسنطينة إلى التظاهر تعبيرا عن سخطهم وعن سوء حالهم، وقد لبى معظم فلاحي عمالة قسنطينة الدعوة لحضور المهرجان؛ فاجتمع الفلاحون والعمال الزراعيون في قاعة سينما «نونيز» (NUNEZ) يوم 25 ماي 1934 واستمعوا

إلى الخطاب الذي ألقاه السيد قاضي عبد القادر وشخص فيه حالة الفلاحين المزرية متوجها إلى الفلاحين بالقول «إذا كنتم فعلا

تريدون الدفاع عن حقوقكم ومصالحكم، ينبغي أن تحصلوا أولا على نفس الامتيازات والتسهيلات التي يحضى بها الكولون كالقروض ذات المدى البعيد مع تخفيض نسبة الفوائد عليها»، ودعاهم إلى الالتفاف حول لجنة الدفاع عن مصالح الفلاحين الجزائريين الأهالي<sup>(1)</sup>

وقد أشارت تقارير الشرطة الاستعمارية أن الهدف من هذا الاجتماع هو في حقيقة الأمر تكريس لهذه المنظمة الفلاحية الجزائرية وقرارها وتثبيتها لعبد القادر قاضي على رأسها، وتذكر أن هذا الأخير قد استغل الاجتماع لصالحه من أجل تحقيق أغراض سياسية بحكم انتمائه إلى «حزب الشبان الأحرار» و«فدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين».

ويذكر نفس التقرير أن أعدادا من الفلاحين الجزائريين والعمال الزراعيين قد غادروا القاعة لما فهموا أن الاجتماع كان لغرض جمع الاشتراكات المالية من الحاضرين وليس لغرض إسماع صوتهم والدفاع عن مصالحهم، وفسروا هذا الإجراء على أنه عبارة عن «زيارة عصرية» (Ziara moderne)، ويضيف قائلا بأن هذا الاجتماع قد ثبت من عزيمة

<sup>(1)</sup> Ibid. ( Le commissaire central de Constantine à M<sup>r</sup> le préfet).

قاضي عبد القادر وكشف عن مراميه وعن حقيقة شخصيته وفتح أمين  
الفلاحين ومربي الماشية الذين لبوا النداء<sup>(1)</sup>

وكعادتها ردت إدارة الاحتلال على الفلاحين المتجمهرين في هذه  
القاعة بأنها سوف تدافع عن مصالحهم دون تمييز بينهم وبين الفلاحين  
الأوروبيين<sup>(2)</sup>

وللعلم فقد حضر المهرجان 800 فلاح جزائري طمعا في تحسين  
وضعيتهم، كما حضر إلى جانبهم عشرة فلاحين أوروبيين.

وورد في تقرير الشرطة أن قاضي عبد القادر قد منع الفلاحين  
الحاضرين من الحديث عن القضايا السياسية داخل القاعة، وكان  
مطالبهم الاجتماعية لا صلة لها مطلقا بالسياسة الفرنسية الاستعمارية،  
واعتبر الكولون الفرنسيين أخوة للفلاحين الجزائريين، ودعاهم إلى رفع  
الإنتاج وإلى الإذخار والتخزين، وإنشاء لجان مشتركة تتكون من  
فلاحين جزائريين وكولون لحاربة المضاربة، وتسديد الديون التي على  
الفلاحين الجزائريين، واقترح كعلاج لعمليات الحجز والمصادرة  
الممارسة من قبل إدارة الاحتلال اللجوء إلى البنوك ورهن أملاكهم  
لديها لمدة 15 سنة، وأشار في خطابه على أن المطاحن التي تشتري القمح  
من الفلاح الجزائري بمبلغ 30 حتى 35 فرنك للطن الواحد هي التي  
أثرت سلبا عليه وعلى الكولون في آن واحد.

(1) C.A.O.M - G.G.A. Carton 9 H / 54 (meeting du 25/05/1934)

(2) Ibid.



ومن الخطباء الذين تعاقبوا على المنصة وأخذوا الكلمة نذكر  
بليلى، وسماحي، ورحموني عبد المجيد، ودادسي، وباستثناء سماحي  
فلاح من وادي زنتاتي) الذي انتقد الكولون الفرنسيين، وقال أنهم لم  
يأتوا أبدا عن مصالح الفلاحين الجزائريين، فإن باقي الخطباء قد اتفوا  
عليهم. وهو الأمر الذي تسبب في خلق صراع كلامي بينه وبين باقي  
الخطباء من أمثال بليلى (من عنابة) الذي دعاه إلى نسيان الماضي  
والتركيز في المستقبل، أما دادسي (فلاح من وادي زنتاتي) فقد ادعى أن  
نقابة الكولون في عين مخلوف (RENTIER) قد قدمت عوناً للفلاحين  
الجزائريين، ودعا إلى المودة والتكاتف بين الجزائريين والفرنسيين.

ومع هذا انتقد الحاضرون الطريقة التي تحصل بها المستخبون على  
10 مليون فرنك، بينما الفلاحون الذين هم في أمس الحاجة إلى  
المساعدات المالية لم يحصلوا على شيء، وهددوا بتنظيم مهرجان آخر ما  
لم تلب مطالبهم.

لقد أوقفنا هذا التقرير على جملة من الحقائق منها :

- الكشف عن وجود عناصر حزبية أو نقابية جزائرية كانت تلعب  
على الحبلين، ونلمس ذلك من خلال ادعاء الخطباء للأخوة -  
الكاذبة - مع الكولون، والدعوة إلى خلق تفاهم بينهم وبين الفلاحين  
الجزائريين - أعدائهم الطبيعيين - .

- استجابة الفلاحين الجزائريين للنداء، وحضورهم المكثف في  
المهرجان هو تعبير قاطع عن نضجهم ووعيهم بمصالحهم.

تهديدتهم بإقامة مهرجان آخر ما لم تأخذ السلطة الاستعمارية  
بأيديهم وتحل مشكلاتهم هو دليل آخر على تمكن قواعد النضال  
العمالي الثوري من نفوسهم.

ويبقى التساؤل المطروح في الأخير إذا ما كان هذا المهرجان عظة  
مبدئية أريد بها احتواء الاضطرابات الخطيرة التي شهدتها عمالة قسنطينة  
خلال سنة 1934<sup>(1)</sup>

#### الإضرابات العمالية:

لم تسمح الظروف القاسية التي يجيهاها العمال في مزارع الكولون  
وورشات العمل - في ظل الاستعمار الفرنسي - للنفوس بالصبر  
طويلا.

وامام هذا الوضع لم يبق من سلاح في أيدي العمال بمؤسسات  
الكولون سوى الإضراب عن العمل تعبيرا عن رفضهم لسوء معاملة  
الكولون لهم.

وعلى هذا الأساس سينشئون الفروع النقابية، وينظمون  
الإضرابات عن العمل في مزارع الكولون، ومن موجات الإضرابات  
العمالية المتتالية اخترنا لكم هذه الأمثلة:

عن هذه الاضطرابات، راجع: Mahfoud KADDACHE. Histoire du Nationalisme  
Algérien 1919-1951, TL Alger: S.N.E.D 1980- has de page 297

ففي شهر جوان 1936 نظمت إضرابات عمالية في كل من قرضا  
والجزائر، ساهم فيها الجزائريون إلى جانب الفرنسيين، استاء لها الكولون  
بشدة، حيث وقعت صدامات بين الكولون والمضربين عن العمل في  
الجزائر العاصمة وتلمسان ووهران وعين تموشنت ومستغانم وقسنطينة،  
وهي الإضرابات التي مَزَقَ فيها العلم الفرنسي، وقد أعطى الفلاحون  
الجزائريون من خلال امتناعهم عن العمل في مزارع الكولون الطابع  
الثوري لهذه الإضرابات.

ففي نواحي الجزائر العاصمة اعتقد الفلاحون الجزائريون أن  
الوقت قد حان لاستعادة أراضيهم، حيث تشكلت مجموعات عمل  
جابت الأرياف في محاولات لمنع عمال الأرض الأجراء من العمل في  
مزارع الكولون، ونظمت زُمَرًا تقف أمام المؤسسات الزراعية لتنفيذ  
إضراب العمال، واستولت على المزارع والضيعات، وهو الأمر الذي  
أقلق الكولون وأزعج إدارة الاحتلال التي اتخذت إجراءات تمثلت  
في تسليح الكولون، كما تدخل الطيران بالتحليق فوق مزارع الكولون،  
وتم إلقاء القبض على المضربين ومعاقبتهم<sup>(1)</sup>.

ولما كانت الإدارة الاستعمارية تتوقع مثل هذه الحوادث فإنها  
أسرعت في يوم 30 مارس 1935 إلى إصدار مرسوم «رئفي» (Décret  
Régnier) الذي ينص في مادته الأولى على العقاب بالسجن لمدة تتراوح

(1) - Mahfoud KADDACHE et Djilali SARI, L'Algérie dans l'histoire T.05, Alger:  
O.P.U. 1989, p 49



إثر توقيف أحد الكولون لعامل زراعي في زفيزف (Mercier Lacombe) يوم 18 جوان 1937، قرر خمسة عشر عاملا التوقف عن العمل تضامنا مع زميلهم.

ورخوفا من التحاق باقي العمال بالإضراب، خاصة وأنه لم يمر سوى شهر واحد على توقيف الكولون بالمنطقة لستين عاملا زراعيًا وذلك يوم 04 ماي 1937، أسرع رجال الدرك الاستعماري لتطويق العمال واقتنعوهم على العودة إلى عملهم<sup>(1)</sup>.

وقد شهدت سنة 1937 ميلاد فروع نقابية للعمال الزراعيين على مستوى القطر الجزائري بهدف الدفاع عن حقوق العمال ومصالحهم، منها: الفرع النقابي للحروش (مكيكدة) الذي نشأ إثر اجتماع بمقر بلدية الحروش يوم 29 جوان 1937، ويجمع بين صفوفه فلاحين من بلدية عين بوزيان (Col des oliviers) الكاملة الصلاحيات، وبلدية أمجاز الشاش (Robert ville) وصالح بوعاشور (Gaston ville) والحروش المختلطة، ويتكون مكتب هذا الفرع النقابي من:

- بوشريكة ميلود : أمينا عاما.
- عبد اللّهي الطاهر : نائب الأمين.
- كربوعة حسن : أمين الخزينة.

بين ثلاثة أشهر إلى ستين سجانا مع غرامة مالية تقدر بـ 500 حتى 1.000 فرنك ضد كل شخص تسبب في إثارة سكان المستعمرة إلى التظاهر ضد الاحتلال بأي شكل من الأشكال، وكان الخراط العمال في النقابات، وتعليمهم للتظاهرات، ونوقفهم عن العمل في مزارع الكولون يعبر عتباتا وخروجا عن القانون.

ولما كان الحال النقابي ضعيفا في صفوف عمال الأرض فإن النقابة الوطنية للمعلمين حاولت في سنة 1936 تأطير حركة نقابية لعمال الزراعة لكنها انحطت، كما فشلت أيضا تجربة العمال الزراعيين في الإضراب عن العمل أثناء موسم جني العنب، إذ تمكن الكولون من تمويه العمال المضربين بجلب عمال من الحدود الشرقية للمغرب الأقصى، وهو الأمر الذي تسبب في إحداث مشادات بين العمال الزراعيين الجزائريين المؤيدين للإضراب والمعارضين له، ويعزى هذا الفشل إلى غياب التكوين والتربية النقابية في الوسط الفلاحي الجزائري وإن كان البعض يدعي أن الإضرابات السياسية في الوسط الفلاحي الجزائري لم نعرفها المنطقة الغربية من القطر الجزائري سوى عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، وذلك لاعتبار فرنسا العمل النقابي خلال هذه الفترة نشاطا لا شرعيا<sup>(2)</sup> فإن الأحداث تثبت أن النشاط النقابي في غرب البلاد يعود إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، والأمثلة التالية تكشف لنا بوضوح عن ذلك.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H / 41. (Le S / Préfet de Sidi Belabbes à M<sup>r</sup> le Préfet de police d'Oran, le 09/07/1937)

<sup>(2)</sup> Michel LAUNAY. Paysans Algériens, Paris, Ed. du seuil 1963, pp 140-141

- العربي حسن : نائب أمين الخزينة.
- عبد الّلي الطاهر : عضو
- بشي محمد : عضو
- حركات ساسي : عضو (1)

ومع أنه فرعاً نقابياً فلاحياً - جميع أعضائه جزائريون - فإن خمسة من أعضائه ليسوا فلاحين (بوشريكة ميلود، عبد الّلي الطاهر، تزيوغة حسن، بشي محمد، حركات ساسي)، وهذا ما يدل على أن المسألة الفلاحية كانت محل اهتمام حتى من الذين ليس لهم صلة بالفلاحة.

وإن كان التقرير السري الذي تقدم به نائب عامل عمالة سكيكدة يصح على أن هذا الفرع النقابي يتشكل من أميين - لا يقرؤون ولا يكتبون - وليس لهم أي انتماء حزبي بحيث لا يشكلون خطراً على أمن الدولة، إلا أن هذا لا يعني أن الفرع النقابي الناشئ لم يكن مكثراً بالأحداث والاضطرابات العمالية التي شهدتها المنطقة خلال جويلية 1933 وخلال 05 أبريل 1937<sup>(2)</sup>

وقد حمل هذا الفرع النقابي الفلاحي سلطات الاحتلال سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي آل إليها الفلاحون الجزائريون.

<sup>(1)</sup> Ibid. (Le S / Préfet de Philippe ville à M<sup>r</sup> le Préfet. Le 30/06/1937)  
<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H / 41. (Le S / Préfet de Philippe ville à M<sup>r</sup> le Préfet. le 30/06/1937)

حيث توالى الهجمات ضد الكولون الفرنسيين في كامل البلاد تصفهم بالمغتصبين، وهذا على الرغم من محاولات فرنسا رفع الأجور وتحسين الحالة الاجتماعية للعمال الزراعيين.

ومن جهة أخرى فقد شهدت الأرياف الجزائرية في عقد الثلاثينيات من القرن العشرين نمو لنشاط الشيوعيين، وهو الأمر الذي آل إلى الإخلال بالحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية لسكان القرى والمدن.

وقد أبدت سلطات الاحتلال استياء بليغا من الفروع النقابية الناشئة، ففي رأس الوادي (Toeque ville) اتخذت قرارا يفرض على الفروع النقابية عقد اجتماعاتهم داخل مباني مقر البلدية لمراقبة نشاطها ومنعها من الدعاية الشيوعية؛ كما أوصى الكولون بعضهم بعضا بعدم الضغط على العمال الزراعيين أثناء شن هؤلاء لإضرابات عمالية، لاسيما أثناء فصل جني العنب.

وبانحراط الفلاحين والعمال الزراعيين في الفرع النقابي للعمال الزراعيين بالحروش - تحت تاثير «C.G.T» - ازدادت إدارة الاحتلال تحوفا، واتخذت إجراءات لمراقبة تحركات الدكتور بن جلول في الناحية<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> الدكتور بن جلول من مواليد مدينة قسنطينة، مؤسس «اتحادية المنضمين المسلمين الجزائريين» في سنة 1927، عضو في المجلس الوطني - مؤيد مالي - عضو في مجموعة الـ 61 التي ساندت جبهة ت. و. و. توفي في المهجر بعد 1962



## الانتشار الجغرافي للفروع النقابية الفلاحية خلال عامي 1936، 1937

إن النقابات الفلاحية التي نشأت عام 1936 شهدت أول مرة منطقة الجزائر العاصمة وكان عددها في البداية واحد وعشرون فرعا نقابيا.

وفي عمالة وهران بذلت مجهودات كبرى في محاولة من مناضلي الاتحاد الجهوي لإنشاء فروع نقابية فلاحية، لكن ثلاثة فروع نقابية - فقط - سجل تواجدها فعليا، واحد في حمام بوحجر، واثنان في وهران.

بينما في عمالة قسنطينة لم يسجل أي تواجد للفروع النقابية الفلاحية وذلك حتى بداية عام 1936.

### عمالة الجزائر

أعلن الاتحاد الجهوي لنقابات الفلاحين لعمالة الجزائر العاصمة أنه حتى عام 1936 لم يكن في مقدوره الحصول على نتائج عامة فيما يخص العمال الزراعيين، بينما الفروع النقابية التي تعود نشأتها إلى شهر ماي 1936 فهي فروع: بوفاريك، البلدية، العفرون، وبرج الكيفان (fort de l'eau)، وبلغ عدد المنخرطين فيها حوالي 2.000 عضوا.

وتشير تقارير الشرطة الاستعمارية الفرنسية بأن الوعود الديمقراطية قد لعبت دورا في خداع الفلاحين مما خلق لديهم أوهاما

كانت لها انعكاسات سيئة، وإن مغامرين دخلوا في الحركة النقابية الفلاحية

النشئة لأغراض ومصالح شخصية، وهو الأمر الذي دفع بالعمال

الفلاحين إلى التعامل بحذر مع هذا التنظيم الفلاحي.

ومن جهة أخرى فإنه تطبيقا لقانون 02 أوت 1936 الذي ينص على إنشاء لجان لدراسة أجور العمال الزراعيين، تدخلت الاتحادية الجهوية لنقابات الفلاحين وعمال الأرض لتعيين أربعة ممثلين لعمال الأرض لكل من منطقة الجزائر العاصمة، والأصنام، والمدية، وتيزي وزو، وعين بسام، من بينهم اثنان ينوبان عن الفلاحين وعمال الأرض الجزائريين واثنان عن الكولون.

وفي الاجتماع الذي انعقد بالأصنام يوم 05 فبراير 1937 تحت رئاسة السيد «راكاموند» (RACAMOND) أمين الكونفدرالية العامة للعمال (C.G.T)، وجمع فلاحي دوار تدمارة، طلب الأمين العام من الدواوير تعيين من ينوب عن كل منها في مختلف الاجتماعات العمومية التي تنعقد بالمركز الاستيطاني المجاور لها أو القريب منها، على أن يحرر النواب تقارير تعرض على رفقاتهم.

بصفة عامة اصطدمت نقابات الفلاحين والعمال الزراعيين بمشكلات ناتجة عن طبيعة وسلوك الفلاح الجزائري، وعن نقص الشايطير، وهو الأمر الذي تطلب اللجوء إلى ضم عمال من خارج

## ب. عمالة وهران:

شهدت الجهة الغربية من الوطن ولأول مرة سنة 1936 ميلاد ثلاثة فروع نقابية فلاحية: الفرع النقابي لحمام بوحجر وعلى رأسه المناضل الشيوعي سماحي نعيم، والفرع النقابي لسيفزف (Metcier la combe)، وفرع سيدي بلعباس.

ومن بين الفروع النقابية التي كان لها موقدون زراعيون يمثلونها لدى الاتحاد الجهوي لنقابات العمال الفلاحين خلال عام 1937 نذكر فرع سيق والمحمدية (Perrégaux)، ومستغام، ومسرغين، وغليزان، وبلعباس، ومغنية، إلا أن موقدي هذه الفروع النقابية لم يكونوا فلاحين أو عمالا زراعيين ولكن مناضلين في الأحزاب أو معلمين من أمثال:

معباد (Perrégaux)، و «كانيزو ايدموند» (مسرغين)، و «جاك بول» (سيق)، وبوجعة (غليزان)، وبدل أن يدافع هؤلاء عن الفلاحين وعمال الأرض، فإنهم كانوا يبعثون برسول من الأهالي يشتمون إلى الكونفيدرالية العامة للعمال للقيام بالدعاية وجمع الاشتراكات من العمال مقابل تسليمهم بطاقات المخراط كما حدث مع العمال الزراعيين في عين تادلوس و«بال كوت» (عين بودينار)، ومع هذا فإن رغبة الفلاحين في التخلص من ظلم الكولون دفعت بهم إلى الإنخراط في النقابات والمساهمة باشتراكاتهم المالية فيها، وهذا ما تمت ملاحظته في كل من حمام بوحجر، وعين تموشنت بداية عام 1937 حيث تسابق

القطاع الفلاحي إلى هذه النقابات، فعلى سبيل المثال كان أمين الفرع النقابي للمعروف موقفا في السكك الحديدية، كما كان الفرع النقابي لبرج الكيفان يتألف من عامل فلاح واحد وإلى جانبه تاجر وكاتب عمومي.

ومن الحالات الخاصة التي عاشتها بعض الفروع النقابية الفلاحية بسبب غياب الشايطير، والتصرفات اللاهفة لبعض المسؤولين النقابيين ظهر نموذج بوقاريك الذي نشأ في 15 ماي 1936 ويضم في صفوفه 250 منخرط، حيث أساه أحد مسؤوليه - إلى الفرع - بإقدامه على جمع الإسهامات المالية لحسابه باسم النقابة في المقاهي الشعبية.

وإن كان تسعة عشرة فرعا نقابيا قد حضي بدفع المنخرطين لاشتراكاتهم خلال عام 1936، فإن أربعة فروع نقابية - فقط - قد قدم أصحابها ملفات كاملة.

ومع كل هذه المشكلات فإن الفروع النقابية ظلت في زيادة مستمرة حيث شهدت بداية عام 1937 ميلاد أربعة فروع نقابية في كل من تيزي وزو، وفراز بن خدة، وموزاية، والأربعاء، وهو الأمر الذي رفع عددها إلى ثلاثة وعشرين فرعا نقابيا فلاحيا<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. - G.G.A. Carton 9 H / 41: (note sur le syndicalisme au milieu ouvrier Algérien, Juin 1937)



الفلاحون وعمال الأرض إلى الانخراط في الفروع النقابية، وشراء البطاقات.

وبناءً من شهر مارس 1937 شجعت عمالة وهران نشاطا دعائيا كثيفا بفضل الجهود التي بذلها السيد سعدون الأمين بالنيابة للاتحاد الجمهوري للفروع النقابية، والذي نشرت له صحيفة (Ours Republicain) عدة مقالات تدافع عن العمال الفلاحين، ويابعاز منه نظم الاتحاد الجمهوري لنقابات الفلاحين خلال يوم 29 ماي 1937 وقفة تضامنية لصالح العمال الزراعيين.

ونالوا بالدعاية النقابية نظم عمال معاصر الزيتون لائحة سبق لهما بمعمل كان بديره السيد برادعي لخضر العامل عند السيد «كريسو» (CRESPO)، وأنشأوا فرعا نقابيا يتألف من :

- برادعي لخضر : أمين عام، (عامل عند «كريسو» (CRESPO)

- محمد محمد : أمين عام بالنيابة، (عامل عند «سيجارة»

(SEGARA)

- دابو محمد : أمين الخزينة، (عامل عند «مارتيناز»

(MARTINEZ)

- أفراد جيلالي : نائب أمين الخزينة، (عامل عند «كريسو»

(1) (CRESPO)

وفي مدينتي مستغانم ومزرغان شن عمال معاصر العنب إضرابا عن العمل خلال يوم 07 جوان 1937، تضامنا مع عمال ميناء مستغانم الذين توقفوا عن العمل في ذات اليوم.

وتشير تقارير الشرطة الاستعمارية إلى انتشار الفروع النقابية لعمال الموانئ وعمال الأرض وإلى ازدياد المشاركين فيها، موضحة بأن الانخراط في النقابات التابعة للكونفيدرالية العامة للعمال (C.G.T) تسلك منحى سياسيا يتفق واتجاه حزب الشعب الجزائري، بدليل أن بطاقات المنخرطين في نقابة (C.G.T) كانت تحمل في ظهرها رسما ليد تشير سبابتها إلى

الأعلى مع رسم لنجمة، والرسمان من دون شك مستوحان من الرموز التي يستخدمها حزب الشعب الجزائري.

وقد لاحظت إدارة الاحتلال بأن الزعيم النقابي الجزائري «بادسي» (BADSI) يلازم منذ مدة بعض المثقفين الشباب من الغزوات من أمثال «مالي» - موزع قسيمة الضرائب المباشرة - والأخوة «برزي»، ويظهر أنه تخلى عن الخلية الشيوعية المحلية التي يرأسها «معمان إميل» (MAMMAN Emile) والتي تتكون أساسا من عناصر إسرائيلية، ومعنى هذا أن النقابة قد تحولت إلى الدعاية لصالح الحركة الوطنية في بعض الدواوير التابعة لدائرة الغزوات كما هو الحال مع دوار أولاد

الذي كان يتولى نشاط الدعاية فيه لصالح حزب الشعب المعلم  
القرابي كفاي محمد ولد البشير (1)

وهكذا راحت الصفوف الطلابية للفلاحين وللعمال الزراعيين توحّد  
صغرفها وتلك طريق النضال النقابي، إيماناً منها بأن قوتها تكمن في  
وحدة الفلاحين والعمال الزراعيين، وفي رصن صفوفهم، واتساع الرقعة  
الجغرافية لمجال نشاطهم.

وما كاد شهر جوان 1936 يجل حتى كانت الفروع النقابية للفلاحين  
وتعمال الأرض قد بلغت معظم المدن في الجهة الغربية من الوطن،  
والجدولان التاليان يبيان عدد الفروع النقابية التي نشأت قبل جوان  
1936 ويعدّه

#### الفروع النقابية التي نشأت قبل جوان 1936

المدينة	عدد الفروع النقابية
وهران	29
مستغانم	02
سبني بلعاس	01
تلمسان	01
سجاية	01
بني صاف	01
المجموع	35

#### الفروع النقابية التي نشأت بعد جوان 1936

المدينة	عدد الفروع النقابية
وهران	31
حمام بوججر	01
سبني بلعاس	06
تلمسان	08
عين موشلت	02
بريقو (المحمية)	02
تيارت	02
غليزان	02
أوزو	01
بو حنيقة	01
المجموع	56

بالجانب هذه الفروع النقابية نشأت فروع أخرى فيما بعد في كل من  
سبق ومسرغين والغزوات ومعنية (1)

<sup>(1)</sup> CAOM, G.G.A. Carton 9 H / 41. (Situation politique à Nemours, Sous-Comité  
Centre d'information et d'études - Secret - Alger, le 21/12/1937)

<sup>(1)</sup> CAOM, G.G.A. Carton 9 H / 41. (note sur le syndicalisme en milieu indigène  
Algerien - Juin 1937)



«عزم السيد «موران» (MORIN) الأمين العام لاتحادية العمال قسنطينة فرصة تنظيم العمال الزراعيين لإضراب عن العمل في مزارع الكولون يوم 28 أبريل 1937 بالحروش، فحل بمكان تجمع الفارين رفقة السيد عباوي المناضل في الحزب الشيوعي، والأمين العام نقابة عمال السكك الحديدية والعضو في الاتحادية الجهوية للعمال. وأسس فرعا لنقابة العمال الزراعيين، إلا أن هذا الفرع لم يعمر طويلا.

وللعلم فإن مدن عمالة قسنطينة وقراها لم تشهد حتى هذا التاريخ أية محاولة لإنشاء فروع نقابية للعمال الزراعيين.

وفي مقال أصدرته جريدة (La Lutte Sociale) لسان حال الحزب الشيوعي يوم 19 جوان 1937، تحت عنوان «قرارات الحزبي والعار للجان الفلاحية قسنطينة» ورد أن العمال بعمالة قسنطينة يتقاضون أجورا منخفضة مقارنة مع الأجور التي يتقاضاها عمال الأرض في كل من عمالة وهران والجوائر العاصمة، ويحتجون بشدة على رفض هذه اللجان استقبال الموفدين الزراعيين للاتحاد الجهوي للعمال بحجة غياب الفروع النقابية الممثلة للعمال الزراعيين، وهو الأمر الذي استدعى ظهور طلائع عمالية تعمل على إنشاء فروع نقابية للعمال الزراعيين، وهذا على الرغم من نقص التأطير، وعدم وجود عمال ذوي تجربة، بخلاف إلى ذلك الموقف القاسي والجان للكلولون الذين أقدموا على

طرد العمال المتخربين في النقابات بدون رافة ولا رحمة، حيث تم لكبار الكولون بالحروش أن سرحوا مائة وخمسين هاملما من الفارين المتخربين في فروع نقابية واستجابوا لنداء تنظيم الإضراب عن العمل في مزارع الكولون.

وعلى هذا الأساس وجهت الاتحادية الجهوية للعمال نداء إلى الموظفين وعمال البريد، والمعلمين، وعمال السكك الحديدية، وكل العاملين في قطاع الخدمات العامة للقيام بدورهم تجاه الفلاحين وعمال الأرض لمساعدتهم على إنشاء فروع نقابية وتأطيرهم مؤقتا في الأحياء والقرى التي يسكنونها أو يعملون فيها، وينسقون جهودهم مع العمال والموظفين، ويتولون الدفاع عن مصالح زملائهم الأهالي المضطهدين والمستغلين بدون رحمة.

وأمام الانتصارات التي حققتها الكتفدرالية العامة للعمال بتحريضها لعمال الأرض ضد الكولون اضطر هؤلاء الأواخر إلى الرضوخ لمطالب عمالهم في كثير من الجهات، وفي مقدمتها تسوية الأجور وتحسينها<sup>(1)</sup>.

من هذا العرض الوجيز يمكن استخلاص ثلاثة حقائق هي:

- 1- إشراف الشيوعيين على عملية إنشاء الفروع النقابية للفلاحين وللعمال الزراعيين وتأطيرها.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H / 41 (note sur le syndicalisme en milieu indigène Algérien, Juin 1937)



2- ظهور الفروع النقابية الأولى للفلاحين وعمال الأرض في الجهة الغربية من القطر الجزائري، ولعل هذا يعود إلى الحضور الكثيف للشبيبة في هذه الجهة.

3- تضامن الموظفين والعمال في قطاع الخدمات العامة للمواطنين في الكفندية العامة للعمال (C.G.T) مع الفلاحين الجزائريين الصغار وعمال الأرض، والعمل إلى جانبهم بدءاً واحدة ضد كبار الكولون.

### الدعاية النقابية داخل الأرياف الجزائرية

اعتمد الشيوعيون في دعابته وفي نشر أفكارهم عن طريق إقناع سكان القرى والمدن بوجوب التضال ضد الكولون الذين اغتصبوا أراضيهم وأراضي آبائهم وأجدادهم ورسخوا في أذهانهم فكرة من غير الكولون البلاد فإن الأراضي الفلاحية ستقسم عليهم بعدل واتصال.

كما ساد الاعتقاد بأن الخلاص من الكولون هو الرمي بهم في البحر، وقد رفع المضربون عن العمل في مزارع الكولون بكل من مستغانم، وسيدي بلعباس، وتلمسان، وعين تموشنت شعار «الموت للكولون» خلال شهري مارس وأفريل من عام 1937<sup>(1)</sup>.

ومن الملاحظات الجديرة بالاهتمام فإن الإضراب عن العمل من قِبل مزارع الكولون الأوروبيين، بينما لم تمس هذه الإضرابات الممتلكات الزراعية الكبرى والوسطى للفلاحين الجزائريين، مما يجعلنا

<sup>(1)</sup> C.A.O.M, G.G.A. Carton 9H/41

ومن شأن الإضرابات العمالية كان لها الطابع الوطني، وأنها ضد التمييز والاستيطان من جهة، وضد استغلال الكولون الفاحش للعمال الزراعيين من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس تدرج هذه الإضرابات ضمن إطار الصراع بين المستعمر والمستعمر، أو كما يقال «بين الوطنية والتعمير»<sup>(1)</sup>.

وفي أعقاب هذه الإضرابات دعا رئيس دائرة سيدي بلعباس الكولون إلى تلبية رغبة العمال الزراعيين - الأهالي - وتحسين أجرهم اليومي حتى لا تزرع فيهم بذور الثورة، كما دعا نقابات الفلاحين وعمال الأرض إلى الكف عن الدعاية السياسية، والتركيز في نشاطهم على الجانب الاقتصادي والاجتماعي الذي يدخل في صميم العمل النقابي<sup>(2)</sup>.

وهكذا أفضت الدعاية النقابية إلى ظهور المزيد من الفروع النقابية، حيث نشأت في عمالة الجزائر العاصمة خلال سنة 1937 ثمانية فروع نقابية للفلاحين وعمال الأرض، وثلاثة في بلاد القبائل (أزغون، Port Gruydon) تيزي وزو، وزموري (Courbet) واثنان في عين بسام، وثلاثة في ناحية الشلف (مليانة، وادي الفضة، وحمادية (Victor Hugo)).

<sup>(1)</sup> مصطفى الأشرف. الجزائر: الأمة والمجتمع، للترجمة من الفرنسية للدكتور حنفي من عيسى، الجزائر: موند، 1983، ص 76.

<sup>(2)</sup> Ibid



وبعمل التأثير الثقافي نشطت الإضرابات العمالية في مزارع الكولون، حيث امتدت الإضرابات التي شهدتها نواحي جيجل والطاهير في صيف 1937 بمزارع الكولون إلى ستة عشر ضيعة توقف فيها عن العمل 490 عاملا، وهو الأمر الذي أجبر الكولون إلى اللجوء إلى الماطلين عن العمل في كل من جيجل والدواوير القريبة منها لإتمام عملية حني العنب.

وللاشارة فإن السلطات العسكرية تدخلت مدة الإضراب لحماية الممتلكات الزراعية للكولون، ومرافقة العمال بأربعة فصائل عسكرية تتبع للفرقة الخامسة عشرة للرماة السنغاليين (15<sup>ème</sup> Régiment de tirailleurs Sénégalais) تمركزت في ثلاث ضيعات هامة وبأحد المراكز التجارية<sup>(1)</sup>.

وبناء على معلومات قدمها أحد الوشاة من جيجل إلى إدارة الاحتلال مفادها أن العمال الزراعيين في بلدية الطاهير يقدمون منذ أسبوع على تسجيل أنفسهم للانخراط في نقابات الفلاحين وعمال الأراض.

وإن السيد مقيدش -معلم في المبلية- الذي يتولى رئاسة الفرع الثقافي ببلية عن السيد «اوكيلي» (OCCULI) يزور الضيعات يوميا رفقة

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 4H/42 (rapport du capitaine Mentès commandant la section, sur les grèves viticoles de la région de Djidjelli - Taber - Bougie le 06-09-1937).

رجال الدرك هي مساندة مطالب العمال وإبعاد المضربين الذين لا صلة لهم بالنقابة<sup>(1)</sup> وبالغهم بأن الإضرابات قد شملت قطاع الفلاحة في مكبددة يوم 30 أوت 1937، وعزابة (Jemmapes) يوم 03 سبتمبر 1937.

خلاصة القول فإن سنة 1937 قد عرفت إضرابات عارمة للعمال الزراعيين في كامل الجزائر، وتوضح لنا التقارير الإدارية الاستعمارية أن الأسباب الجوهرية لهذه الإضرابات تعود إلى انخفاض أجور العمال، وإلى تجاوزات الكولون وظلمهم المتزايد للفلاحين الجزائريين الصغار، وإلى تقاعس الإدارة الاستعمارية في التدخل لإنصاف عمال الأرض، وإلى سلوكها سياسة عنصرية في تعاملها مع الأهالي مقارنة مع الأوروبيين والفرنسيين، وهو الأمر الذي دفع بالعمال الزراعيين في زواية (Zeraia) الواقعة على بعد عشر كيلومترات من مدينة ميله إلى تنظيم إضراب عن العمل يوم 03 سبتمبر 1937 طالبوا فيه بمراجعة عقود الخماسين مع الكولون ورفع أجور العمال.

وتزامنت مع هذا الإضراب أحداث وصفت بالخطيرة، تدخلت فرقة الدرك على إثرها وألقت القبض على المضربين؛ ثم أوقفت حافلة عسكرية كانت تقل مجندين فرنسيين من قسنطينة إلى فج مزالة، ودفعت بقوة المضربين المقبوض عليهم لامتطائها، وعند ما حاولت مجموعة من العمال الزراعيين تتكون من مائتي شخص اقتحام الحافلة وفك سراح المضربين بإنزالهم من الحافلة، تدخل رجال الدرك والمجندون لتفريقهم.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/42 (- Secret - des grèves à l'occasion des vendanges Constantine le 23/08/1937).

وترامت مع هذا الإضراب أحداث وصفت بالخطيرة، تدخلت  
 قوة الدرك على إثرها وألقت القبض على المضربين؛ ثم أوقعت حافلة  
 عسكرية كانت تقل مجندين فرنسيين من قسنطينة إلى فجّ مزالة، ودفعت  
 بقوة المضربين المقبوض عليهم لامتطائها، وعند ما حاولت مجموعة من  
 العمال الزراعيين تتكون من مائتي شخص اقتحام الحافلة وفك سراح  
 المضربين بإثرهم من الحافلة، تدخل رجال الدرك والمجنّدون لتفريقهم  
 عن طريق ضربهم بالعصي ورشقهم بالحجارة، فردّ عليهم الفلاحون  
 بأكل رشقا بالحجارة والعصي، فكانت النتيجة إصابة ثلاثة مجندين  
 فرنسيين وعشرة فلاحين جزائريين بجروح (1)

وبهذا السلوك يكون الفلاحون الجزائريون قد عبروا عن  
 غضبهم وعن موقفهم بعدم الرضوخ للذل ولو أدى بهم ذلك إلى  
 التضحية بأنفسهم في سبيل استرجاع حقهم، والدليل على ذلك رشقهم  
 بمجنتين ورجال درك حاملين لأسلحة حربية بالحجارة وبالعصي.

ونكشف لنا بعض المحاضر التي رفعها المسؤولون الإداريون  
 المخلصون إلى السلطات الاستعمارية العليا، أن فرنسا كانت تخشى من  
 نتائج الإضرابات العمالية ومن انتشارها جغرافيا، ويفسر ذلك بما ورد  
 في محضر الاجتماع العسكري الذي انعقد في 23 سبتمبر 1937 بالمدينة

والذي يشير فيه بحره بأن الفلاحين بالمنطقة لا تظهر عليهم علامات  
 الاستياء، وأن لا تخوف منهم في الظرف الحالي (1)

ونفس الإشارات تضمنها محضر اجتماع سلطات الاحتلال على  
 مستوى مدينة الأصنام. على أن نواحي الأصنام يسودها الهدوء، وأن  
 النشاطات الاستطلاعية المنجزة منذ شهر ضمن شعاع خمسين كيلومتر  
 حول مدينة الأصنام تؤكد بأن الكولون والمستوطنين الأوروبيين لم يطلبوا  
 الحماية من العسكريين الذين يثير وجودهم حفيظة الفلاحين  
 الجزائريين (2)

وفي الاجتماع الدوري لسلطات الاحتلال بتيزي وزو المنعقد يوم  
 29 سبتمبر 1937 والذي يتنעד مرة كل خمسة أشهر، أبدى المجتمعون  
 مخاوفهم من المناضلين الشيوعيين الذين يجوبون الأرياف ويحرضون  
 الفلاحين الجزائريين على تنظيم إضرابات عن العمل في مزارع الكولون  
 عند بداية عملية الجني القادمة.

ويذكر التقرير أنّ المحرضين على الإضراب كان يقودهم أناس  
 غريباء وأجانب عن المنطقة، بدليل أنهم كانوا يخفون مباشرة بعد انتهاء  
 زيارتهم للمداشر.

وقد نظم الكولون اجتماعا في ناحية تيزي وزو للرد على مطالب  
 العمال الزراعيين الخاصة برفع الأجور، فوصفوا العمال الجزائريين

(1) Ibid. (P.V n° 69/SM. Secret. En date du 23/09/1937).  
 (2) C.A.O.M. G.G.A. Carton 3H/52 (P.V n° 124/SM - secret - en date du  
 28/09/1937)



بالكسل، والاقتصاد في بذل الجهد، وتقص الخبرة مقارنة مع العمال الأوروبيين الذين لهم القدرة على التحمل؛ وضربوا مثالا على ذلك بالقول: بينما العامل الجزائري لا يتعدى جني ثلاثة قناطير من العنب يوميا فإن العامل الأوروبي له من القدرة على جني سبعة قناطير يوميا<sup>(1)</sup>

ومع هذا ظل العمال الزراعيون الجزائريون متمسكين بمطالبهم الحادة برفع الأجور.

وفي عصر لسلطات الاحتلال بجيجل، ورد أن مناضلين وطنيين تونين ينشطون ببلدية جيجل المختلطة منذ شهر جويلية 1937، وأن مفوضي نقابة جيجل المستعربين إلى الكونفدرالية العامة للعمل قد زاروا المشتريات الفلاحية للفيلين، وورشة أشغال صرف المياه لوادي قصير، ومجموعة من المشتريات الفلاحية الأخرى، وذلك لغرض إقناع العمال الأممي للاخراط في نقابات الفلاحين وعمال الأرض، بحيث لم تمر سوى أيام قليلة على هذه الجولة حتى انفجرت ببلدية جيجل المختلطة سلسلة من الإضرابات العمالية مست بوجه أخص وادي قصير وبعض المشتريات الفلاحية للفيلين التابعة لقطاع الدولة وللخواص، وكذلك مزارع الكروم ببلديات جيجل، و قوس (Duquesnes)، والأمير عبد القادر (Sraibou).

<sup>(1)</sup> Ibid. (le commandant d'armes de la place de Tizi Ouzou et Subdivision d'Alger Secret.). général commandant la

وكان من آثار النشاط النقابي للعمال الفلاحيين في المنطقة، استغلال عدد كبير من المناضلين في الاتحادية الجهوية للمنتخبين المسلمين الجزائريين، ومن أعضاء الجماعات في بلدية جيجل المختلطة<sup>(1)</sup>

ومن أخوف ما كانت تخافه إدارة الاحتلال هو أن تؤول الفروع النقابية للفلاحين وعمال الأرض إلى تكوين جبهة دفاع موحدة تفضي إلى تنظيم إضراب شامل من شأنه أن يخل بالتوازنات الاقتصادية الزراعية الاستعمارية في الجزائر.

وعليه كانت فرنسا تترصد لحركات المناضلين في الأحزاب الوطنية، والمنخرطين في الفروع النقابية لاحتواء نشاطهم والحد من نفوذهم وسلطانهم، خاصة وأن سكان القرى لم يصبوا غضبهم في هذه الفترة على الكولون وإنما كذلك على القياد الذين كانوا في خدمة الاحتلال الفرنسي، حيث مال الفلاحون في بعض الجهات إلى العصيان العنيف برفضهم الانصياع للقياد والأكوات وقتلهم البعض منهم؛ فأربعة قبائل من أولاد خليف أبدت عدم اعترافها بسلطة الأغا صحراوي بن محمد، وثلاثة قبائل من أحرار الشراقة أظهرت عداها للأغا الذي عينته سلطات الاحتلال عليها، بينما سعت قبائل أولاد الزوية، وأولاد بوعافيل إلى خلق اضطرابات وقلقل للمتصرف الإداري، بحيث لم يبق للأغا أية سلطة على أولاد خالد الشراقة.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 3H/52.



ويبدو أن تمرد أولاد عزيز على القائد بلخير قد يعود إلى سوء معاملة هذا الأخير لهم، كما لم تقبل كل من قبيلة أولاد بلخير والشاوية العيش تحت إمرة قائدها الذي كان يعمل باستمارة لصالح السلطات الاستعمارية<sup>(1)</sup>

فكان لابد للصحف الاستعمارية أن تعني بالموضوع وذلك بعد أن هزت إضرابات العمال الفلاحين وجدان محرريها، فاعتبرت صحيفة «Oran Républicain» أن أهم النقابات العمالية، وأشدّها خطرا على الوجود الفرنسي في الجزائر هي نقابة العمال الزراعيين، لأن معظم العمال في الجزائر تربط حياتهم بالنشاط الزراعي، وتبين الإحصائيات أنه ضمن ثمانية عمال يوجد سبعة في الزراعة وعامل واحد في القطاعات المتصلة بالصناعة<sup>(2)</sup>

ودكرت هذه الصحيفة أن إنشاء الفروع النقابية للفلاحين وعمال الأرض جاء استجابة لمطالب العمال الخاصة برفع الأجور، والاستغناء عن اليد العاملة المغربية - لاعتبار المغاربة كانوا يقبلون العمل في مزارع الكولون مقابل أجر يومي زهيد يتراوح بين 02 و 05 فرنك، وهذا ما لم يقبله الجزائريون -

كما أشارت نفس الصحيفة أن عمال الأرض الجزائريين يشكون من تخفيض ساعات العمل اليومي، ومن البطالة الحادة، وكذلك

<sup>(1)</sup> Ibid. Le général de la division BAILLOU Commandant le 10<sup>ème</sup> corps d'armée à M<sup>r</sup> le gouverneur général de l'Algérie  
<sup>(2)</sup> Oran Républicain du 19/03/1938

من كلام السوء، ومن القسوة، ومن العنف المعارس ضدهم من قبل الكولون ومن قبل المتعاملين معهم، كما أنهم يشكون أيضا من غياب القوانين الاجتماعية والضمانات في حالة وقوع حوادث، ومن عدم وجود هيئة رسمية لمراقبة أجور عمال الأرض.

وكتبت قولاً ينسب إلى الفلاحين الجزائريين بأن بعض الكولون يستغلون العمال في مزارعهم بالطلقات النارية وتحت حماية رجال الدرك الاستعماري، وذلك طبقاً للقانون الخاص بالدفاع عن المستوطنين وملاكي الأرض، وانتهى المقال الصحفي بجملته - أخيرة - مفادها أن قانون الأندجينا والقوانين الاستثنائية كلها ضد عمال الأرض<sup>(1)</sup>

فمثل هذا المقال يعتبر شهادة صريحة من الفرنسيين بأنفسهم على نكسة سلطات الاحتلال الفرنسي والكولون في معاملتهم للأهالي الجزائريين.

ومن خلال المطالب التي رفعها الفرع النقابي لفلاحي تلمسان إثر الجمعية التي حضرها أزيد من مائة وخمسون فلاحاً من كل جهات تلمسان يوم 28 ماي 1938 إلى سلطات الاحتلال والتي اشتملت على النقاط التالية:

- رفع الأجر اليومي.

- تطبيق العطل الأسبوعية.

<sup>(1)</sup> Oran Républicain du 19/03/1938.



- الانتهاء عن السخرة المجانية التي يفرضها الكولون على العمال صباح أيام الأحد

- منح الأولوية في العمل بمزارع الكولون للجزائريين قبل المغاربة  
لا سيما أثناء موسم قطف العنب، ومواسم الحصاد والدرس.

يظهر أن الفلاحين الجزائريين كانوا يتمتعون بنضج سياسي لما طلبوا أن تكون الأولوية لهم في خدمة أراضيهم وأرض آبائهم وأجدادهم، وإن كان الكولون هم الذين يتمتعون بخيراتها، كما يظهر صراحة من خلال مطالبهم أنهم ليسوا أغبياء أو مغفلين يستغلون في السخرة كخادم أو عبيد دون مقابل. ومعنى هذا أنهم خلقوا أحرارا متساوين في الحقوق والواجبات مع المستوطنين، ومن حقهم أن يعيشوا فوق أراضيهم - الجزائر - مع المعمرين على بساط الأخوة والمساواة. وتأكيذا لمطالبهم أعلنوا الشروع في إضراب عن العمل ابتداء من يوم 06 جوان 1938 (1)

وهكذا نلاحظ أن متوسط نسبة العمال الأهالي المستسيين إلى الفروع النقاية خلال سنة 1938 قد بلغت 40.000 عامل من ضمن 100.000 عامل منخرط في الكونفدرالية العامة للعمال على مستوى المقاطعات الجزائرية الثلاثة، أي أن خمسي العمال المنخرطين في الفروع النقاية هم من الأهالي وهذا ما تم التصريح به أثناء المؤتمر الثالث

للكونفدرالية العامة للعمال المنعقد بالجزائر العاصمة خلال يومي 03 و04 أفريل 1938 (1)

واستمر عدد الفروع النقاية الفلاحية يتزايد سنة بعد سنة. ففي عام 1939 ظهر تجمع فلاحى يدعى «فدرالية الفلاحين لعمالة وهران» واتخذ من غيليزان مقرا له تحت رئاسة السيد شمريق منور (CHEMRIK Menouar)

وقد أدى توسع حركة التنظيمات النقاية وتغلغلها في الأوساط الجماهيرية الحضرية والريفية إلى ظهور اتجاه جديد يدعو إلى ضرورة تحسين حالة العمال بما يستجيب لطموحاتهم.

وكان من آثار هذه التنظيمات انتشار موجات من الغضب والسخط في صفوف العمال ووقوع حوادث؛ انقل لكم نماذج منها وقعت بالبلديات المختلطة لوادي مرسى، وفج مزالة، وايدوغ.

أولا: شن العمال الزراعيون إضرابا في يوم 18 سبتمبر 1940 بالرواشد التابعة لبلدية فج مزالة المختلطة بضيعات الكولون «آستي فيليكس» (ASTIER Felix) بدعوى أن هذا الأخير قد تخلى عن وعده للعمال في مزرعته برفع أجرهم اليومي إلى 12 فرنك، فيوم دفع لهم رواتبهم وجدوا أن أجرهم اليومي لم يتعد عشر فرنكات.

(1) C.A.O.M. G.G.A. Carton 14 H/40 (Association des Fellahs. Le Préfet d'Oran au Gouverneur général. Oran le 10/05/1939.

(1) C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H/10 (Le préfet d'Oran à Monsieur le Gouverneur général de l'Algérie le 18/06/1938) C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H/41 (Idem) congrès de P.U.D. d'Alger



امتد إضرابهم بسرعة إلى باقي مزارع الكولون في بلدية الرواشد.  
تدخل الدرك الاستعماري وألقى القبض على ثلاثة عمال يوم 19  
سبتمبر 1940 بتهمة الإخلال بحرية العمل والاعتداء على عامل امتنع  
عن الإضراب عن طريق ضربه بالعصي.

تسبب هذا التوقيف في تنظيم العمال لتجمع أمام مقر بلدية فج مزالة،  
وضموا فيه البد في اليد ورفضوا أصواتهم مطالبين بالإفراج عن زملائهم، وفضاء  
وبدون شعور انطلقت الستهم تردد كلمة «الله أكبر»، فرفضت الإدارة  
الاستعمارية طلبهم، وخوف انتقال عدوى هؤلاء إلى غيرهم بالاعتصام أمام  
مقرات البلدية تدخل رجال الدرك الاستعماري رفقة فرقة عسكرية لتفريقهم  
بالقوة.

إلا أنه أمام ضغط العمال على الإدارة الاستعمارية، وحتى لا  
يؤول غضبهم إلى أسوء الأثر، أسرع المتصرف الإداري لبلدية فج مزالة  
إلى جمع الكولون العتین ودعاهم إلى تسديد أجور العمال وفق الرواتب  
التي حددتها إدارة العمالة بثلاثة عشرة فرنك لليوم الواحد، وبموافقة  
الكولون على هذا العرض وضع حد للإضراب، إلا أن العمال بمزرعة  
الكولون «آسي» السالف الذكر لم يلتحقوا بعملهم وشددوا في تمسكهم  
بمواصلة الإضراب لأن هذا الكولون لم يطبق على عماله الراتب اليومي  
المقرر عليه، وعلى هذا الأساس اعتبر على أنه هو السبب الرئيسي في  
دفع العمال إلى الإضراب<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> CAOM. G.G.A. Carton 9 H / 41. Note sur le Syndicalisme en milieu indigène  
Algérien

ثانياً : حادث مماثل وقع في بلدية أولاد مرساة المختلطة، حيث لم  
يطبق المستثمر الأوروپي «كوبولا» (COPOLLA) الأجر اليومي المتفق  
عليه على عماله في دوار بني عمرو، وقد نبهه المتصرف الإداري إلى  
ذلك.

لقد تعهد هذا الكولون الخمسة من عماله الكهول على أن يدفع  
لهم أجرا يوميا قدره تسع فرنكات، وأبلغ المتصرف الإداري بهذا  
الإجراء، إلا أنه تأخر في دفع رواتبهم، وعندما ألحوا عليه أن يسدد لهم  
أجورهم، أعطاهم موعدا آخر، فانصرفوا عنه وهم غاضبون.

وفي يوم الغد بينما كان ينتقل عبر الحقول على متن دراجته  
اعترض العمال الخمسة طريقه، وضربوه ضربا مبرحا بالعصي، فأصيب  
بجراح في وجهه وجسده، ويرجع الفضل في نجاحه من الموت إلى مرور  
سيارة نقلته على جناح السرعة إلى عيادة بجاية الطبية؛ ومع أن الدرك  
الاستعماري قد ألقى القبض عليهم، فإن نتيجة التحريات أكدت بأنه  
هو الذي جلب لنفسه العدوان، ويرأت العمال.

ثالثاً : عقب التحقيق في حادث سرقة الملابس والأحذية من سوق بن  
مهيدي (Morris) يوم 17 سبتمبر 1940، كشفت التحريات أن الكولون  
بالمنطقة لم يحترموا تعهداتهم، ولم يوفوا بالتزاماتهم تجاه العمال بحقوق  
الكروم- الذين كثر شكواهم من غلاء المعيشة، بما لم يسمح لهم بغطية  
حاجاتهم من الغذاء والملابس وضمان العيش لأفراد عائلاتهم، حيث



أدى بهم الأمر إلى التخلي عن العمل والتوجه إلى عتابة للمشاركة في مظاهرة عمالية<sup>(1)</sup>

وللعلم فإن الأجر اليومي للعامل الفلاحي كان يختلف من جهة لأخرى، وهو الأمر الذي فتح أعين العمال في المناطق التي تنخفض بها الأجور على التظاهر والاحتجاج والإضراب عن العمل<sup>(2)</sup>

ولمّا هذه الوضعية تصح المتصرفون الإداريون الكولون في معظم جهات البلاد بتوحيد أجور عمال الأرض تفاديا للاحتجاجات التي قد تنطوّر إلى حوادث تستغلها عناصر أجنبية لاسيما وأن فرنسا تعيش حالة حرب.

يظهر مما سبق عرضه، وذلك حتى عام 1940 بأن الإضرابات العمالية كانت تهدف إلى تحقيق مطالب اجتماعية بحجة ضد الكولون الذين يملكون أموال الناس بالباطل، ولم تستغل إلا في حالات نادرة لتحقيق أغراض سياسية - كما هو الحال مع الغزوات التي تحول فيها النشاط النقابي لصالح الدعاية الحزبية سنة 1937 - وهو الأمر الذي دفع بالمصرفين الإداريين للتدخل لدى الكولون والملاكين الكبار لصالح العمال الزراعيين الأجبراء. ومعنى هذا أن الأسباب المباشرة وغير

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/41.

<sup>(2)</sup> خلفت في عتابة، كان يتقاضى 8,5 فرنكا يوميا، والحاصل 09,5 فرنكا، بينما كان العامل يحول الكروم في بن مهيدي (Morris) يتقاضون 14 فرنكا يوميا. (Ibid)

المباشرة للإضرابات العمالية ترجع إلى عدم إنصاف الكولون لعمالهم وإلى عدم احترامهم لتعهداتهم والتزاماتهم.

ومع هذا تعالت أصوات الكولون في عام 1940 بالنشكي من عمالهم، يصفونهم بالكسلاء - تحوي على ألسنتهم عبارة «ترافاي أراب» - وكان عملهم غير منتج، كما نعتوهم بالخارجين عن طاعة فرنسا، وبالفوا في شتم الفلاح الجزائري وإهائته إلى حد ادعائهم بأن عقلية قد تغيرت بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بتأثير قوى أجنبية، لأنه صار في عام 1940 يتطلع إلى استرداد أراضي أبائه وأجداده من الكولون.

ونستشف ذلك من نص التقرير الذي كتبه «اسباني» (ESPAGNET) قائد فرقة الدرك الاستعماري بمعسكر عن الحالة النفسية للسكان الأهالي حيث يقول بأنه أثناء قيامه بدورة تفتيشية بالبرج يوم 29 سبتمبر 1941، قد التقى بمعمرين معروفين بعدائهما للأهالي، أعلنّا له صراحة بأن الجنرال «فايغاند» (WEYGAND) والليذان يكتان له كل الاحترام والتقدير قد ارتكب خطأ باعتقاده في القدرة على استعطاف الفلاحين الجزائريين، وتحويل وجهتهم لخدمة فرنسا، بأن تقديره لجهوداتهم في غير محله، وأنه يسلك سياسة سيئة مضرّة بمصالح الكولون، وعليه على العكس من ذلك التظاهر بالقوة أمامهم، والأبلاطهم حتى لا يستصغرونه، كما أبلغاه بوقوع حدثين أولهما: أن أحد الأهالي قال لأوروبي «الأتري أن الحكومة الفرنسية تخاف من الأهالي»



ببطلانها تعمل على تحقيق رغباتهم<sup>1</sup>، وثانيهما: «أن أحد الفلاحين  
الألماني طلب من المعمر «فوزان» (VOISIN) بوادي الأبطال (L'as  
le Duc) أن يمنحه نصيبا من التين، فرفض «فوزان» طلبه بدعوى أن  
الفاكهة قليلة وأنها موجهة لعائلته، فرد عليه الفلاح الجزائري بكبرياء أن  
التين الذي معني إياه، فإنك لن تفرح به مستقبلا، ولن تذوق طعمه  
بعد ستين وستترج منك غاما»<sup>(1)</sup>

معنى هذا أن الكولون لم يقبلوا بتدخل السلطات العسكرية  
الاستعمارية الفرنسية لتلعب دورها النفسي في تصفية الخلافات بين  
الفلاحين الجزائريين والكولون خدمة لفرنسا التي كانت تعيش حالة  
حرب، وذلك استقاء لغوهم.

وفسر الكولون عدم إقبال الجزائريين على العمل في حقولهم  
خلال عام 1940 و1941 بتأثير الدعاية الأجنبية التي رفعت من شأن  
الجزائريين، وحطت من قيمة فرنسا التي انهزمت أمام ألمانيا، حيث بدا  
الجزائريون يشعرون بالرفعة والكبرياء واكتفوا بالعمل يوما أو يومين في  
الأسبوع فقط، ليستريحوا في باقي أيام الأسبوع لاعتبارهم أن العمل في  
مزارع الكولون شاق ومتعب ومهين.

ولقاء الجولة التي قادت إلى دواوير تيرمين، عيون البرانس، قرشة،  
والكساية يوم 08 أكتوبر 1941، استقبله الكولون وهم يشتكون من

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A, Carton 9H/41. (rapport du Capitaine ESPAGNET, commandant  
de la section de gendarmerie de Mascara sur l'état d'esprit des indigènes en date du  
10/10/1941)

الحالة الذهنية التي أصابت عمالهم في هذه الدواوير مع أنهم يتقاضون  
أجرا يوميا يتراوح بين خمسين حتى ستين فرنك، فلم يزيحوا الأسموك  
والأعشاب الضارة من الحقول الزراعية، ولم يرفعوا كومات الحصيد  
(Meules) التي تآثرت بفعل العواصف التي اجتاحت الجزائر خلال شهر  
سبتمبر 1941؛ أما الحبوب التي تركت خارج المخازن والمستودعات فقد  
بدأت تتعرض تدريجيا للتعفن، ونتيجة تعطل عملية الحرث والبذر توقع  
الجميع سنة 1942-1943 سنة بدون مردود.

وفي حين تحلى العمال عن العمل في مزارع الكولون، فإنهم  
واصلوا عملهم في مزارع كبار الفلاحين الجزائريين بسبب رفع هؤلاء  
للأجور اليومية للعاملين في حقولهم؛ فقاطف العنب (Vendangeur) في  
مزارع الفلاحين الجزائريين كان يتقاضى 20 حتى 25 فركا يوميا مقابل  
أجر لا يتعدى 11 حتى 15 فرنك يوميا في مزارع المعمرين، علما بأن

سعر العمل اليومي لقطف العنب قد حددته الدولة بـ 12 حتى 14  
فرنك بمقتضى قرار 02 أبريل 1941؛ ومعنى هذا أن الفلاح الجزائري  
والكولون كلاهما لم يطبق القانون.

وعلى هذا الأساس تدخل الدرك الاستعماري والسلطات  
العسكرية لدى حكومة الاحتلال حتى تفرض وجودها وسلطانها  
وذلك عن طريق:

- تحديد السقف الأدنى والسقف الأعلى للأجر اليومي؛ ومن زاد  
على الأجر اليومي الأعلى أو نزل دون الأجر اليومي الأدنى يعاقب.



- تحويل التجارة بعد تحقيق المخزون الاحتياطي.

- عرض المخزون للمصادرة المؤقتة إذا لزم الأمر ذلك، لأن الدولة في حالة حرب.

- إلزام القياد وحراس الحقول (Gardes champêtres) المشهورين بعبارة "ما نعرف" و "كل شيء على أحسن ما يرام" بتحمل مسؤولياتهم إزاء الحالة النفسية للسكان<sup>(1)</sup>

- صور من نضال أئمة المساجد الحرة والكتاتيب القرآنية ضد الكولون

وامام الأزمة التي كانت تمر بها فرنسا، والولايات التي نزلت بحوشها تشجع أئمة المساجد ومعلمو القرآن في الكتاتيب ليلعبوا دورهم في تهية الجو النفسي في وسط الفلاحين وعمال الأرض ليمردوا ضد الكولون، فقد كانوا يمدثون المصلين والتلاميذ وينقلون إليهم أخبار المزايم التي تلقاها الفرنسيون على يد الألمان في جبهات القتال.

وقد اعتبرت سلطات الاحتلال الفرنسي الدعاية التي قام بها المدعو ودان إبراهيم في حي باب علي بمدينة معسكر خطرا فعليا على الوجود الفرنسي في الجزائر، كما وجهت التهمة لجميع كتاتيب هذا

الحي، ولاسيما اتباع الطريقة الشاذلية، ويأتي الشيخ بن نعم إمام المسجد الذي حبسه السيد قناوي مصطفى المستغامي بشارع سيدي علي الشريف ضمن قائمة المتهمين الأوائل لأنه كان يدعو للألمان بالنصر، وللجزائر بالتحريض عقب الصلوات الخمس، واعتبر اليهود أعداء الدماء، وكان يذكر المصلين يوميا باغتصاب فرنسا لأراضي الجزائريين، واستيلائها على ممتلكات الأجداد والأباء وتحويل خيرات البلاد لصالح الكولون<sup>(1)</sup>

كما ساهمت الأخبار الإذاعية التي كانت محل اهتمام ورعاية السكان هي الأخرى في تهية المجتمع الجزائري نفسيا لعقد العزم على الانتقام من فرنسا، واستعادة الأراضي الفلاحية وطرد الكولون منها.

وقد كان أحد الحزبيين بجامع محمد بن عثمان الكبير يدعى «دايج الجليلي» يعقد اجتماعات في دار موفق عبد القادر (موزع الجرائد) رفقة السيد مفتي ميلود ولد الطاهر (معلم قرآن بكتاب في الشارع الكبير بحي باب علي معسكر رقم: 72) الذي كان هو الآخر يعقد اجتماعات للأهالي يقوم فيها بالدعاية ضد فرنسا.

ومن معلمي القرآن الذين كانوا يحرضون الشعب على الثورة ضد فرنسا وضرب المعمرين في مدينة معسكر نذكر السادة:

- مفتي ميلود.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/41. (rapport du Capitaine ESPAGNET, commandant de la section de gendarmerie de Mascara sur l'état d'esprit des indigènes en date du 10/10/1941)

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H/30 (Extrait des rapports établis par les officiers des affaires Musulmanes, Alger le: 30/06/1941)

للجزائر في 22 مارس 1941، والتي رُحِبَ فيها بقُدوم هذا الأخير إلى معسكر، وضمنها عبارة «تحيا فرنسا والجزائر»<sup>(1)</sup> قد لُطِفت من الضربة التي كانت موجهة إلى معلمي الكتائب القرآنية السبعة الذين اعتبرتهم فرنسا عناصر خطيرة ليس لشبههم الدعاية لصالح الألمان وإنما لإثارتهم لمطلب استراتيجي ألا وهو الملكيات الأرضية.

يبدو بشكل واضح أن انتصارات الألمان على الفرنسيين خلال السنوات الأولى للحرب (1939-1941) كان لها بالغ الأثر في نفوس الجزائريين الذين عبروا عن تأييدهم للألمان بالإمتناع عن العمل في مزارع الكولون، والتوقف عن قطع الأخشاب وإنتاج

الفحم بحجة أن ملابسهم لا تقاوم داخل الغابة، مما استدعى إدارة الاحتلال في منطقة تلمسان إلى استقدام 250 عامل من بلاد القبائل<sup>(2)</sup> وفي عين الحجر طالب العمال الزراعيون برفع أجرهم اليومي الذي كان لا يتعدى 22 حتى 23 فرنك<sup>(3)</sup>

وفي هذه الظروف أظهر الكولون الأوروبيون استيائهم الشديد من نفقة الأخشاب والفحم، وتفاذ مخزونهما الاحتياطي؛ كما أن توقف العمال الزراعيين عن العمل في مزارع الكولون بسبب تعطل أجورهم

- بن مولاي مصطفى  
- جيلالي أحمد ولد بن عبد الله  
- رحاني بوجلال  
- ملياني محمد  
- بومعزة  
- بن يحيى (القجع)<sup>(1)</sup>

وكان تأييد هؤلاء مُتَلزِمًا وللألمان ينطلق من مبدأ أن هتلر يكره اليهود أعداء الإسلام، وأنه قهر فرنسا التي أخرجتهم من أراضيهم وروعتها على الكولون.

وعكذا نجد بأن المواطنين الجزائريين الواعين كانوا جميعا يعزفون على أوتار المسألة الزراعية والأراضي الفلاحية المغتصبة، وهنا يظهر التطابق في الأهداف كما سنرى لاحقا في برامج الأحزاب الوطنية، والحركات النفاية والوطنيين والعلماء الأحرار؛ وقد صُنفت فرنسا الدعاية المقرونة بعامل اغتصاب الأراضي أمرا في منتهى الخطورة، لأن ذلك يحرك مشاعر الفلاحين ويشير عداوتهم للاحتلال.

ولعل الرسالة التي بعثها الشيخ بن نعوم محمد إمام مسجد شارع سيدي علي الشريف رقم 39، والمشار إليه أعلاه، إلى الحاكم العام

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H / 30 (Etat d'esprit de la région de Tlemcen. Oran le 08/12/1941).

<sup>(2)</sup> Ibid. (Extrait du rapport mensuel sur le moral de la population 15/10 à 15/11/1943)

<sup>(3)</sup> Ibid

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H / 30 (Extrait des rapports établis par les officiers des affaires Musulmanes, Alger le: 30/06/1941)



وقع ببعض الكولون في «دومبال» (هاشم) إلى التخلي عن النشاط  
الزراعي<sup>(1)</sup>

3 نماذج عن تطور الصراع بين عمال الأرض والكولون خلال  
عامي 1944-1945

عرفت الطلائع النقابية كيف تستغل ظروف الحرب العالمية الثانية  
لتجدي في نشاطها العدائي للكولون وتخرض العمال ضدهم وتعيد الثقة  
إلهم، فبايعاز من السيد «شي» (CHAIX) أمين الاتحاد المحلي لنقابات  
مجانة وأمين الحزب الشيوعي أنشئ فرع نقابي لفلاحي «مزعاية»  
(Mezzaias) ترأسه بوشارة لحسن الذي دخل في حرب مفتوحة مع  
حراس الحقول، ورجال الدرك الاستعماري، ومصالح الجسور  
والطرق، وكل من له صلة بسلطات الاحتلال الفرنسي، وأبلغ  
المواطنين الجزائريين بأن حوادث خطيرة ستحدث مستقبلا وأن الثورة  
سوف تنفجر إن عاجلا أو آجلا.

وللعلم فإن هذا النقابي ينتمي أصلا إلى جمعية الخلدونية للتعليم  
في مجاية، وهو من أنصار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد أوحى  
نصرته إلى إدارة الاحتلال أن تهتم الفروع النقابية للفلاحين الجزائريين  
ليس بالعلماء فقط للكولون، وإنما للمنظومة الاستعمارية

برمتها، بما فيه المتعاملون مع الإدارة الاستعمارية، كما تشير إليه  
التقارير الرسمية<sup>(1)</sup>

وخوفا من انتشار الوعي النقابي في الوسط الفلاحي أسرعت  
فرنسا إلى إلقاء القبض على بوشارة لحسن رئيس الفرع النقابي الفلاحي  
لـ«مزعاية» (Mezzaias) بعد أن وجهت له تهمة منها: القذف (outrage)  
والوسائل الفعلية (Voies de faits)، وحمل أسلحة محضوة (Prohibées)  
، والثورة ضد كل ما له صلة بالسيادة الفرنسية، وتحريض سكان وادي  
الصغير ضد أعمال ترميم الطرقات لصالح الكولون ولخدمتهم، ونشر  
مقالات عنيفة في الصحف، وتوجيه نشاطه النقابي ضد المعمرين ملاكي  
الأراضي الفلاحية<sup>(2)</sup>

إلا أن هذه الإجراءات لم تزد الفلاحين الجزائريين الصغار وعمال  
الأرض سوى عزما وتحمسا للتظاهر والمطالبة بحقوقهم.

ففي مدينة معسكر وزعت منشائر تدعو صغار الفلاحين  
الجزائريين إلى المشاركة في المهرجان النقابي الذي سيقام يوم 30 سبتمبر  
1944، وذلك في أعقاب الجولة التي قام بها السيد مشرم الأمين العام  
لنقابة اللاهين بدائرة معسكر والتي بث الدعاية أثناءها ضد الكولون،  
ووضع المعالم الأولى لإنشاء لجان فلاحية<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> C.A.O.M.G.G.A. Carton 9 H/30 (le S/ préfet de l'arrondissement, à M<sup>r</sup> le préfet  
de Constantine. Bougie le: 12/10/1944)

<sup>(2)</sup> C.A.O.M.G.G.A. Carton 9H/30 (Situation Politique)

<sup>(3)</sup> Ibid



أما في مدينة سيدي بلعباس فقد اجتمع مؤتمر العمال الفلاحيين  
المنسب إلى الفدرالية العامة للعمال (C.G.T.) يوم 30 سبتمبر 1944  
بحضور سبعة وعشرين مندوبا يمثلون 3000 فلاح منخرطين في النقابات  
الفلاحية، اقترح فيه المتدخلون من أمثال «عمار سيلفاني» (AMAR)  
(Sylvani) و«كوت» (Cote) و«انسيماس» (Encimas) الحلول التالية:  
وضع الثقة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية (G.P.R.F.).

إدانة سياسة التفرقة العنصرية.

الترحيب بقرارات 04 جويلية 1944.

رفع عدد المراقبين الفلاحيين.

المطالبة بالنفع العائلي، والعلاوات، وبدلات العمل.

المطالبة بالحُد الأدنى الضروري للحياة<sup>(1)</sup>

ويظهر في هذه المرة أن النقابات الفلاحية قد تجاوزت الأهداف  
التي نشأت من أجلها، حيث مزجت مطالبها المهنية والاجتماعية بتعليق  
الآمال على رجال السياسة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية.

وقد شهدت سنة 1944 تكاثرا وتنوعا للفروع النقابية داخل المدينة  
أو القرية الواحدة (نقابة عمال المقاهي، عمال الموانئ، المعلمون،  
السكك الحديدية، المناجم، بائعو السجائر، الخبازون، بائعي الخضار،

صغار التجار، الفنانين ...) ومن الأمثلة على ذلك نقابة المطربين  
والمغنيين المسلمين في معسكر التي تأسست ليلة 07 سبتمبر 1944 وتتكون  
من خالد عبد القادر أمينا عاما، والحاج الصادق محمد نائبا للأمين  
العام، وقاضي حنفي محمد أمينا للخزينة، ورايس بحري عبد القادر نائبا  
للأمين الخزينة، وناصر بن عبو مكلفا بالمحفوظات<sup>(1)</sup>

ويعزى هذا التكاثر والتنوع إلى السماح للعمال بالانضمام إلى  
فروع نقابية لا صلة لها بنشاطهم المهني أو الحرفي وذلك في محاولة ترمي  
إلى إيجاد تناسق وتكامل بين الفروع النقابية.

ومن الأمثلة على ذلك تنظيم نقابة عمال الأرض في وهران يوم  
10 سبتمبر 1944 لاجتماع برئاسة السيد الحاج عمر، حضره عمال  
التفريغ والتعبئة لميناء وهران (Dockers)، احتج فيه الحاضرون ضد  
السوق السوداء، ودعوا إلى التضامن الفعلي مع عمال الأرض  
والانخراط في فروعهم النقابية<sup>(2)</sup>

ولنفس الغرض تضمنت نقابة العمال الزراعيين لعمالة الجزائر  
مؤتمرا بقاعة عمال السكك الحديدية (Salle des cheminots) يوم 17  
سبتمبر 1944<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> Ibid. (L'inspecteur carlot. P.R.G. Mascara. A M<sup>re</sup> le commissaire P.R.G. Oran.  
Mascara le 13/09/1944).

<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H/41 (activités Syndicales. Oran le: 18/09/1944)

<sup>(3)</sup> Ibid. (activités syndicales. Alger: le 15/09/1944). Ibid. (Situation Politique, Etat  
d'esprit des populations. Semaines du 02 au 16/12/1944)



ويستف من خلال تحليل تقارير الشرطة الاستعمارية الفرنسية بأن القراطين المعلمين، وعمال من فروع بقاية أخرى في نقابات الفلاحين الجزائريين وعمال الأرض يعود إلى انتشار الأمية والجهل في الوسط الفلاحي، وتدهور مستوى الوعي لدى عمال الأرض بفعل سياسة التحليل التي دأب الاستعمار الفرنسي على تطبيقها في الجزائر منذ احتلالها.

وعلى هذا الأساس سمحت الكونفدرالية العامة للعمال للمعلمين والحرفيين بالانخراط في نقابات عمال الأرض لبعث الوعي فيهم حتى يأخذوا بزمام أمورهم بأنفسهم.

ولقد طاعتنا بعض التقارير الاستعمارية بأنه نتيجة التفاعل بين الفروع النقابية أصبح بعض الفلاحين الصغار وعمال الأرض يتمتعون بالوعي واليقظة، ومن هؤلاء العمال الزراعيون الذين كانوا يشتغلون في حقول الحمضيات وفي معصرة الزيت التابعة للمعمر (قبو) (VILLON) حيث رفض العمال قبض الأجر بحجة أنه أدنى بكثير من الأجر الذي يتلقاه زملاؤهم في مصنع آخر عند نفس المعمر.

ودفعت نفس التقارير بأن عمال الأرض في منطقة «غواية» (Gouaya) هم أقل تطوراً لأنهم يجنون حقوقهم وهم ساكنون ما لم يتعرضوا للتعويض أو لإثارة الشعب من قبل عمال آخرين<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> CAOM, G.G.A. Carton 9H/41 (renseignement A/S. Salama agricolo 1 Gouaya, Alger le: 28/10/1940)

ونسوق بين يدي القارئ نموذجاً يقرأ فيه العلاقة بين المناضلين في أحزاب الحركة الوطنية أو النقابات المهنية من جهة وبين الفروع النقابية للفلاحين وعمال الأرض من جهة أخرى.

فمع أنه يمارس التجارة ولا صلة له بالفلاحة ولا بخدمة الأرض، فإن السيد جاكرو علي المناضل القديم في نجم شمال أفريقيا، ثم في حزب الشعب الجزائري، والذي تحول إلى الحزب الشيوعي في سنة 1945، وصار رئيساً للخلية المحلية لهذا الحزب في مدينة معسكر، قد أنشأ نقابة لصغار الفلاحين وعمال الأرض تتكون من العناصر التالية:

- خليل حسين: أمين عام (تاجر وصاحب ممتلكات عقارية سكنية).

- زروقي بوجلال: نائب الأمين العام (تاجر بشارع وهران، وصاحب ملكيات عقارية أرضية وأحد مؤسسي القسمة المحلية لأحباب البيان).

- بوزيان عبد القادر: أمين الخزينة (تاجر في الثين وصاحب ملكيات عقارية أرضية، وليس له نشاط سياسي).

- بوزيان قديم: نائب أمين الخزينة (فلاح وليس له انتماء سياسي).

- صوفي الحبيب: مكلف بالتوثيق (إسكافي بطريق تيارت وصاحب ملكية عقارية أرضية، متورط في قضية جاسوسية معاكسة (contre-espionnage) إثر مرور أحد الألمانين بمعسكر يدعى (FRITZ).

- جوس محمد: عضو مساعد (فلاح: يسكن بجي باب علي) (1)

يلاحظ بأن معظم العناصر المشكلة لهذا الفرع النقابي يسكنون بالبلدية، ولا يمارسون حرفة الفلاحة، كما أن خليل حسين الأمين العام للفرع النقابي هو تاجر في الزراعي والملابس التقليدية الجزائرية، ولا يعرف إلا القليل عن الفلاحة، ومع أن بقية أعضاء الفرع يمتلكون قطعاً أرضية فلاحية في القرى المجاورة لمعسكر، فلا أحد منهم كان يمارس حرفة الفلاحة بشكل فعلي.

ومع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية ازدادت مساعي ومبادرات المناضلين في الأحزاب السياسية لإنشاء الفروع النقابية لصغار الفلاحين الجزائريين وعمال الأرض، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي الجزائري الذي عقد اجتماعاً له في إحدى قاعات مقر بلدية قسنطينة وذلك يوم الجمعة 16 مارس 1945، حضره خمسون فلاحاً جزائرياً تحت رئاسة السيد (ستورج بول) (STORGES Paul) (2)

وبعد يومين (18/03/1945) اجتمع حوالي عشرون فلاحاً بمقر بورصة العمال في سكيكدة ليخرجوا باتفاق ينص على عدم التنازل عن ممتلكاتهم الأرضية أو بيعها للكولون (3)

وهذا ما يتفق تماماً مع مقال لعبد الحفيظ بن الهاشمي في سنة 1926 يحدّر فيه الملاك الأهالي من مقبة الاستمرار في بيع أراضيهم للأوروبيين، ويهيب بالذين يملكون شبر أرض أن يتشبثوا به في حرص، ويضعوا أيديهم على تربته المقدسة (1)

وفي تبسة مدّت نقابة صغار الفلاحين الجزائريين نشاطها إلى ثلاث جهات أخرى (بلدية تبسة المختلطة، بلدية تبسة كاملة الصلاحيات، بلدية مورسوت المختلطة «Morsot») وشكلت مجلساً ومكتباً يتكون من العناصر الآتية:

خشيش مختار: أمين عام.

بوقسة زين: نائب الأمين العام.

عيسوي تيجاني: أمين الخزانة المالية.

قسري مسعود: نايب أمين الخزانة المالية.

مراح طيب: مكلف بحفظ الوثائق.

15 عضواً: كلهم جزائريون (2)

(1) محمد نصر، المقالة الصحفية الجزائرية، (1903-1931) المجلد الثاني، الجزائر: مؤنوت، 1978، ص 84. نقلاً عن عبد الحفيظ بن الهاشمي «أراضيكم، أراضيكم» النجاح العدد: 292 (1926/05/14)

(1) Ibid. (Objet: Syndical des petits Fellahs Mascara le 19/06/1943)  
(2) C.A.O.M, G.G.A. Carton 9H/41 (rapport: constitution à Constantine d'une Union syndicale de petits Fellahs indigènes).  
(3) Ibid. (réunion des Petits Fellahs de la région de Philippeville)

(1) C.A.O.M, G.G.A. Carton 9H/41. (création d'un syndical de petits Fellahs à Tebessa le 20/02/1945)



عقود، وتلمسان، والمتيجة، والأوراس، والأطلس البليدي،  
والشلف<sup>(1)</sup>

وقد غذت الصراع بين الجزائريين والكولون خلال هذه الفترة  
(1949-1954) مجموعة من العوامل تمثلت في:

قلة الأراضي الصالحة للزراعة<sup>(2)</sup> ورداءة التربة، وانخفاض المردود  
المكتسبي.

قلة الوسائل وانعدام القدرة على تحسينها (تجهيزات غير متطورة  
وطرق تقليدية).

نظام الاستغلال المؤسس على الخماسة.

النظام العقاري المرتكز على توزيع الملكيات وتفكيكها.

وفي خضم الظروف التي شهدتها الجزائر بعد حوادث 20 أوت  
1955، فإن العروض السخية للكولون لم تجد لها صدى لدى العمال  
الزراعيين ولا آذانا صاغية، حيث ذهب الكولون (أثناء موسم قطف

(1) متوسط مساحة الملكية الفردية في قطاع الجزائريين سنة 1952 كان يتراوح بين 10  
أو 14 هكتارا بينما متوسطها في قطاع الكولون كان يقع في حدود 124 هكتارا. هذا في الوقت  
الذي فيه عدد المالكين الزراعيين الأوروبيين 25.000 مالك، مقابل 532.000 مالك جزائري.  
(انظر تفاصيل أكثر في: محمد بلقاسم حسن بهلولى، القطاع التقليدي في الزراعة بالجزائر،  
الجزائر: م. ج. د. 1985)

(2) Mohamed TEGUIA, Op.cit, p299

إلا أنه على الرغم من الجهود المضنية للمناضلين النقابيين والمهاجرة  
إلى تهبة العمال الأهالي في البوادي والأرياف للدفع بهم إلى نهج  
الصراع النقابي لاسترداد حقوقهم، فإن نشاطهم النقابي بقي ظاهريا  
ومؤقتا وسطوحيًا، وهذا ما تفسره أرقام المنخرطين في النقابات داخل  
الوسط الريفي، وعدم استقرارها.

د. امتزاج التضال النقابي للفلاحين الجزائريين بالتضال  
السياسي (1945-1962)

وموازاة مع تجديد وتطور نشاط الحركة الوطنية الجزائرية،  
بعد حوادث 08 ماي 1945، وفضلا عن محاولات المنظمة السرية الخاصة  
(1945-46) العمل على امتناب جماعات من الفلاحين في الدواوير<sup>(1)</sup>، فإن  
الأوضاع السائدة في البلاد حولت الصراع بين الأحزاب الوطنية  
الجزائرية وفرنسا إلى صراع شامل بين الشعب الجزائري المثالف في  
معقله من مكان الأرياف والمداشر (75 حتى 78٪) ونظام الاحتلال  
الفرنسي، حيث ازدادت كراهية الجزائريين للكولون.

ففي حين خاض عمال التفريغ تضالا مريرا فيما بين جوان 1949  
وجويلية 1954 بامتناعهم عن تعبئة البواخر الحاملة لمعدات حرية  
موجهة إلى فيتنام، فإنه تزامنا مع ذلك امتنع الفلاحون الجزائريون عن  
الحقنة في المزارع التي اغتصبها الكولون من الفلاحين في نواحي

Mohamed TEGUIA, Op.cit, p 108 - cité par Mabrouk KADDOU Le 08 Mai  
1945, Paris, Edit du centenaire, 1975, pp 27-33.

العبء إلى اقتراح مبلغ 1.500 حتى 2.000 فرنك كأجر يومي<sup>(1)</sup> لأن  
الفلاح الجزائري أدرك في هذه المرة أكثر من أي وقت مضى بأن شرقة  
قديس، وفهم بأن عبث الاستعمار لم يتحملة سكان الأرياف لوحدهم  
وإنما الشعب الجزائري بأكمله.

ومن الأمور التي زادت الصراع احتداما بين الفلاحين الجزائريين  
الصغار وسلطات الاحتلال الفرنسي، إقدام هذه الأخيرة في سنة 1955  
على تحويل بعض الأراضي الفلاحية الممنوحة للجزائريين في إطار  
التعاونيات إلى مناطق محرمة.

وحتى التعاونيات الفلاحية لمخطط قسنطينة (S.C.A.P.C.O) كانت  
تدار من قبل ضابط مكتب شؤون الأهالي (S.A.S) الذي كان يتولى دفع  
مبالغ البذور والأسمدة إلى التعاونيات الأهلية للاحتياط (S.I.P)  
عن الفلاحين الجزائريين الصغار، ليرغمهم فيما بعد على تسديدها دفعة  
واحدة عند جني المحصول الفلاحي، وهو الأمر الذي يكلفهم ما لا  
يظفرون، ويقيهم خاضعين لرحمة المعمرين.

وعلى هذا الأساس رفض بعض الفلاحين الجزائريين الصغار  
القروض المالية الممنوحة لهم من قبل التعاونيات الأهلية للاحتياط  
(S.I.P) من أجل شراء البذور والأسمدة، وفضلوا طريق الجبل

(1) فستقل العجوة هي سلع ذات أهمية خفية من كل لئز للحياة، هجر المستعمر الفرنسي  
مكافأ، يدعو لهم بكون التوار، ويطلق فيها الرصاص على كل شخص يشاهد بها،  
وغير كل هدف مشترك

والالتحاق بالثورة، خاصة بعد إنشاء الاتحاد العام للعمال الجزائريين  
(U.G.T.A) في 24 فبراير 1956، وانضمامه تحت جبهة التحرير الوطني  
واللتحاق نقابات الفلاحين الجزائريين الصغار وعمال الأرض  
صغرى<sup>(1)</sup> وهو الأمر الذي اعتبره الكولون خطرا مباشرا يهدد  
مصالحهم.

وقد استجاب عمال الأرض لنداء الاتحاد العام للعمال الجزائريين  
(U.G.T.A) بالإضراب عن العمل في مزارع الكولون أيام 05 جويلية  
1956، وأول نوفمبر 1956، و28 يناير 1957، وهو الأمر الذي يدل على  
أن العمود الفقري للاتحاد العام للعمال الجزائريين لم يكن يتشكل فقط  
من الارستقراطية العمالية (الموظفون وعمال السكك الحديدية) وإنما  
كذلك من الشرائح الاجتماعية الأكثر استغلالا وحرمانا كعمال التصنيع  
والتعبئة، وعمال المناجم والعمال الزراعيين الذين ظلوا طيلة الحقبة  
الاستعمارية مضطهدين وتحت رحمة الكولون، يعاملون بطريقة خجولة  
ومغزية؛ وقد وجد الفلاحون الجزائريون الصغار وعمال الأرض  
مكائهم في هذا التنظيم، وتحولوا بعد مؤتمر الصومام (1956/08/20)  
إلى سند قوي للثورة بعدما توجه المؤتمر بدعوة صريحة للعمل على «نشر  
أسباب الخطر في البوادي بأعمال الإتلاف وإحراق المزارع وتحطيم

<sup>(1)</sup> مباشرة بعد مقاطعة للكونفدرالية العامة للعمال (C.G.T) في 1947، شرع عيسات لينير في  
التمسك لإنشاء لجنة عمالية تعمل تحت إطار حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية.  
وفي 1953 أثار المؤتمر الثاني لحركة الانتصار مسألة إنشاء نقابة عمالية وطنية القروض منها  
نوعية القروض النقابية التي كانت تخضع لرقابة الشيوعيين، وفي 1956/02/24 أنشأ الاتحاد  
العام للعمال الجزائريين المستقل



علاات الجمعيات التعاونية للتبغ وللخمر التي هي رمز وجود الاستعمار<sup>(1)</sup>

وهكذا أعاد مؤتمر الصومام الاعتبار لعمال الأرض، ولم يفرق بينهم وبين باقي العمال. وكيف لا وأن الإضراب عن العمل ليوم واحد في مزارع الكولون قد يؤدي إلى خسارة اقتصادية كبرى، ويعطي ضربة قاتلة للنبات الاقتصادية الزراعية للكولون؟

ونحت تأثير الإضرابات اضطر بعض الكولون إلى تحسين أجور العمال ومساكنة الثورة ماديا، ومن بين هؤلاء «إميل بروسست» (Emile PROST) صاحب مزرعة بوادي الثافنة (دائرة بني صاف)؛ والرسالة التي بعث بها المجاهدون إليه، وشكروه فيها على دعمه ومساندته لهم، والتي يطالبونه فيها بدفع مبالغ مالية إضافية محددة بـ 500.000 فرنك تكشف لنا عن هذه الحقيقة<sup>(2)</sup>

وعلى حد قول محمد حربي فإن جبهة التحرير الوطني قد نصبت في الولايات الداخلية لجنا تسميتها «لجان المدن» حضرت من خلافا صال الأرض لتقرير مصيرهم بأنفسهم بطريقة لا إرادية بهدف قطع الطريق أمام أرباب الأموال الراغبين في ابتلاع كل الأراضي الزراعية

(1) جبهة التحرير الوطني، قسم الإعلام والثقافة، التصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1962-1954 (د. ت)، ص 33.

راجع عن الرسالة في: Charles Henri FAVROD. Op. cit. p 151

المغصبة التي كانت تباع مقابل لقمة خبز، وهذا على الرغم من إصدار جبهة التحرير الوطني لقرار بمنع بيع الأراضي بشكل قطعي<sup>(1)</sup>

وفي 19 أوت 1962 لى الفلاحون نداء جبهة التحرير الوطني، فخرجوا في مظاهرات حملوا أثناءها لافتات كتب عليها «الأرض للفلاحين» (La Terre aux paysans) وصاحوا منادين بتسليم الضيعات للفلاحين<sup>(2)</sup>

وأثناء التحضيرات الجارية في الحمامات بتونس لعقد مؤتمر طرابلس، أجمع الحاضرون على اعتبار اتفاقيات إيفيان «أرضية لاستعمار جديد وكبح للثورة» وخرجوا بقرار يفرض على الولايات، وعلى الهيئة التنفيذية المؤقتة دعم كل نشاط يهدف إلى استعادة الأراضي الفلاحية<sup>(3)</sup>

أما أحمد بن بلة فقد أعطى الأولوية المطلقة لاستعادة الأراضي الزراعية من الكولون، وأجل عمليات تأميم البترول والغاز الطبيعي حتى لا يؤثر على العلاقات مع الشركاء الفرنسيين بشكل غير مناسب<sup>(4)</sup>

كما أوصى البرنامج الزراعي لمؤتمر طرابلس (جوان 1962) بتحديد الملكيات الكبرى، وإعادة توزيع الأراضي مجاناً، وإلغاء ديون

(1) Mohamed TEGULA. Op. cit. p 585.

(2) Mohamed TEGULA. Op. cit. p 592.

(3) Mohamed HARBEL in F.L.N. mirage et réalité, Alger: E.N.A.L. 1993, p 325

(4) Ibid. p 336.

الفلاحين، وإنشاء تعاونيات إنتاجية ريفية مشكلة من فلاحين متطوعين، وإنشاء مزارع تابعة للدولة يديرها العمال، ومنع المتاجرة بالأراضي الفلاحية ووسائل الإنتاج الزراعي، وخلق صناعة مرتبطة بالزراعة، كاستغلال المواد الأولية ذات الطابع الزراعي، وإنشاء صناعات لها قواعد ضرورية لزراعة عصرية<sup>1</sup> كما دعت الولاية الثانية خلال المرحلة الانتقالية (ماي 1962) إلى إصلاح زراعي فوري لإدماج الفلاحين في الاقتصاد الوطني.

#### خاتمة

تلك هي نبذة موجزة عن إحدى أهم حلقات نضال الجزائريين من أجل الأرض، وهو النضال الذي انعكست صورته في إضرابات العمال عن العمل في مزارع الكولون، وفي المظاهرات الاحتجاجية، وفي إنشاء الفروع النقابية، والتي يستشف من خلالها مرة أخرى ذلك الصراع المرير بين الفلاحين الجزائريين الصغار وعمال الأرض من جهة والكولون وإدارة الاحتلال من جهة أخرى، لاسيما خلال المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى والتي أضحت فيها معالم النضال أكثر وضوحا بسبب انتشار الوعي في الوسط العمالي الفلاحي.

ومن النتائج المستخلصة من هذا العرض هو أن الطلائع النقابية والثوريين من أبناء الشعب الجزائري (حملة القرآن الكريم، وأئمة المساجد الحرة، والمعلمون في المدارس الرسمية والحرة ...) والظروف التي أفرزتها الحرب العالمية الأولى والثانية قد ساهمت في توعية المجتمع الجزائري وفتحت أعين الفلاحين الجزائريين الصغار وعمال الأرض على واقعهم المرير وأيقضت أحاسيس الوطنية بين جوارحهم، فتمردوا على الكولون ونظموا الإضرابات العمالية الثورية في كل مكان ليصبحوا فيما بعد أقوى سند ودعم لثورة أول نوفمبر 1954.

<sup>1</sup> Ibid, p 328.



## الفصل الرابع: اهتمامات الأحزاب والصحف الوطنية الجزائرية بموضوع ملكية الأرض

تمهيد

- موقف الأمير خالد من المسألة الزراعية في الجزائر

- كفاح نجم شمال إفريقيا ضد عملية امتلاك الكولون للأراضي

الفلاحية الجزائرية

- نضال فرحات عباس ضد ملكية الكولون للأراضي الفلاحية.

- موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الفلاحين وقضايا

الأرض.

- موقف الحزب الشيوعي الجزائري.

- المسألة الزراعية في الصحافة الوطنية (الأهلية).

خاتمة

إن كانت الفروع النقابية للفلاحين الصغار وعمال الأرض قد وجدت كهيئة تعمل على تعبئة الفلاحين وتوعيتهم وتجنيدهم كقوى متجة وفاعلة في المجتمع، وتدافع عن مصالحهم المادية والمعنوية، فإن الأحزاب الوطنية الجزائرية اتخذت المبادرة هي الأخرى في التكفل بالدفاع عنهم، ويتجلى ذلك في مواقف زعماء الأحزاب وفي برامجها التي احتوت مطلب استعادة الأراضي الفلاحية من الكولون وإعادة توزيعها على أصحابها الشرعيين؛ وإلى جانبها أولت الصحافة الوطنية اهتماما بموضوع ملكية الأرض، وخاضت صراعا مع الكولون في سبيل الكشف عن دسائسهم، ونشرها لمقالات تندد بجمع المعمرين واستمرارهم في الاستيلاء على أملاك الجزائريين والاستحواذ عليها ظلما.



موقف الأمير خالد من المسألة الزراعية في الجزائر:

أمام الوضع الأليم الذي كان يعيشه الفلاحون الجزائريون، لم يسع الأمير خالد إلا أن يسعى جاهدا لإيجاد مخرج للمآسي المجتمعة الرافعة في الجزائر، وهذا ما كشفت عنه خطبه ومحاضراته ومراسلاته.

جاء مطلب ضرورة استعادة الأهالي الجزائريين للأراضي الفلاحية كضرورة ملحة دعت إليها جمعية الأخوة الجزائرية التي أنشأها الأمير خالد في عام 1919 (1)، وهو مطلب أمك الظروف السائدة. وبفضض الأمير خالد واستكراه القوى للأسياليب البوليسية التي تسبعتها الإدارة الاستعمارية، وتصرفات القباة الإقطاعية وعمليات اغتصاب الأراضي يكون قد فتح الطريق أمام حركات جزائرية أخرى، إلا أن نداءاته لم تمس جماهير الفلاحين الواسعة التي بقي قادة الانتفاضات المسلحة القدماء قريبين منها (2).

في مقال له، نشر في صحيفة الإقدام كتب يقول: لا جدوى من كلام الوطنيين الجزائريين عن أساليب التنمية ما دام هناك استمرار في إحداث مراكز جديدة للاستعمار، وما دام تطبيق قانون «صورانس» وهو قانون يحدّد ملكية المسلمين ويمنح المعمرين حق الاستيلاء عليها متى شاءوا (3).

(1) - الأمن شرط للتنمية العربية في تجربة الحركة الوطنية 1919-1962. الجزائر: نوازل المطبوعات الجامعية، 1998، ص 07-08.

(2) - حياة التحرير الوطني، اللجنة المركزية للتوجيه، ميثاق الجزائر 1964، ص 15.

(3) - محمد لطيف العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، الجزائر: المنحرف الوطني للسياحة، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1994، ص 84. (عن جريدة (4))

يبقى هذا المقال إشارة واضحة على معارضة الأمير خالد الشديدة لسياسة الاستيطان الفرنسي في الجزائر، واستمرار الكولون في الاستيلاء على الأراضي الفلاحية الجزائرية.

ويذكر الأستاذ محفوظ قداش بأن اسم خالد قد ورد ضمن قائمة الشيوعيين المجتمعين في إطار ما كان يسمى «بكتلة العمال الزراعيين» (1) ويقول في مكان آخر بأن خالد قد قدم كرسول لترشيد العمال الزراعيين وعتقهم من ريق الاستعمار (2).

ولعل مواقفه من الكولون المغتصبين للأراضي الفلاحية الجزائرية كانت أهم الأسباب التي جلبت له أكبر الشرور من قبل الاستعمار الفرنسي وانتهت به إلى النفي من الجزائر إلى مصر لإسكات صوته.

وكان فرحات عباس واحدا من الذين أشادوا بموقف الأمير خالد من سلطات الاحتلال الفرنسي ولاسيما موقفه من الطبقة السياسية الفلاحية «la caste politico-agraire» التي سدت الطريق في وجه تطور الفلاح الجزائري مستشهدا بمطالبه الاحتجاجية، وبرّد فعله

(1) - محفوظ قداش، الأمير خالد، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1987، ص 46.

(2) - نفسه، ص 46.

من قانون 04 فبراير 1919، وهو الأمر الذي أثار ضده حفيظة الكولون.  
وفدرالية رؤساء البلديات، والبرلمان<sup>(1)</sup>

وقد أشاد الأستاذ جوليان هو الآخر بأعمال الأمير خالد حيث  
قال: إن الأمير خالد كان يسير في الاتجاه الاستقلالي، ونعتة بـ «رائد  
الحركة الوطنية الجزائرية في عام 1926»<sup>(2)</sup>

أما الرسالة التي بعث بها الأمير خالد إلى ولسن رئيس الولايات  
المتحدة الأمريكية، فقد كشف فيها عن عمليات اغتصاب الأراضي  
وطرد الفلاحين الجزائريين منها بحجة المنفعة العامة - كبناء المراكز  
الاستيطانية - وتعرض فيها لأحكام الأحباس التي صادرتها فرنسا  
ووزعتها على الكولون الأوروبيين، مشيراً إلى أن مصادرتها تسببت في  
حرمان المؤسسات الدينية والفقراء من الاستفادة من مداخيلها. وشبه  
الأمير خالد المستعمر الفرنسي بالمستعمر الروماني في سلوكه لنفس  
الخطأ في استيلائه على أجود الأراضي وأخصبها وتوزيعها على  
الكولون<sup>(3)</sup>

يتبين من أقوال الأمير خالد أنه كان يرفض الاستعمار ورفضاً  
كلياً.

وفي سنة 1922 تقدم إلى سلطات الاحتلال الفرنسي بعريضة  
احتجاجية تتضمن عشرة مطالب يهتم منها في هذا الموضوع المطلب  
التاسع الذي يدعو فيه فرنسا إلى تطبيق القوانين الاجتماعية والعمالية  
على الأهالي مما يدل أن هذا الرجل كان من أشد الناس عناية بأحوال  
الجزائريين الاجتماعية<sup>(4)</sup>

ومن بين المطالب التي نشرتها جريدة الإقدام في عددها الصادر في  
04 أوت 1922 تقتطف البند الرابع الذي يطالب بإشراك الأهالي  
الجزائريين، وبصفة عادية وفعالة في الأراضي المعدة للاستثمار<sup>(5)</sup> حيث  
نلمس في هذا المطلب بأن فرنسا كانت تطبق سياسة عنصرية إزاء  
الأهالي الجزائريين، فلم تعدل بينهم وبين الأوروبيين في مجال الاستفادة  
من الأراضي الفلاحية.

والملاحظ عن الأمير خالد أنه لم يتخلى في جوانب نشاطه في  
الدفاع عن الفلاحين الجزائريين. إن الرسالة التي بعث بها إلى الرئيس

<sup>(1)</sup> Charles - Henri FAVROD. Op. cit, p 145.

<sup>(2)</sup> عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون. الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات  
مخلص، الجزء 01، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 79

<sup>(3)</sup> Ferhat ABBAS. La nuit coloniale, Paris: Julliard 1962, p p 116-117

<sup>(4)</sup> Charles - André JULIEN. L'Afrique du Nord en marche, nationalisme  
musulman et souveraineté française, Paris: Julliard 1972, p 100

معركة فاس، لمرجع السابق، ص 152



الفرنسي هيريو في جويلية 1924 تضمنت مسألة توزيع الأراضي  
الفلاحية على الجزائريين<sup>(1)</sup>

ومهما يكن من أمر فإننا نجد في مطالب الأمير خالد عناصر  
جوهريّة تدعو الفلاحين لضمها وصراحة للثورة ضد فرنسا من أجل  
استرجاع حقوقهم.

مفتاح نجم شمال إفريقيا ضد عملية استلاك الكولون  
للأراضي الفلاحية الجزائرية

إذا كان النجم لم يتحدث صراحة عن المسألة الزراعية في شمال  
إفريقيا أثناء انعقاد الجمعية العامة لحزب النجم يوم 26 جوان 1926، فإن  
هذه المسألة ستبرز بشكل جلي ضمن مطالب الحزب خلال عام 1927  
وذلك برفع النجم لشعار الاستقلال، وكذلك شعار الإصلاح  
الزراعي<sup>(2)</sup>

وفي مؤتمر بروكسال المنعقد بدعوة من الجمعية العامة لمناهضة  
الاستعمار الاستعماري ما بين 10 و14 فبراير 1927، والذي حضرته

<sup>(1)</sup> الأمن شرط المرجع السابق، ص 08.

<sup>(2)</sup> أحمد الخطيب، جليل، تاريخ الجزائر الحديثة، دراسة سوسولوجية، ترجمة فيصل علي،  
الطبعة الأولى، بلقون مع دم ج. (د. ت)، ص 130

شخصيات عالمية من أمثال نهرو، ومحمد حني، وهوشي منه، فإن  
مبصالي حاج قدّم مطالب الحزب التي تضمنت المسألة الزراعية في  
الجزائر، وجاءت هذه المطالب متتالية من البند الرابع حتى البند السابع.

• البند 04: مصادرة الأراضي الفلاحية الكبرى التي استولى عليها  
الأقطاعيون عملاء الإمبريالية من كولون ومؤسسات رأس مالية خاصة،  
 وإعادة هذه الأراضي إلى الفلاحين الذين حرموا منها.

• البند 05: احترام الملكيات الصغيرة والمتوسطة.

• البند 06: إعادة الأراضي والغابات التي استولت عليها الدولة  
الفرنسية إلى الدولة الجزائرية.

• البند 07: منح الفلاحين الجزائريين الصغار قروضا مالية - كمطلب  
فوري -

معنى هذا أن النجم كان واسعاً في مطالبه إلى أبعد الحدود حيث  
تجاوزت مطالبه الجانب السياسي إلى الجانب الاقتصادي  
والاجتماعي<sup>(1)</sup>

وبهذا الشكل يكون النجم قد سعى في هذا المؤتمر إلى تدويل  
القضية الجزائرية كما سبق للأمير خالد أن سعى نفس المسعى عندما

<sup>(1)</sup> أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، ج 1، الجزائر، م. و. ك. 1986، ص 371.

بحث بمذكرة احتجاج المؤتمر الصلح سنة 1919 يعرض فيها مطالب الجزائريين، أو كأنه يريد تبوير الرأي العام العالمي بمأساة الفلاحين الجزائريين الذين تحولت أراضيهم إلى المعمرين الأوروبيين وإلى عملاء الإمبريالية وإلى الجمعيات الرأسمالية، كما بين الآثار الناجمة عن اغتصاب الأراضي، ومنها تحول الفلاحين الجزائريين إلى الجماعة والعبودية.

ونظرا لأهمية المؤتمر بالنظر لما عرض فيه من قضايا تهم الجزائريين وفي مقدمتها مطلب استرجاع الأراضي الفلاحية المغتصبة، فإن مثلي النجم إثر عودتهم من المؤتمر نظموا تجمعا شعبيا عرضوا فيه نتائج نشاطهم في بروكسل وقرءوا التقرير على الحاضرين بعد أن ترجموا إلى اللغتين العربية والأمازيغية.

وخلال الجمعية العامة التي انعقدت يوم 28 ماي 1933 أضاف النجم في برنامجه إضافة إلى المطالب السالفة الذكر مادة -هي المادة العاشرة- طالب فيها بتوسيع السلفة الزراعية لتشمل صغار الفلاحين الجزائريين، وتنظيم الري، وشق الطرقات، وإعانة ضحايا القحط والمجاعات<sup>(1)</sup>.

ومثل هذه المطالب تعد جوهرية، وذات أبعاد استراتيجية، لأنها تهدف إلى استعادة الأراضي الفلاحية التي استولى عليها الكولون، ومن ثم إنهاء الصراع بين المجتمعين الجزائري والأوروبي، وبالنظر لكونها جاءت في هذا الظرف الزمني الحرج من تاريخ الجزائر فهي تعد مطالب ثورية وجدية، خاصة وأن النجم قد ربط هذه المطالب باستقلال الجزائر التام وتأسيس حكومة وطنية ثورية.

ومثل هذه المطالب هي التي دفعت بالكولون في الجزائر إلى الضغط على سلطات الاحتلال الفرنسي لحل النجم.

وإن كان السؤال المطروح يدور -هذا- حول التلاحم بين المدينة والريف والتكافؤ بين مجتمعيهما حول ملكية الأرض، وهل كان للدعاية الحزبية داخل المدن صدى في الوسط الريفي؟ فإن حزب النجم ظل عتقا بمطالبه المتعلقة بالأراضي الفلاحية وذلك حتى عام 1937.

واليك فيما يلي المطالب التي تقدم بها حزب نجم شمال إفريقيا إلى حكومة الجبهة الشعبية خلال هذه السنة (1937):

1- التوقف الفوري عن عملية شراء الأراضي وحجزها من الفلاحين الجزائريين والكف عن

المصادرة الجماعية لصالح الاستيطان الرسمي.

2- إلغاء الاستيطان الرسمي.

(1) عبد الرحمن بن إبراهيم لقون. المرجع السابق، ص 371.



## موقف حزب الشعب الجزائري من استيلاء الكولون على الأراضي الفلاحية الجزائرية

من العلامات المميزة في نضال حزب الشعب الجزائري ضد الكولون تنظيم أنصار حزب الشعب لتجمع يوم 14 جويلية 1937 أمام دار الفلاحة بالجزائر العاصمة حضره حوالي 20.000 شخص، يهتفون بأعلى أصواتهم «الحرية للجميع» «الأراضي للفلاحين» «احترام الإسلام» «التعليم للعرب» وينددون بمرسوم «ريتي»، وقانون الإنديجينا، ومشروع بلوم فيوليت، ويطالبون ببرلمان جزائري، وفي اللافئات التي حملوها وضعوا سطرا أحمر تحت عبارة الأراضي للفلاحين<sup>(1)</sup>.

إن الدراسة التحليلية للشعارات التي هتف بها المتظاهرون وحملوها على اللافئات تجعلنا لا نتردد في أن الجزائريين كانوا محرومين من الحريات الأساسية، ويعانون من انتشار الجهل والامية، ومن السياسة العنصرية في مجال التعليم، -وهذا على الرغم من صدور قانون التعليم الإجبرائي في سنة 1882 - وإن جشع الكولون وطمعهم في الأراضي الخصبة كان العامل الرئيسي في إفقارهم وتحويلهم إلى خدم وعبيد، وعمالا أجراء تحت رحمة المعمرين.

وفي المهرجان الذي نظمه حزب الشعب الجزائري بقسنطينة يوم 30 أوت 1937 ألقى السيد بو لكروة موسى خطابا على مسامع أزيد من

(1) C.A.O.M - G.G.A. Carton 9 H/47.

3- إصدار مرسوم ينص على تأجيل دفع الديون المستحقة على صغار الفلاحين الجزائريين.

4- فتح وتوسيع مجال الاستفادة من القروض الفلاحية لتشمل الفلاحين الصغار.

5- التوقف عن مصادرة الأراضي الفلاحية تحت ذريعة المصلحة العامة، إلا إذا كانت المصادرة تتطابق شرعا مع غرض المنفعة العامة.

وطالب النجم من إدارة الاحتلال أن تتبنى لجنة تحكيم خاصة بحكم إليها فيما يخص مصادرة الأراضي، تسند إليها مهمة تقدير قيمة التعويض<sup>(1)</sup>.

وبهذا الشكل يكون حزب نجم شمال إفريقيا قد أولى الأرض الفلاحية عناية كبرى، وكشف عن مؤامرة إدارة الاحتلال الفرنسي وتواطؤها مع المعمرين للاستيلاء عليها، وكرس جهدا في الدفاع عن الممتلكات الفلاحية للأهالي.

(1) C.A.O.M - G.G.A. Carton 9 H/47.

«... شخص حقل فيه الكولون الذين استولوا على الأراضي الجزائرية  
جميع الأمراض والآفات الاجتماعية التي حلت بالجزائريين (السُّل -  
السيّيس - الكحول - الفقر - العبودية ...)». وذكر الحاضرين  
أن الجزائريين لا يستطيعون استهلاك المحاصيل التي يتسببونها فوق  
أراضيهم<sup>(1)</sup>

إن المتبع لنشاط حزب الشعب الجزائري يتبين أن المسألة الزراعية  
قد شكلت لديه إحدى أهم النقاط الأساسية التي تمحور برنامج  
الاقتصادي حولها والذي ورد في بنده الخامس والسادس.

- إلغاء عملية استغلال المستعمر، وتشجيع استقرار الجزائريين  
فوق أراضيهم  
وتقديم التسهيلات اللازمة لهم للاستثمار.

- منح الفائدة على قروض الموسم للفلاحين والتجار<sup>(2)</sup>

وعلى هذا الأساس استطاع حزب الشعب الجزائري أن يكسب  
عطف الفلاحين وعمال الأرض، وبالتالي يصطدم بتعنت الكولون،  
ورفض الإدارة الاستعمارية لمطالبه المتعلقة بتطبيق الإصلاح الزراعي.

<sup>(1)</sup> Ibid. (le préfet de Constantine à M<sup>r</sup> le gouverneur général de l'Algérie en date du  
11/10/1937)

<sup>(2)</sup> أحمد الطيب، المرجع السابق، ص 233

كما تمكن من غزو الأرياف الجزائرية بفضل تنظيمه المحكم، وتقريبه من  
الجمع الريفي لاسيما في بلاد القبائل<sup>(1)</sup> خلافا لعمالي وهران  
ونسطبة اللتان عجز الحزب فيهما نسبيا في التسلل داخل الوسط الريفي  
بسبب الوجود المكثف للبلديات المختلطة، والبلديات كاملة الصلاحيات،  
حيث لم يتمكن الحزب من نشر خلاياه في الأرياف بفعالية إلا بعد إلغاء  
نظام فرض الرقابة المشددة على ولوج الغرباء في المناطق الريفية<sup>(2)</sup>

أما التوصيات التي أقرها المؤتمر العام لحزب الشعب الجزائري  
المنعقد فيما بين 23 و24 أوت 1938 فقد اشتملت على النقاط التالية :

1- توزيع الأراضي التي هي حاليا في يد الدولة على الفلاحين بشكل  
ملكيات جماعية غير قابلة للمصادرة أو التصرف بها، ومعفاة من  
الضرائب لمدة عشر سنوات، هي ضرورية للتجهيز.

2- التوسع في السلفيات الزراعية لملاك الأراضي بدون تمييز، ودونما أي  
اعتبار آخر سوى حسن النية والحاجة الحقيقية.

<sup>(1)</sup> نفسه، ص 238 - 239

<sup>(2)</sup> نفسه، ص 239



3- زيادة الأرصدة المخصصة للشركات الزراعية طبقا لحاجة الزراعة الأهلية، وإستاد أمر تسيرها إلى لجان يتخبطها المزارعون بأنفسهم ويشول رئاستها رئيس الجماعة<sup>(1)</sup>

هذا بشأن الزراعة؛ أما بشأن العمال الزراعيين فقد اشتملت المطالب على الآتي :

- 1- منع العمال الزراعيين الحق النقابي.
- 2- المراجعة الفورية لأجور العمال الزراعيين ورفعها إلى حدّ الأجور التي تدفع في فرنسا على الأعمال المماثلة.
- 3- إحداث مجالس قضائية في المراكز الفلاحية للبت في الخلافات بين أرباب العمل ومستخدميه، والقضاء على طريقة المساومة في الأجور المعمول بها في الجزائر. وبشأن تربية الماشية فقد خرج المؤتمر بالتوصيات التالية:
- 1- التخفيف من قسوة قانون الغابات تجاه مربّي الماشية.
- 2- حق المرور في المناطق الحرجية التي اعتبرتها الدولة جورا من المناطق الغاية.

<sup>(1)</sup> نفسه، ص 295 . (عن جريدة الأمة لعدد 66 ثيساتر في 1938/08/27)

١- تشجيع تربية الماشية بتقديم منح، وتنظيم مسابقات، وإقامة معارض دورية.

٢- تخفيض الضرائب التي تثقل كاهل مربّي الماشية، وتعيين طبيب بيطري في كل مركز زراعي يكون من جملة مهامه نشر التوصيات الوقائية للماشية من الأمراض<sup>(١)</sup>.

كما ورد بند يدعو إلى تخفيض الضرائب على التجارة الصغيرة في الأرياف والمدن<sup>(٢)</sup>.

وفي ١٤ جويلية ١٩٣٩ شارك حزب الشعب الجزائري في المسيرة العامة بموالي ١.٧٠٠ شخص وفقا لرواية الشرطة، و٤.٠٠٠ وفقا لرواية (La Dépêche Algérienne) تتقدمهم زوجة مصالي الحاج، وإلى جانبها نائب الحزب في المجلس الاستشاري العام السيد دوار. وكان أنصار الحزب يرفعون لافتات كتب عليها «الأرض للفلاح»، لكن الشرطة تدخلت واعتقلت ثلاثة من حاملي اللافتات، ووجهت اتهامات لمصالي الحاج ولدوار، ومحمد خيدر بأنهم أعادوا تأسيس جمعية منحلة وشاركوا في مظاهرات ممنوعة<sup>(٣)</sup>.

<sup>(١)</sup> أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص ٢٩٥.

<sup>(٢)</sup> نفسه.

<sup>(٣)</sup> نفسه، ص ٢٤٤.



حزب الشعب الجزائري جدولا إحصائيا للآلات الزراعية التي يمتلكها  
الوطنيون الجزائريون، والأوروبيون. كما يظهر أسفله:  
**الآلات الزراعية عند الوطنيين والأوروبيين**

المجموع	للأوروبيين	في المائة	للتونسيين	في المائة	محرقات نوع أوروبي
200.512	111.950	55.83	88.562	44,17 %	
344.061	4.411	1,28	339.606	98.72	محرقات محلي
4.894	4.404	90,05	487	09,95	لنجل ميكانيكي
15.433	13.099	84,88	3.334	15,12	آلات حصاد ميكانيكية
1.524	1.404	92,12	120	07,88	وايو لراس
1.565	1.388	88,70	177	11,30	آلات لراس ميكانيكية
440	427	97,05	13	02,95	آلات حصاد - لراس
3.629	3.360	92,58	269	07,42	محرقات لأونومويل
146	145	99,32	01	00,68	آلات بخارية للتحفر
02	02	% 100			آلات كهربائية للتحفر

المراجع : محمد قطاري «مذكرة حزب الشعب الجزائري إلى الجامعة العربية حول أحداث  
08 ماي 1945، المذكرة العدد 02، السنة 02، ربيع 1995 م - 1415 هـ ص 90

وتفيد تقارير الشرطة الاستعمارية أن حزب الشعب الجزائري  
رغم شبه الدفاع عن حقوق الفلاحين الجزائريين إلا أن نفوذه كان قليلا  
في بعض جهات غرب الجزائر كقبليزان ومستغانم، وذلك بسبب قوة  
نفوذ الزوايا، مشيرة إلى أن هذا الحزب يغلب عليه الطابع الحضري،  
وهذا ما يتفق مع قول أحد الخطيب في أن نفوذ حزب الشعب كان  
أقوى في بلاد القبائل وفي الإقليم القسطنطيني مقارنة مع إقليم وهران كما  
ذكر سابقا.

وفي المذكرة التي تقدم بها حزب الشعب الجزائري إلى السيد عبد  
الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية في الدورة الرابعة لمجلس  
الجامعة بتاريخ 25 ذي القعدة 1265 هـ الموافق لـ 20 أكتوبر 1946 خص  
الأراضي الفلاحية بفقرة كاملة عنوانها «مأساة الأراضي الفلاحية» ذكر  
فيها بالمساحة الإجمالية للأراضي الزراعية في الجزائر والمقدرة بـ  
20.813.251 هكتار والتي يمتلك منها الأوروبيون البالغ عددهم 800.000  
نسبة 9.228.969 ؛ تمتلك منها الحكومة الفرنسية الاستعمارية  
3.023.202 هكتارا و تمتلك منها الجزائريون وعددهم عشرة ملايين  
نسبة 7.563.000 هكتارا. ومعنى هذا أن الوطنيين لا يملكون من  
أراضي آبائهم وأجدادهم إلا نسبة 36 %<sup>(1)</sup>. كما تضمنت مذكرة

<sup>(1)</sup> CAOM - G.G.A. Carton 9 H / 30 (Situation politique indigène à  
Relizane

وانتهت الفقرة التي تتحدث عن «مأساة الأراضي» في هذه المذكرة بالجملة التالية «وإننا خشية التطويل نقلنا إليكم في هذا التقرير الحاطل جداول وأرقاماً»<sup>(٩)</sup> تعتبر هذه المذكرة وما ورد فيها ترجمة لمآسي ومعاناة الفلاحين الجزائريين من جراء اغتصاب أراضيهم، وشهادة قطعية لا غبار عليها عن نضال حزب الشعب الجزائري من أجل قضية الأرض، خاصة وأنها استخدمت في عرضها للعسالة الزراعية لغة الإحصاء، وبذلك تكون قد قدمت معلومات دقيقة توضح الرؤية أكثر عن واقع الفلاح الجزائري في ظل الاحتلال الفرنسي، وحتى يفهم الجميع أن عصنة الفلاحة في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي بأنها كانت لصالح الكولون الأوروبيين لا غير. بعد حوادث ماي 1945 اتجه نشاط حزب الشعب الجزائري صوب الأرياف، مستغلاً فرصة التحاق عدد كبير من الشبان بالجيال فراراً من الجندية وامتناعاً عن التجنيد الإجباري، من بينهم شبان من دوار بني قايد التابع لبلدية جيجل الكاملة الصلاحيات. وللعلم فإن معظم المتحقين بالجيال عقب هذه الحوادث كانوا مؤطرين من طرف مناضلين في حزب الشعب الجزائري أو مناضلين من أحباب البيان والحرية، ومن هؤلاء الشبان الذين اختاروا طريق الجبل نذكر: قاسي علاوة، بوزيان مسعود، بن شريف بشير، بن شريف عبد الرحمن،

١١ - محمد قطري، المرجع السابق، ص 91.



الذين فروا من الجندية بأسلحتهم. وعلى شاكلة دوار بني قايد تكوّن فصائل من مناضلي حزب الشعب الجزائري في كل من قرية القصر، وبجاية، ووادي أميزور يترأسها على التوالي السادة منعة لحضر، وعيزل رايح، ومعوش أحمد إلى جانب بومزراق فرحات، تعمل على مساعدة الفارين من الجندية الفرنسية والمتابعين قضائيا بتهمة المساس بالأمن الداخلي للدولة<sup>(1)</sup> وقد كان هدف كل من حزب الشعب الجزائري، وأحباب البيان هو تطهير الأرياف الجزائرية من الكولون لتسهيل عودة الأراضي المغتصبة إلى أصحابها. إن دل هذا على شيء فإنه يدل على أن الحركة الوطنية وفي مقدمتها حزب الشعب أو على الأقل فئة منه بدأت تلجأ إلى العمل المسلح، وتناهب لضرب المعمرين بقوة السلاح واستخدام العنف ضدهم. وقد راح بعض الشبان من أنصار حزب الشعب الجزائري إلى حدّ تهديد الأغوات والقياد بالموت، حيث اعترف أحد الشبان للشرطة الاستعمارية في يوم 12 يناير 1947 وهو ابن المدعو بورياتي بأنه وجه رسائل تهديد بالموت إلى الباش آغا فرحات بلقاسم بن جلول، وإلى ابنه الباش آغا فرحات بن الطيب بلقاسم، والقايد فرحات بن يوسف بلقاسم بختيرهم بين أمرين: الموت، أو الاستقالة من مناصب عملهم لأنهم كانوا معادين لحزب الشعب الجزائري، وأصبح هذا الشاب لرجال الشرطة الاستعمارية عن كرهه لفرنسا -

<sup>(1)</sup> C.A.O.M - G.G.A. Carton 9 H 51, (rapport spécial: Organisation du P.P.A. à Djidjelli et région. Djidjelli le: 23/06/1945).

الاستعمارية - التي يكرهها حزب الشعب، بكل جرأة وشجاعة، وشرح بأن عبارة (choisir la valise ou le cercueil) تعني باختصار على الفرنسيين اختيار بين الموت أو مغادرة الجزائر (1)

وتابع قائلا لرجال الشرطة الاستعمارية «لست خائفا منكم وإني مستعد أنا وأصدقائي الخمسة المشكولون لحلبة حزب الشعب الجزائري لتنفيذ عملية قتل ضد أي كان متى طلب منا المسؤول عن الخلية ذلك، وأصدقائي الأربعة لا نعرفهم، كما أنني لا أعرف رؤسائي إلا عن طريق الرؤية». وأبلغهم بأن سبق له من قبل أن وجه رسالة تهديد بالموت بتاريخ 09 نوفمبر 1946 إلى قائد (Michelen) (عين الحمام حاليا) (2)

ومن بين زعماء حزب الشعب الذين كان لهم نشاط مميز في بلاد القبائل، وعلى وجه التحديد في جرجرة ممن وردت أسماءهم في تقارير الشرطة الاستعمارية نجد أحمد أو عامري، وتذكر نفس التقارير أن المدعو «أوطالب حاج علي» قد غادر دوار بوعكاش نهائيا بعد أن وصلته رسالة تهديد بالقتل ما لم يكف عن التعامل مع إدارة الاحتلال.

(1) - C.A.O.M. G.G.A. Carton 9 H/51 (objet: menace de mort adressée au Caid du douar Bouakkache - C.M. du Djurdjura. Le préfet d'Alger à monsieur le ministre plénipotentiaire gouverneur de l'Algérie, le 15/01/1947 - confidentiel)  
(2) Ibid

وإثناء زيارة ميصالي الحاج لتيزي وزو هرع سكان القرى المجاورة لاستقباله والاستماع إلى خطابه، وقد جاؤا إلى تيزي وزو في صفوف مزارعة عمكين بأيدي بعضهم البعض وحاملين للأعلام ويرددون الأناشيد الوطنية.

وبعد هذه الزيارة أبدى الأوروبيون القاطنون في القرى المنعزلة خوفا شديدا من حدوث «تجاوزات» كذلك التي وقعت في ماي (1) 1945 كما أعقب هذه الزيارة إشاعات مفادها أن الأيام القادمة ستشهد انتفاضة شعبية عارمة، وهو الأمر الذي أحدث ذعرا في وسط الكولون الذين يمتلكون ضيعات منعزلة، حيث غادر الكثير منهم ضيعاتهم كما هو الحال بالنسبة للمعمر «برويليس» (BROYELLES) الذي غادر ليلة 10 أبريل 1947 ضيعته الواقعة بقرية تاقدمت والتجأ عند أقاربه بدلس. ونظرا لتمكن الخوف من نفوس المعمرين فإن أحدهم قد باع مسكنه في عزازقة بمبلغ 400.000 فرنك إلى المدعو طاهي (2)

يستشف من تقارير الشرطة الاستعمارية ذلك الصراع المحتدم بين الكولون الذين كانوا يريدون الاحتفاظ بالأراضي التي استولوا عليها وبين الفلاحين الجزائريين الذين كانوا يريدون استرجاعها.

(1) C.A.O.M. G.G.A. - Carton 9 H/51 (tournée de propagande de MESSALI Haddj en Kabylie du 15 au 24/03/1947).

(2) Ibid. (activité anti-Française, Tizi Ouzou le 12/04/1947)



إن تطور الموقف بعد حوادث 08 ماي 1945 والمتمثل من جانب الكولون في الحذر الشديد من الحركة الوطنية ومن الشعب الجزائري إلى حد انتقال بعضهم من الريف إلى المدينة؛ ومن جانب الجزائريين إلى المبادرة باستخدام العنف وسيلة لطرد الكولون، واستجابة السكان السريعة وتحملهم الشديد لضرب كل من أذنب في حق الشعب الجزائري من أمثال القياد والباشاغات الذين كانوا في خدمة الاستعمار، يجعلنا نحزم بشكل قطعي أن حوادث 08 ماي 1945 كانت بداية فعلية لتعبئة جماهيرية عامة هيئت الجو لثورة أول نوفمبر 1954.

ويعتبر انتقال ميصالي الحاج إلى الأرياف وعقدته لجمعية داخل الضيعات دليلا ثابتا على توغل نشاط حزبه في عمق الجزائر، وأن عنايته بالأراضي الفلاحية المقتضية كانت في صميم اهتماماته، ومن الأمثلة على ذلك ترأسه لجمعية عامة لفلاحي المنطقة في ضيعة المدعو « حسان علي » المتواجدة على بعد ثلاث كيلومترات من دلس بأزفون ( Port guerydon ) التابعة لتيزي وزو، وإشرافه أيضا على جمعيات أخرى منها: جمعية بدوار

مأكودة التابع لبلدية مزغنة المختلطة، وجمعية في ضيعة بلونيس بيج مائل، وأخرى في ضيعة المدعو محمدي أحمد بن سعيد (1)

وللإشارة فإن عمال الأرض بمزارع الكولون المجاورة للضيعات التي احتضنت الجمعيات قد توقفوا عن العمل وحضروا هذه الاجتماعات، مما يدل على أن نشاط حزب الشعب الجزائري كان مشمرا في بلاد القبائل.

ومن الأمور الملفتة للنظر فإن النساء في بلاد القبائل كن يخرجن من بيوتهن لاستقبال ميصالي الحاج ويرحن بقدمه ويحضرن الاجتماعات إلى جانب الرجال ويسمعن لخطابه.

ففي بلدية جرجرة المختلطة بالأربعاء (L'Arbaa des Ouassifs) فإنه من بين الثلاثة آلاف شخص ممن حضروا المهرجان الذي ترأسه ميصالي الحاج في منتصف النهار كانت توجد حوالي 500 امرأة (1)

وفي هذه الاجتماعات والمهرجانات كان ميصالي الحاج يخاطب الفلاحين وعمال الأرض بإيقاع عاطفي يذق في القلوب مذكرا إياهم بعث الكولون بأراضي آبائهم وأجدادهم.

ففي التقرير الذي بعث به قائد فرقة الدوك الاستعماري بذراع الميزان إلى قائد فرقة تيزي وزو ورد قول ينسب إلى ميصالي الحاج جاء فيه « إن الشعب الجزائري يعيش منذ 116 سنة تحت الاستغلال والسبب في ذلك هو فرنسا التي اغتصبت منا أجود أراضينا واستولت على

(1) Ibid. (P.R.G. d'Alger le 19/03/1947).

(1) C.A.O.M. G.G.A - Carton 9 H / 51. (Police de renseignements généraux d'Alger téléphone le 24/03/1947)

خبرات بلاده، وجعلت منا عذما وعبيدا، ولا ينبغي أن ننسى ما ارتكبه من جرائم عقب نزول قواتها بأرض الجزائر، فقد نهبت كل ما وجدت في طريقها، قطعت أشجار الزيتون، وأحرقت جرات الزيت، وألصقت الحاصيل، باختصار دفعت بنا إلى الفقر والمجاعة، وهذا ما نعزم الاستمرار عليه<sup>(1)</sup>

ومن الأمور التي أثارت دهشة إدارة الاحتلال الفرنسي عند السيارات المرافقة لمصالي الحاج والمؤلفة لموكبه أثناء زيارته لبلاد القبائل والتي كان عددها يتجاوز الأربعين سيارة - وهذا على الرغم من وعورة المسالك - وقد شبهها الفرنسيون بموكب الحج إلى بيت الله الحرام<sup>(2)</sup>

تركزت زيارة مصالي الحاج أثناء بليغة في نفوس مواطني بلاد القبائل وهزت وجدانهم فراحوا يتددون بالوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر

وتكتشف لنا تقارير الدرك الاستعماري بأن أحد فلاحي عفر بنى زواوي بوجمة قد حرض الشبان على التمرد والعصيان في

<sup>(1)</sup> Ibid. (gendarmerie nationale P.V. de renseignement sur les conditions politiques domales par MESSALI Hadj, n° 304 du 23/03/1947).

<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A - Carton 9 H / 51. (Secret renseignement sous les propriétaires des voitures qui accompagnent MESSALI Hadj)

أعقاب زيادة مصالي الحاج لبلاد القبائل، ودعا ثلاثة منهم شيان يحي، أوزروهان أحمد، وإمرازق إينوداي البالغ من العمر ستة عشرة سنة، بصفتهم شعراء للملحون ومداحين جوالين في مهمة يجوبون فيها القرى، يتبهون السكان ويحذرونهم، ويبشرونهم بنشوب حرب في المستقبل بين الجزائريين والفرنسيين متعم كامل التراب الجزائري، ويصحونهم بالاستعداد المادي والنفسي لقتل كل الفرنسيين الذين كانوا السبب الرئيسي فيما يعانيه الشعب الجزائري من مآسات<sup>(1)</sup>

أمرعت إدارة الاحتلال بإلقاء القبض على المداحين الجوالين الثلاثة، واتخذت إجراءات إدارية تحول دون إلقاء مصالي الحاج للخطب وتمنعه من إقامة المهرجانات الشعبية في كل من تيزي وزو، ومبيدي عيش، والقصر<sup>(2)</sup>

أما الرسالة التي بعث بها عامل عمالة الجزائر إلى الحاكم العام للجزائر في 22 أبريل 1947، فجاءت كلها تتحدث عن أغنية نصها عربي حول تحرير الأرض، ودعوة الناس لحماية النساء، وحث سكان الجبال على مساعدة الثوار<sup>(3)</sup> مما يوحى بإرهاصات الثورة في بلاد القبائل والإعداد لها بمجدية خلال سنة 1947.

<sup>(1)</sup> Ibid. (Secret, Rapport du capitaine KRIEGER commandant la section de gendarmerie de Setif sur les faits intéressant l'ordre public. Setif le: 18/06/1947)

<sup>(2)</sup> Ibid. (renseignement: A.S. la tournée de MESSALI Hadj en Kabylie, Alger le 0/04/1947)

<sup>(3)</sup> Ibid. (La P.R.G. d'Alger le: 25/04/1947).



مؤتمر هورنو المتعقد ببلجيكا فيما بين 14 و16 جويلية 1954 بدعوة من مصالي الحاج والذي حضره مائة وخمسون مندوبا من داخل الجزائر وخارجها حيث أعلن المؤتمرون بأن المسألة الزراعية هي حجر الزاوية في كل الإصلاحات الجديدة<sup>(1)</sup>

**نضال فرحات عباس ضد ملكية الكولون للأراضي الفلاحية**  
أدى انهزام فرنسا في الحرب العالمية الثانية، واحتلالها من طرف القوات الألمانية إلى فقدانها لهيبتها كدولة قوية، وهو الأمر الذي غير من نظرة التشكيلات الحزبية الوطنية -الجزائرية - لفرنسا كدولة عظمى، وقد كان فرحات عباس واحدا من الذين تغيرت نظرتهم، حيث اتخذ مبادرة بإرسال تقرير إلى المارشال بيتان في أبريل 1941 حول الأوضاع الاجتماعية التي تعيشها الجزائر مطالبا ببعض الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية وفي مقدمتها الإصلاحات الزراعية، إلا أن هذه المحاولة -الجادة - لم يكتب لها النجاح

ولعل الاستشهاد بأقوال فرحات عباس يلقي الضوء على موقفه من سياسة فرنسا إزاء الفلاح الجزائري. لقد قال في خطاب له أثناء الحملة الانتخابية لتجديد المجالس البلدية سنة 1935 «إن إدارة الاحتلال

وهكذا تسارعت الأحداث في بلاد القبائل عقب زيارة مصالي الحاج للمنطقة، كما يظهر بأن حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية (1946-1954) التي هي امتداد لنجم شمال إفريقيا (1926-1937)، وحزب الشعب الجزائري (1937-1939) هي التنظيم الحزبي الوطني الوحيد الذي استطاع أن يؤثر في الأوساط الريفية، ويعبر عن طموحات الفلاح الجزائري وتطلعاته إلى الإنعتاق والحرية، كما أنها كانت من أكثر الأحزاب الوطنية شعبية -كما وكيفا - وهذا ما يفسر رغبة الجزائريين ورضاهم لمطالب حزب الشعب.

فيأخترق هذا الحزب للأرياف، ويأنظم الفلاحين وعمال الأرض إلى صفوفه أصبح من أكثر الأحزاب شأنا. وعلى حد قول محمد حربي فإن حزب الشعب الجزائري (ح.إ.ح.م) نظم فصائل صدامية تجوب القرى والأرياف، وتواجه عملاء الأعيان، وقد نتج عن ذلك تحرر نفسي كبير، وانتقل الرعب الذي كان مسلطا على الشعب إلى صفوف الأعيان بحيث أصبحوا يسبحون بين الولاء للنظام والانفصال عنه (يترددون) مستعدون حسب الظروف لكل التقلبات<sup>(1)</sup> كما أن المسألة الزراعية لم تكن غائبة في

<sup>(1)</sup> محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخلص، ترجمة نجيب عباد وصالح الشلوي، الجزائر، 1984، ص 131-132

<sup>(1)</sup> G.G.A. Service des liaisons Nord Africaines, Bulletin politique mensuel n° 1802 NA/3, mois de Juillet 1954, p 82



بعد حوادث قسنطينة 1934 - قد عزلت المتعاطفين مع الحرية الوطنية، وخرّبت حالة التجار والفلاحين بتوظيف الضرائب المفرطة، وإلغاء القروض الفلاحية<sup>(1)</sup>

يستخلص من هذا القول أن فرحات عباس كان يدافع عن حقوق الفلاحين الجزائريين الصغار، وردّ سبب الخراب الذي لحق بهم إلى السياسة الفرنسية الاستعمارية ذات النزعة العنصرية الانتقامية.

ومن الأمور التي تؤكد ارتباط فرحات عباس بالأراضي الفلاحية الجزائرية ودفاعه عن الفلاح الجزائري قولاً أورده في كتابه ليل الاستعمار مفاده أنه أثناء وجوده بنيودلهي خلال شهر مارس 1959 طرح عليه أحد الصحفيين سؤالاً غير متظر «سدي الرئيس، خارجاً عن السياسة ما هي رغبتك في الحياة؟» فأجابته فرحات عباس «زراعة الأرض» وأردف قائلاً «انتمي فعلاً إلى مجتمع فلاحي لكن الصدقة جعلت من أبي ومن إخواني موظفين، لقد ترعرعت في وسط فلاحي بين هؤلاء الفلاحين الجبيلين الذين لم يؤثر الفقر على شجاعتهم ولا على إيمانهم وشهامتهم»<sup>(2)</sup> وأضاف قائلاً: «إن القروي الجزائري ليس

<sup>(1)</sup> «السنن شريط لتعبئة العربية في تجربة الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 42.  
<sup>(2)</sup> Ferhat ABBAS. La nuit coloniale, op. cit. pp 107-108.

متزمتاً ولما يمنحه الحظ ملكية متوسطة فإن أول ما يسترعى اهتمامه الأخذ بالمدنية التقنية مثل جاره الكولون»<sup>(1)</sup>  
بيان 10 فبراير 1943

بعد نزول الحلفاء بالجزائر في آخر عام 1942 طلب «دارلان» و«جيرو» من زعماء الحركة الوطنية إقحام الشعب الجزائري في مجهود الحرب، فردّ عليهما فرحات عباس برسالة وقع عليها هو وأصحابه جاء فيها: «إننا نقبل المساهمة في الحرب من أجل تحرير الشعوب شريطة أن تكون هذه المشاركة بدون تمييز عرقي أو ديني، وشريطة أن تفي فرنسا بتعهداتها فيما يخص منح الشعب الجزائري حقوقه وحرياته الأساسية، وأن يسمع لممثلي المنظمات السياسية الجزائرية يعقد مؤتمر يناقش فيه الدستور السياسي والاقتصادي والاجتماعي للجزائريين».

ردّ جيرو على فرحات عباس بأننا مشغولون بالحرب وليس بالسياسة.

وعليه اجتمع فرحات عباس مع ثمانية وعشرين نائب مسلم في 10 فبراير 1943 ووقعوا بيان الشعب الجزائري الذي تسلم «بيروتون» الحاكم العام للجزائر نسخة منه في 31 مارس 1943 من يد فرحات عباس مرفوقاً بالسادة بن جللول، وبين خلاف، وتمزالي، ورزوق محي

<sup>(1)</sup> Ferhat ABBAS. Op. cit. p 112



الدين، وسليح عبد القادر<sup>(1)</sup>، وقد تضمنت المادة الثانية من فصله الثالث مطلباً يصر على القضاء الملكية الإقطاعية وتطبيق سياسة إصلاحية زراعية كبرى، وذلك من أجل تحقيق الرفاهية لفترة البروليتاريا الفلاحية الواسعة<sup>(2)</sup>.

إن هذا البيان من خلال إدانته الصريحة للاستعمار ومطالبته بإزالة الاحتلال يكون قد نبذ ضمناً استحواذ الكولون على الأراضي الفلاحية الجزائرية خاصة وأنه شبه حال العمال في مزارع الكولون بال حالة التي كان عليها العبيد والأقنان في العصور الوسطى.

وفي 16 ماي 1943 ألحق البيان بمشروع إصلاحات متمم للبيان وموضحاً للمطالب الواردة فيه بمقترحات ملموسة<sup>(3)</sup>، أرسلت نسخة منه إلى الجنرال ديغول يوم 10 جوان 1943، ونسخة ثانية إلى الجنرال كاترو في اليوم الموالي. وبهذا الطرح يكون فرحات عباس قد تجاوز فكرة الإدماج.

رفض الجنرال كاترو الذي عينته لجنة التحرير الوطني الفرنسية حاكماً عاماً على الجزائر هذا المشروع الإصلاحية.

ولما امتنع النواب الجزائريين عن الحضور في الجلسة غير العادية التي دُعيت إليها المفوضيات المالية الجزائرية يوم 22 سبتمبر 1943 مجددين تعلقهم بالبيان، أقدم كاترو على حل الوفود المالية الجزائرية، وفرض الإقامة الجبرية على السايح عبد القادر - رئيس القسم العربي للمفوضيات المالية - وعلى فرحات عباس بحجة تخريض الوفود المالية على التمرد والعصيان<sup>(4)</sup>.

إن مبدأ إلغاء الملكية الإقطاعية الكبيرة بإصلاح زراعي هام، وحق البروليتاريا الفلاحية في الازدهار الذي تضمنه البيان يتجاوب مطلقاً مع طموحات الشعب الجزائري، وعلى هذا الأساس وجد صدى له في الوسط الجماهيري، وهذا ما تفسره المناشير التي عثرت عليها الشرطة الاستعمارية بمدينة قسنطينة يوم 26 ديسمبر 1943 وقد كتب عليها العبارات التالية: «للشعب وبالشعب: هذا المنشور من حقاك قراءته ومن واجبك توزيعه»؛ «الاستعمار عبء ثقيل»، «الموت للاستعمار»؛ «إن الكولون الذين اثروا عن طريق مصادرتهم لأراضي الجزائريين المسلمين، والذين سمنهم الجزائريون بالعمل في حقولهم الزراعية، لا يقبلون أبداً أن تقتسم ثروات هذا البلد معهم، وقد ذهب

(1) C.A.O.M. G.G.A - Carton 9 H / 51. (Secret. Note sur le groupement politique musulman intitulé «les amis du manifeste et de la liberté»  
(2) C.A.O.M. G.G.A - Carton 9 H / 51  
(3) شارل ديغول - لجزيرة، تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830-1970، ترجمة عيسى صفور - الجزائر، ديج، 1982، ص 148

(4) Francis et Colette JEANSON. L'Algérie H.L.L. Alger: E.N.A.L 1993, p 66.

هم الحسد والحقد إلى الامتناع عن بيع الأراضي الفلاحية  
للجزائريين<sup>(1)</sup>

تحت هذا المنشور الوفود المالية بالخيانة والتفاق، وضرب مثلا  
للمناقضين بذكر ثلاث أسماء (الدكتور تمزالي، وابن جلول، والأخضري)  
واعتبرهم حلفاء للاستعمار ولللكولون، وأعداء لفرحات عباس  
وللقضية الجزائرية، بينما شكر جميع الأحزاب الوطنية بما فيها الحزب  
الشيوعي الجزائري<sup>(2)</sup>

كما عثر في نفس المدينة - قسنطينة - على منشور آخر  
كتب عليه عبارة «أبا عملاء الكولون! سيأتي يومكم الذي تشقون فيه  
من طرف الشعب»<sup>(3)</sup>

لم تنفض تحريات الشرطة وتحقيقاتها إلى الكشف عن مصدر  
للمنشورين وحسب المعلومات الواردة فيهما يبدو أنهما من فعل أنصار  
فرحات عباس، وفي مقدمتهم طلبة مدرسة قسنطينة، ولاسيما المنشور  
الأول الذي أتى على فرحات عباس، وعبد القادر السايح.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A - Carton 9 H / 51. (objet: circulation de tracts à Constantine  
le 27/12/1943).  
<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A - Carton 9 H / 51. (Objet: circulation de tracts à Constantine  
le 27/12/1943).  
<sup>(3)</sup> Ibid. (diffusion à Constantine d'un nouveau tract nationaliste-Secous - Alger le  
27/12/1943)

وشهدت بداية سنة 1944 تحركا نشيطا للقوى الوطنية، تمثل في  
ظهور تنظيم سياسي سري يحمل اسم «الجزائر حرة» (L'Algérie libre)  
ذيل بتوقيع العلماء، وأحباب البيان، وحزب الشعب، واشتمل برنامجه  
على ست نقاط تبناها كقائدة أساسية لنشاطه<sup>(1)</sup> ومع أنه لم يشير إلى  
المسألة الزراعية، إلا أن المهم فيه هو اشتراك الأحزاب الوطنية في  
التوقيع عليه والتفافها حول الهدف الذي نشأ من أجله وهو تحرير الجزائر  
كما تدل عليه تسمية التنظيم. وبطبيعة الحال فإن عبارة «الجزائر حرة»  
تعمل في طياتها وفي مضمونها بعدا استراتيجيا هو تحرير الأرض وإخراج  
الكولون منها واستعادتها لأصحابها الشرعيين.

وإمام الوضع الأليم الذي كان يعيشه الشعب الجزائري والمتمثل  
في شح مساعدات الحلفاء للجزائريين، وانخفاض الإنتاج الزراعي بشكل  
محسوس، لم يسع فرحات عباس سوى العمل في محاولة لجمع شمل  
العلماء، وقدماء حزب الشعب المحظور، والمتحيين والشيوعيين في جبهة  
واحدة أطلق عليها اسم «جمعية أصدقاء البيان والحرية» (Association  
des amis du manifeste et de la liberté) وهي الجمعية التي نشأت في 14  
مارس 1944؛ ومع أن هذه الجمعية قد نشأت لغرض القيام بعملية  
تحرير منهجية لسياسة فرنسا الإدماجية وإقناع المستفيدين من قرار 07

<sup>(1)</sup> Ibid (activités musulmanes nationaliste de « l'Algérie Libre » 1944)



مارس 1944 بعدم تسجيل أنفسهم في القوائم الانتخابية الخاصة بالقسم الأول<sup>(1)</sup> فإنها لم تهمل الحديث عن ملكية الأرض، وعن الفلاحين الجزائريين أثناء مؤتمرها المنعقد فيما بين 02 و 04 مارس 1945.

وقد أخذ السيد بوطارن النائب السابق والمناضل في الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بالانجاء الذي استنه فرحات عباس في تجنيد سكان القرى والدفع بهم إلى المطالبة باسترجاع أراضي آبائهم واجدادهم بالتزاعها من الكولون، فترأس اجتماعا في 12 مارس 1947 بفرنقة حضره الأعضاء الرئيسيون للاتحاد الديمقراطي، وفي يوم الغد (13 مارس 1947) المصادف للسوق الأسبوعي أجرى اتصالات بعدد من سكان الدواوير المجاورة لفرنقة<sup>(2)</sup>

أما فرحات عباس ففي خطاب له بالبليلة يوم 03 أكتوبر 1947 في قاعة (aux tabac de Blida) فقد صرح أمام 400 موفد من الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بأن 80٪ من الشعب الفرنسي لا يكثر غاما بالمسألة الزراعية ويطلب من الجزائريين تسوية مشكلاتهم مع الكولون، وترك شأنه، بينما 20 ٪ المتبقية فهم من أنصار الاستيطان<sup>(3)</sup>

جهة التحرير الوطني، اللجنة المركزية للتوجيه، ميثاق الجزائر 1964، ص 17.  
CA.O.M. G.G.A - Carton 9 H / 51. (CM de Frenche. Extrait du rapport politique du 1<sup>er</sup> au 15/09/1947)  
Ibid (Congrès des cadres de l'U.D.M.A renseignements Alger le 04/10/1947)

وعلى حد قول محمد حربي: «ومهما يكن من أمر فإن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي كان مفتوحا للجزائريين وللأوروبيين على السواء، وكان يهدف إلى إقامة دولة مرتبطة بفرنسا<sup>(1)</sup>، فإنه لا يمكن الإقرار بتجاوب مطالبه مع طموحات الجماهير الريفية العريضة والتي لم تكن راضية بالحضور الفرنسي فوق أراضيها».

وتكفي الإشارة للتدليل على ذلك بتصريحات فرحات عباس نفسه الذي قال بأن الفلاح الجزائري لم يعبر بعد عن رأيه، وعلى هذا الأساس يضحى من غير المعقول إنشاء دولة جزائرية متحدة فدراليا مع فرنسا، يضل فيها الفلاح الجزائري عبدا للكولون<sup>(2)</sup>

موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الفلاحين وقضايا الأرض

نقلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مذهبها إلى القرى التي تخلصت من سيطرة المرابطين<sup>(3)</sup>، فأنشأت المدارس الحرة، ودرست أبناء الريف الجزائري علوم الدين والفلسفة والقانون والتاريخ، فأخضعت فرنسا نشاطها للرقابة وطبقت عليها منشور ميشال

محمد حربي. المرجع السابق، ص 09

(1) Francis et Colette JEANSON. Op.cit, p 124.

مصطفى الأشرف. الجزائر: الأمة والمجتمع، مرجع سابق، ص 255

(Catherine Michel) الصادر في 1933 في إطار خوضها كفاحا جديدا لتخليص الشعب الجزائري من الخرافات والشوائب التي عقلت بالبين الإسلامي. فإنها بذلت جهودا لمساعدة الفلاحين وأبنائهم ونشر الثقافة والتعليم في وسطهم.

وعلى هذا الأساس اعتبر بعض المؤرخين الحركة الباديسية خيرة للثورة التحريرية أو بمعنى آخر مشتملة لمناضلي جبهة وجيش التحرير الوطني الجزائري<sup>(1)</sup>.

كانت المدارس التي أنشأها العلماء الباديسيون في الجهة الغربية من الوطن تجمع تلاميذ من أصل ريفي، وهذا المثال ينطبق على مدرسة الإصلاح ببنية معسكر التي كان أغلب تلاميذها من أصل ريفي، وكذلك مدارس سبق، وعين تموشنت ودوار مسعادة، وسيدي الصافي والعاريف ببلدية سيدي بن عدة<sup>(2)</sup>.

وخلال الفترة من 1936 إلى 1938 روجت الجمعية لفكرة المطالبة باستعادة أملاك الحبوس التي صادرتها فرنسا بعد أن وعدت باحترامها، خاصة وأن عددا من الفلاحين الجزائريين قد حبسوا أملاكهم لإنقاذها

<sup>(1)</sup> ينظر تفصيل أكثر عن هذا الموضوع في: جاكز الحسن، نشاط جمعية العلماء لتحرير الجزائر في حقبة معسكر 1931-1956، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع 2003.  
<sup>(2)</sup> Michel LAUNAY, Paysans Algériens, Paris: éd. du Seuil 1963, p. 140

من المصادرة والحجز حتى لا تستولي عليها سلطات الاحتلال الفرنسي، إلا أن البعض تنظر إلى هذا الإجراء على أنه مخالف للشرعية الإسلامية لكونه يحرم أصحاب الأرض التي حولت إلى أحباس من حقهم في الميراث لاسيما النساء منهم، على أن هذه الحيلة غير مضمونة؛ وبالنظر للمكانة التي كان الجزائريون يمنحونها للأرض فإنهم كانوا لا يزوجون أبنائهم لغير أبناء عموماتهم من نفس القبيلة حتى لا يذهب جزء من الميراث مع المرأة التي تزوج في قبيلة أخرى، وبالتالي تحول قطعة من الأرض الزراعية لصالح القبيلة التي ينتمي إليها الزوج، كما أنه كثيرا ما أدى انشغال الفلاح بالمحافظة على تركته بتحويل ميراث ابنائه إلى حبوس، ويعين ابنه الأكبر كحارس وكمستفيد من حق الانتفاع من هذا الحبوس.

كانت رغبة الفلاحين الجزائريين شديدة في الإبقاء على أراضيهم بين أفراد عائلاتهم، ويعتبرون انتقالها إلى عائلات بعيدة أو إلى أجنبي عارا ومهانة.

اعتبرت فرنسا موقف جمعية العلماء من الأحباس بمثابة إنذار وجهه إليها، -لأنه يتهمها ضمينا باختراق تعهداتها لسنة 1830 - وممس بقاعدة الملكية الاستعمارية في الجزائر<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> Michel LAUNAY, Op cit, p. 149.



مثل هذا الموقف لا يدع أمامنا مجالا للشك في مقاومة الجمعية لعملية انصباب فرنسا للأراضي بطريقة لا شرعية، ثم توزيعها على الكولون.

وبعد حوادث 08 ماي 1945 انتقل اهتمام الجمعية من المدينة إلى الريف، ونشهد على ذلك بتنظيم المدعو بن دردور للجمعية في مشرف بوعصار يوم 15 فبراير 1947 حضرها أعيان المنطقة الذين كان من بينهم السائق بن نارة محمد، سيع علي بن بلقاسم، قلمامان مسعود، إمام المسجد لبراق محمد، بوجام محمد، بوزراع سعد، بيذا بلقاسم، بوزراع خضر.

وحاول السيد بن دردور أن يقنع الفلاحين إذا ما أرادوا الخروج من التخلف والحصول على استقلالهم وحرثهم الاقتداء بسوريا، ودعاهم إلى الرفع من مستواهم العلمي، وتعليم أبنائهم اللغة العربية، ويرى أنهم بأن ذلك لن يتأتى لهم إلا ببناء مدارس حرة<sup>(1)</sup>.

يلو أن نشاط الجمعية داخل الأرياف قد كانت له ثماره، حيث أشارت تقارير الدرك الاستعماري أن السيد بن عوراق (قائد سابق)

(1) - C.A.O.M - G.G.A. Carton 9 H / 51. (Secret. Rapport de capitaine Rouchaud commandant la section de gendarmerie de Batna sur des renseignements divers, Batna le: 06/03/1947).

وبن بولعيد قد قاما بجولة عبر قبلي التوابة وبني يوسفمان وجعا مبالغ مالية هامة لتوظيفها في بناء مدرسة بأريس.

وأشار نفس التقرير بأن السيد عوراق قد تعدى نشاطه جمع الأموال لبناء مسجد إلى البحث عن تشكيل جمعية نقابية تتألف من أعضاء الجماعة تدافع عن حقوق الفلاحين<sup>(1)</sup>.

وفي هذه المواقف رد قاطع على الذين يتهمون الجمعية بالعزوف والاستكاف.

المؤتمر الإسلامي (الأحد 07 جوان 1936)

تلخصت مطالب المؤتمر الإسلامي الأول الذي انعقد بقاعة سينما «لوماجستيك» (Le Magestic) - الأطلس حاليا - يوم 07 جوان 1936 تحت رئاسة الدكتور بن جلول بحضور موفد الجبهة الشعبية وأربعة آلاف مشارك، تتقدمهم وفود ممثلة للاتجاهات المختلفة للمتخيين وللأعيان، ومن بين الأسماء السياسية الجزائرية التي كانت في طليعة الحضور نذكر ممثلي العلماء والمتخيين من أمثال بن باديس، إبراهيمي، العقي، الأمين العمودي، الدكتور بن جلول، فرحات عباس، الدكتور سعدان، وبوكرنة، وممثلي التيار الاشتراكي والشيوعي.

بن بلعاج، بوشامة، بوقرط، إلى جانب شخصيات مستقلة؛ بينما سجل غياب ميصالي الحاج الذي حضر المؤتمر ممثلون عن حزبه<sup>(1)</sup>.  
ومن بين أهم المطالب الاقتصادية التي خرج بها المؤتمر:

• توزيع إعانات البوذية الجزائرية للفلاحة، والصناعة، والتجارة، والاعتراف على

الجميع، وعلى مقتضى الاحتياج بدون ميز بين الأجناس.

• تكوين جمعيات تعاونية فلاحية ومراكز لتعليم الفلاحين.

• الإقلاع عن انتزاع ملكية الأرض.

• توزيع الأراضي الشاسعة البور على صغار الفلاحين والعمال الفلاحين.

• إلغاء قانون الغاب<sup>(2)</sup>.

أما المؤتمر الإسلامي الثاني الذي انعقد في جويلية 1937 فقد تضمن برنامجا نفس المطالب المتعلقة بالأراضي الفلاحية، أضيف إليها مطلب اشتغل على وضع حدّ لعمليات اغتصاب الأراضي

<sup>(1)</sup> Charles André JULIEN, L'Afrique du Nord en marche, Paris 1953, p 131  
لشباب عدد من بالمؤتمر الإسلامي. الجزء 05 من المجلد 12، السنة 12، قسنطينة 1355  
هـ/1936-1937، ص 237

ومصادرتها<sup>(1)</sup> إلا أن شيئا لم يتحقق من هذه المطالب بسبب هيمنة الكولون على السياسة الفرنسية في الجزائر ومعارضتهم الشديدة لهذه المطالب لاعتقادهم أنّ تحقيقها يفسح المجال للجزائريين ويفتح أعينهم أمام مطالب أخرى.

وهكذا عادت وفود المؤتمر من باريس إلى الجزائر بخيبة الأمل دون تحقيق أغراضها، كما جاء في عرض الحال المقدم يوم 02 أوت 1936 باللعب البلدي للجزائر العاصمة أمام ألفي شخص بحضور ميصالي الحاج الناقم على المطالب الإدماجية والرافض لفكرة التجنس ومشروع بلوم فيوليت. إلا أن ما يمكن استخلاصه من مطالب المؤتمر هو تحمل المؤتمرين لمسؤولية الدفاع عن الجماهير الفلاحية الريفية الواسعة، وتقارب وجهات النظر بين جمعية العلماء ونجم شمال إفريقيا بشأن مطالب الفلاحين.

### موقف الحزب الشيوعي

نظم الحزب الشيوعي الجزائري مظاهرة في شهر فبراير 1934 شارك فيها الآلاف من الناس جابوا فيها شوارع الجزائر العاصمة، وكان

<sup>(1)</sup> M. KADDACHE et D. SARI, L'Algérie dans l'histoire, T05, Alger O.P.U. 1989, p 40



من بينهم 30 حتى 50 % من الجزائريين يشتدون الأممية، ويهتفون بحرية  
البريات بتقديم شخص يعمل راية خضراء يعلوها هلال (1)

وفي شهر أكتوبر من نفس السنة (1934) نشأ ميثاق جمع بين  
الاشتراكيين والشيوعيين من أجل تعبئة الجماهير الكادحة ( les masses  
laboureuses ) ضد قانون الأندمجين، والقوانين الاستثنائية، والمطالبة  
بالحقوق السياسية والثقافية، والدفاع عن الحريات الديمقراطية، وحرية  
الصحة والتجمع، وتطبيق القوانين الاجتماعية، وإعفاء الفلاحين  
القراء من الضرائب والكف عن مصادرة الأراضي الفلاحية (2)

وخلال يوم 30 ماي 1937 عقدت نقابة العمال الزراعيين بالعمدية  
(Perruquet) تجمعا بقاعة سينما «كوليزي» (Colisée) حضره مائتي فلاح  
من بينهم ثمانون فلاحا جزائريا، ذكر في المتدخلون بدور عمال  
الأرض، وردوا سب تردد اشتراك العمال في نقابات الفلاحين وعمال  
الأرض إلى خوف هؤلاء من مضايقات الكولون وأرباب العمل لهم  
كما وجه الخطاب دعوة إلى عمال الأرض للالتفاف حول الكونغرس  
العامة للعمال (C.G.T)

حتى لا يقطع الطريق أمامهم، ولألا يقعوا ضحية وعود المعمرين  
الكثافة، وانتهى التجمع بتقديم احتجاجات عمال الأرض، ورفع  
عذاض ضد قرار غلق محل بيع للمشروبات الكحولية في غيليزان (3)

ولفئ الغرض قرر الحزب الشيوعي الجزائري تنظيم «يوم  
فلاح» لصالح عمال الأرض في الجزائر العاصمة (4)

اعتبرت سلطات الاحتلال الفرنسي التجمعات التي دعا فيها  
المتدخلون عمال الأرض إلى التعاضد وإلى الانخراط في الفروع النقابية  
تحت مظلة «C.G.T» خطرا حقيقيا يهدد الكولون لأنهم يتنوا للعمال  
بان وسيلتهم المفضلة في التصدي لأرباب العمل والتخلص من ظلم  
الكولون في الانخراط في الفروع النقابية.

وفي مدينة وهران تم توزيع منشور خلال شهر يناير 1941 وردت  
فيه عبارات مثيرة حول معاناة الشعب الجزائري وفي مقدمته الفلاحون  
وعمال الأرض (5)

(1) F.A.D.M. - G.G.A. Carton 9 H41. Journée agricole - rapport du 31/05/1937

(2) Ibid. Journée agricole dans le dpt d'Alger.

(3) F.A.D.M. - G.G.A. Carton 9 H42. (tract: appel du parti communiste Janvier 1941)

(4) André NOUSCHI, «Le sens de certains chiffres. Croissance urbaine et vie  
rurale en Algérie 1926-1936» in Études Méditerranéennes T11, 1964, p 204  
(5) Ibid.

لما المطالب التي دفعها الحزب الشيوعي إلى إدارة الاحتلال وحرس على تحقيقها فهي نفس المطالب التي تكرّر ذكرها في الأعداد 63 و64 و65 من جريدة (L'Unité Algérienne) وتتمثل في:

• منح الفلاحين قروضا.  
• الانتهاء عن عملية الحجز والمصادرة لصالح الكولون.

• تقديم البذور للفلاحين.

• تلبية آجال تسديد القروض والضرائب.

• وضع حدّ لإساءة الإداريين وإهانتهم للفلاحين بالقرى.

• حق الرعي في أراضي الدومين والأراضي البلدية.

• إلغاء القانون الغايي (العقوبات الجماعية، الحراسة الفردية).

كما كان الحزب يرمي إلى تحقيق أهداف ثلاثة هي:

1- إنشاء لجان فلاحية محلية مشتركة للدفاع عن العمال.

2- عقد مؤتمر للفلاحين يجمع ممثلين عن كل اللجان.

3- خلق قدرات للفلاحين الجزائريين لتكون جبهة واحدة موحدة تتولى الدفاع عن مصالح الطبقة الفلاحية<sup>1</sup>.

وفي المهرجان الذي نظمته الحزب الشيوعي الفرنسي بمدينة ميلدي بلعباس يوم 25 نوفمبر 1944 بحضور ألف ومائة شخص من بينهم أربع مائة فلاح جزائري أثار الخطباء في تدخلاتهم قضية تموين الفلاحين الجزائريين بالمعدات الفلاحية والبذور، وكشفوا عن الغبن الذي سلطه الكولون على العمال الفلاحين<sup>1</sup>.

وتبنى الحزب الشيوعي الجزائري في بيانته «الأرض لمن يخدمها» (La terre à ceux qui l'a travaille) من فلاحين وكولون صغار، وعمال فلاحين أهالي أو أوروبيين؛ وتحقيقا لهذا الشعار دعا إلى نزع الملكيات الأرضية من كبار الكولون ومنحها للعمال الفلاحين؛ وانتهى إلى شعار آخر يتناقض تماما مع أهداف أحزاب الحركة الوطنية ذات الاتجاه الثوري الاستقلالي وهو شعار «الوحدة بين الشعبين الجزائري والفرنسي» تحت لواء الحزبين الشيوعيين الجزائري والفرنسي<sup>2</sup> منددا بالإمبريالية.

وفي عام 1947 قام الحزب الشيوعي الجزائري بتنظيم حملة واسعة داخل الأرياف الجزائرية بحثا عن أنصار من الفلاحين؛ ففي دوار أولاد عبيدي أثار الشيوعيون قضية مراجعة فرنسا لوجودها في المغرب

(1) CAOM. G.G.A. Carton 9H/30 (activité politique d'inspiration Française).  
(2) CAOM. G.G.A. Carton 9H/51 (du manifeste du P.C. Algérien).



يتبين من خلال ما سبق عرضه بأن الأحزاب الوطنية على اختلاف اتجاهاتها وتنوع مشاربها قد أولت اهتماما بملكية الأراضي الفلاحية، ودافعت عن الفلاح الجزائري.

ففي حين نجد كلا من الأمير خالد وميصالي حاج يطالب صراحة بإعادة الأراضي للفلاحين الجزائريين، نرى فرحات عباس يطالب بتحسين وضعيتهم، بينما راح علماء الإصلاح في دعوتهم يؤكدون على مراجعة فرنسا لسياستها إزاء أراضي الحبوس، كما لعب الحزب الشيوعي أدوارا ذكية ومرنة استطاع من خلالها ربط علاقات مع نقابات العمال الفلاحين وساهم في النضال معهم بمودة ضد كبار الكولون.

وعلى ضوء مطالب الأحزاب الوطنية يتبين أنها كانت على كلمة واحدة، وأنها كانت متفقة مبدئيا على أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية كانت هي السبب الرئيسي في انتزاع الملكيات الأرضية من الفلاحين الجزائريين ومنحها للكولون، وهي السبب في مأساة الفلاح الجزائري.

ولسنا بحاجة إلى أكثر من ذلك للتدليل على موقفها الموحد من سياسة فرنسا إزاء الفلاحين الجزائريين.

#### المسألة الزراعية في الصحافة الوطنية (الأهلية).

اكتمالا لموضوع موقف الأحزاب الوطنية من الصراع بين الجزائريين والكولون حول ملكية الأرض أضفى من المقيد مراجعة

وتونس، وإن قرأنا سبب منع المغرب الأراضي التي استولت عليها إسرائيل، وفي دوار تاجوت قرر انصار الحزب الشيوعي دعوة عمار أوقاف لزيارة دوارهم، مما يدل أن الشيوعيين قد نجحوا نسييا في اختراق الأرياف الجزائرية<sup>(1)</sup> إلى أن تمكنوا من بسط نفوذهم بقوة خلال عامي 1953-1954 في داخل الأرياف الجزائرية بمجهرات تلمسان، وسيدي بلعباس، وقسنطين، وعين مليلة، كما استطاعوا مدّ نشاطهم حتى الخطاب العليا بين الصفراء<sup>(2)</sup>.

ويقدر سليمان الشيخ في كتابه «الثورة الجزائرية» عدد الفلاحين المتخطفين في الحزب الشيوعي الجزائري بـ 500 حتى 600 بضواحي تلمسان لوحدها وذلك خلال سنة 1955<sup>(3)</sup> وقد استجاب الفلاحين الجزائريين ممن تولوا مسؤوليات في الحزب الشيوعي في نوفمبر 1954، ومن هؤلاء السادة عمري الطاهر من تلمسان، وموسى من سيدي بلعباس، وكلاهما كان عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> Ibid. (Secret. Rapport du capitaine Roussel commandant la zone de gendarmerie de Batna sur les renseignements divers Batna le 14/10/1957).

<sup>(2)</sup> M<sup>re</sup> TEGULA, L'Algérie en Guerre Alger O.F.U. (S.D.) p. 276.

<sup>(3)</sup> Slimane CHIKH, L'Algérie en Armes ou le temps des institutions Alger 1954.

1981, p. 51.

<sup>(4)</sup> Mohamed TEGULA, Op cit, p p 276-277.

الصحافة الوطنية لاستخلاص بعض ما ورد في مقالاتها من أفكار واحتجاجات ومواقف، إلا أنه بالنظر لصعوبة القيام بعملية مسح شامل للمصادر الصحفية الوطنية واستخراج المقالات المتصلة بموضوع البحث منها، فإنه تجاوزاً لهذه العقبة، وقع الاختصار في هذا العرض الجزير بالاستناد إلى بعض المقالات دون أخرى، بالتركيز على المقالات الصادرة في جريدة الحق العناية (Elhack) والمتخب (El Moukhabalat) والشهاب، والإقدام (L'Idkam).

صرح أحد المتصرفين الإداريين في عام 1912 قائلاً «بعد إخراج الفلاحين الجزائريين من أراضيهم وحشرهم بعيداً عنها في جهات أخرى لم نعد نسمع سوى عبارة متى نعاد إلبنا أراضيها»<sup>(1)</sup>

وأمام الوضع المزري للفلاحين الجزائريين لم يبق من سبيل أمام الصحف التي جازف أصحابها بأنفسهم سوى الكتابة عن المآسي التي لحقت بالمنعم الجزائري والتشديد بالسياسة العقارية الفرنسية في الجزائر هنية بالفلاح الجزائري الذي بذل أقصى جهده لتحسين إنتاجه والخروج من وضعه.

وهكذا أولت جريدة الحق في سنة 1894 عناية كبرى بالأراضي الفلاحية، وكشفت عن مؤامرات اليهود والمرايين والمعمرين للاستيلاء

(1) Mahfoud KADDACHE: histoire du Nationalisme Algérien, 1919-1951, T01 Alger: S.N.E.D, 1980, p 15

عليها وكسرت جهداً حريصاً على الدفاع عن ممتلكات الأهالي من أرض وعقار<sup>(1)</sup>

كلما اندلعت ثورة ضد الوجود الفرنسي في الجزائر اتبعتها إدارة الاحتلال بعمليات حجز ومصادرة لأموال الثائرين.

وفي أعقاب المصادرات الواسعة التي مست الأراضي الجماعية والقرية للقبائل وللأشخاص الذين شاركوا المقراني في ثورته ضد فرنسا سنة 1871 حجزت فرنسا من الثوار 725.840 هكتار من الأراضي الزراعية، ورحلت 181 قبيلة، وهو الأمر الذي حول مليونين من السكان إلى الفقر ودفع بالكثير منهم إلى الهجرة<sup>(2)</sup>

وتوالي عمليات المصادرة شنت صحيفة المتخب في 1882 وجريدة الحق في 1894 حملة ضد عمليات الحجز والمصادرة<sup>(3)</sup> حيث عارضت الجريدتان في مقالاتهما مبالغة فرنسا في مصادرتها للأراضي الفلاحية من الجزائريين وطردتهم منها، وبرعت الجريدتان في الكشف عن نتائج الاستمرار في عملية الحجز والمصادرة.

معد لناصر. المقالة الصحفية الجزائرية من 1903 إلى 1931، المجلد 02، الجزائر: شون، 1978، ص ص 273-274.

(2) HADDADEN Zahir- Histoire de la presse indigène en Algérie des origines jusqu'en 1930, Alger: 1983, pp. 107-108

(3) Ibid, p108



كما أدى التطبيق الخاطئ للقانونين العقاريين لسنة 1873 ومن  
1887 جريدة المنتخب في سنة 1890 إلى الاحتجاج على إنشاء الملكية  
الخاصة التي أقرها القانونان المذكوران أعلاه.

وبدورها انتقدت جريدة الحق بشدة تجاوزات إدارة الاحتلال عند  
تطبيقها للقانونين. والمقال الذي نشرته في يوم 21 يناير 1884 والذي  
اقتضاه صاحبه بعبارة «أين أراضينا التي يراها الناظر على مد البصر، أين  
قصورنا المشيدة؟ أين مساعينا (يريد بها أغنامنا)؟» تعد شاهدا حيا على  
عناية هذه الجريدة بالأراضي الفلاحية.

لما زيد بن ذباب فقد كتب مقالات تحت العناوين  
التالية: «اليس بنوح دائما» (La misère - gémit toujours)، «هذا  
حق» (c'est notre droit)، «هذا كثير، للصبر حدود، فهل من عدالة  
للمغلوبين» (c'en était trop, la patience à des bornes, n'y a-t-il pas une  
justice pour les vaincus).

وهذه المقالات المثيرة تكون جريدة الحق قد لفتت نظر الرأي العام  
الفرنسي والجزائري إلى ظاهرة الفقر الخطيرة التي تولدت بفعل عمليات  
المصادرة والحجز، وراح ضحيتها الملايين من الجزائريين، وهي مقالات  
تعمل في طبائنها تحريضا للأهالي على المطالبة بحقوقهم، وتذكر فرنسا  
بليائها لبادئ العدالة والحرية التي جاءت بها الثورة الفرنسية (1789).

وتحمل الإدارة الاستعمارية الفرنسية مسؤولية جسيم الفقر الذي أصاب  
الجزائريين.

وبينما نشرت جريدة المنتخب في عددها 23 (سبتمبر 1882)  
شكوى جماعية لسكان قج مزالة ضد القايد الذي كان يفرض على  
السكان القيام بأعمال التوزيع لصالحه؛ فإن العدد 24 من نفس الجريدة  
نشر شكوى تقدم بها أعيان بسكرة ضد رئيس ديوان المحكمة، كما  
نشرت الجريدة احتجاجات موجهة ضد المتصرفين الإداريين وروساء  
بلديات المراكز الاستيطانية<sup>(1)</sup>.

وأمام الفضائح التي كشفت عنها جريدة الحق تدخل عامل عمالة  
الجزائر العاصمة في شهر مارس 1894 وأصدر أمرا بإيقاف رئيس بلدية  
«أورليان قبل» (الشلف حاليا) السيد «م. فوريي»  
(M. FOURRIER) لمدة ثلاثة أشهر بتهمة تجريد ثلاثة آلاف من الأهالي  
من أراضيهم الفلاحية<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> IHADDADEN Zahir. Op. cit, p 115

<sup>(2)</sup> Ibid. d'après le Journal El Hack du 25/03/1895



كما نشرت جريدة المغرب مقالا لعبد القادر المجاوي في سنة 1903  
يتضح فيه الفلاح الجزائري بتطوير زراعته وتحسين إنتاجه ومزاولة  
الإنتاج الأجنبي<sup>(1)</sup>

وعن طريق الإقدام أسمع الأمير خالد فرنسا صيحات الفلاحين  
الجزائريين وأثارتهم، ففي مقال له نشر عام 1921 نجده يتحدث عن  
المجاعات، وعن عمليات الإغتصاب الكبرى التي تعرضت لها الأراضي  
الجزائرية، وكيف تحول الفلاحون الجزائريون من أسياذ على أراضيهم  
إلى خاسرين وخدم، يتقاضون أجورا زهيدة لا تسد رمقهم، تتراوح بين  
فرنك واحد و 01,50 فرنك مقابل 12 ساعة من العمل - فيما بين  
1870 - 1914 - ليرتفع هذا الأجر إلى 08 فرنكات في اليوم الواحد بعد  
الحرب العالمية الأولى، وهذا في الوقت الذي بلغ فيه سعر القطار  
الواحد من الحبوب 250 فرنكا.

وبهذا الشكل تكون الإقدام قد اتخذت المبادرة للكفاح ضد  
المجاعات السائدة في الوسط الريفي الجزائري، وبادرت أيضا عن  
طريق اللجنة الجزائرية لإنقاذ الأهالي Comité Algérien de Secours  
(aux indigènes) بجمع أموال وإعادة توزيعها على الفلاحين الفقراء، كما  
كشفت هذه الجريدة عن فضائح الاستيطان الرسمي.

معنى هذا أن الإقدام دافعت حقا عن الأهالي، واهتمت  
بالأراضي الفلاحية التي انتزعتها فرنسا من الفلاحين الجزائريين، وأنها  
غير راضية وغير مقتنعة بسياسة فرنسا تجاه الأهالي.

وماجت هذه الجريدة عائلة سايب بالأصنام على سوء تصرفها  
مع فلاحى المنطقة، وكشفت عن سلوكات القايد براهيمى لخضر الذي  
كان يمتلك 5.000 هكتار من الأراضي الفلاحية<sup>(1)</sup> وعن الباش آغا  
ندير الذي كان يستأجر ب 4.600 هكتار في قبيلة سيدي إبراهيم بنواحي  
برسعادة، وذكرت بأن هذه الأراضي قد جلبت له أكثر من عشرة  
ملايين فرنك بعد مدة عشر سنوات من استيلائه عليها<sup>(2)</sup>.

كما توجه الأمير خالد إلى الحاكم العام للجزائر برسائل مفتوحة  
عبر له فيها عن المجاعة التي حلت بالشعب الجزائري بسبب اغتصاب  
فرنسا لأخصب الأراضي الفلاحية من أصحابها.

وهكذا نلاحظ بأن الإقدام قد دخلت في حرب مفتوحة مع  
الاستعمار وأشهرت أقلام كتابها في وجه الكولون.

وفي رد له على مقالات نشرتها جريدة «صدى الجزائر» (Echo  
d'Alger) حول الغابات، كتب الأمير خالد مقالا في جريدة الإقدام

(1) 15/07/1921) Histoire du Nationalisme Algérien T I, p 102. (cité par l'Ikdam du

(2) Ibid. (cité par l'Ikdam. du 12/08/1921)

(1) Mahfoud KADDACHE. L'Emir KHALED, Alger O.P.U., 1987, p 55



تحت عنوان «الواقع الجزائري» (La Réalité Algérienne) ضمنه مسألة طرد الجزائريين من أراضيهم، والقانون الغامبي المقيت (L'odieux code forestier) ذكر فيه بأن غالبية الجزائريين رعاة، وأنهم تعودوا ذلك قبل الاحتلال، وأنهم في حالة الجفاف كانوا يلجأون إلى الغابات التي كانت تنظم مساحات شاسعة، وبعد عمليات الطرد التي تعرض لها الأهالي في إقليم التل، وجد هؤلاء أنفسهم محصورين بين ملكيات الكولون وغابات الدولة، وحيث ما توجهوا وجدوا محاضر الضبط (Procès Verbaux) غمر فوق رؤوسهم<sup>(1)</sup>، ونتيجة للتغريم المستمر، والإجراءات العقابية المتتالية التي فرضها قانون الغابات الجائر أصاب الدمار الكثير من الأسر، كما زاد الجفاف الدائم الذي تشهده مناطق الجنوب الجزائري من حدة بؤس الأهالي. واختتم الأمير خالد مقاله بلمعة وتشجيع القانون الغامبي، ودعا إلى تعديله كلية لما نتج عنه من انعكاسات سلبية على تربية المواشي<sup>(2)</sup>.

وفي مقال آخر نشرته له جريدة الإقدام برا الأمير خالد نف قائلا فله يشهد بأنني لست من الذين يبحثون عن التشريفات النبوية، وأجهت السياسة وكافحت داخل المجالس المنتخبة بكل ما أوتيت من قوة عن المصائب التي لحقت بإخواني في الدين. وأشار في هذا المقال إلى

(1) Mahfoud KADDACHE, L'Emir KHALED, Alger, op. cit, p 158

(2) Ibid.

إمكانية إحصاء امتيازات الأوربيين التي يتولى المتخبون الأوروبيون الدفاع عنها، وهي الامتيازات التي تحصلوا عليها مجاناً وبأنفس الأثمان بعد أن فروا من البؤس الذي لحق بهم في بلدهم، وألقى اللوم على إدارة الاحتلال التي دعمت الكولون مادياً ومعنوياً وجلبت لهم الاعتبار والاحترام وجعلت منهم أسيادا على الأراضي المنتزعة من الأهالي<sup>(1)</sup>.

ويستشف مما سبق بأن جريدة الإقدام كانت شديدة الاهتمام بالمسألة الزراعية ويكفيها دليلاً من خلال نشرها لمقالات الأمير خالد بأنها ناهضت الكولون ودافعت بقوة عن حقوق الجزائريين.

ومع أن المسألة الزراعية لم تظهر صراحة في برنامج الأمير خالد سنة 1919، فإن المقالات التي نشرتها له جريدة الإقدام تكشف بكل وضوح عن مواقف هذا الرجل من الكولون، ومن الأراضي المغتصبة مما لا يترك مجالاً للتأويل، ونستدل بذلك عن فضحه للسياسة الفرنسية في هذا المجال، وكشفه عن الكيفية التي استولت بها فرنسا على الأراضي الزراعية الخصبة وتنديده بالاستيطان الرسمي، فذكر بأن ثروات المعمرين الطائفة لم تأت منهم من عمل المحارث والأدوات الفلاحية فقط بل من عرق جبين الفلاح الجزائري، وقارن بين دخل المعمرين الذين كانت

(1) Ibid. p 97. (d'après l'Ikdam du 26 Mars 1923).



أراضيهم تعد بالثلاثين وبنين أجور الفلاحين الأهالي التي كانت تتراوح بين 02 و 04 فرنكات في اليوم<sup>(1)</sup>

لم يكن الحديث بهذه اللهجة، وفي هذه الظروف بالذات تعدنا صرخا للإدارة الاستعمارية وتجاوزا للحدود؟

أما عبد الحفيظ بن الهاشمي، فإنه توجه في سنة 1926 بالكلام إلى الأهالي يحذرهم من مغبة الاستمرار في بيع أراضيهم للأوربيين، وكأنه في أثناء تعرضه لأسباب انتقال الأراضي من أيدي الجزائريين إلى أيدي الكولون كان يلقي اللوم على الفلاح الجزائري الذي لم يسع لتطوير مستواه الذاتي، حيث رد أسباب تخلي الجزائريين عن أراضيهم إلى عوامل أربعة:

1- عدم إتقان الأساليب الفلاحية الكفيلة بالخصب العظيم.

2- عدم ثبات النشء الجديد، وعدم تبصره بالعواقب حين يعتمد على بيع أرض خلقها له والده.

3- استغلال الخصومات بين الأهالي مما يضطر المتخاصمين لبيع الأرض لسداد مصاريف الخصامة.

<sup>(1)</sup> Mahfoud KADDACHE, L'Emir KHALED, Alger, op. cit. p. 29

4- القانون الأهلي الذي حجر مشاركة الأهالي في مساومة الأراضي الناعسة بدعوى أن الأهلي كسول لا يعمل، فغيره بها أولى<sup>(1)</sup>

فمع أنه لم يصارح الأهالي في قوله بأن انتقال الأراضي إلى الكولون يعود في أساسه وجوهره إلى السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر خلافا للأمير خالد الذي جاهر بالقول أن سياسة الاستيطان الرسمي هي السبب في تحويل الأراضي إلى الكولون، وفي إفقار الشعب الجزائري، فإنه مع ذلك يكون قد فتح أعين النشء الجديد على خطورة ونتائج انتقال الأراضي الفلاحية إلى الكولون والتي حرّمهم قانون الأهالي من إعادة شرائها، شأنه في ذلك شأن الزاهري الذي صدر له مقال في جريدة البرق يردّ فيه تخلي الجزائريين عن أراضيهم إلى الأسباب التالية:

1- استيلاء الحكومة -الفرنسية- على أراضي الأحياس العامة بدعوى أنها هي التي ستؤتي إنفاق ريعها على المساجد والمدارس والمفتين، ثم أنعمت بها على الكولون.

2- التفرنج الأثم والمدنية الفاجرة التي فرضت على الجزائريين عبثة التبسط في الشهوات والملذات.

<sup>(1)</sup> محمد ناصر. المرجع السابق، ج : 02، ص 85



3- ما به الكولون على السنة المربطين والدراويش من الدعاية إلى الهجرة وترك البلاد للمحتلين<sup>(1)</sup>

معنى هذا أن الأراضي الجزائرية انتقلت إلى الكولون بفعل عوامل خارجية تسبب فيها الاستعمار، وعوامل ذاتية كان السبب فيها الجزائريون أنفسهم.

ومهما يكن من أمر فإن هذه المقالات لم تكن الغاية منها سوى تبصير الشعب الجزائري بالسياسة الاستعمارية الحاقدة، وبظلم الكولون وغايرهم، وبإخطاء الفلاحين الجزائريين الذين باعوا أراضيهم للكولون، ولم يجتهدوا في الأخذ بأسباب التقدم الفلاحي.

ومن أهم القضايا التي عالجها الكتاب الإصلاحيون، وضعية الأراضي الفلاحية المنقصة، وما نجم عنها من آثار سيئة على المجتمع الجزائري؛ فانتقدوا الأساليب الاستعمارية وكشفوا عن الظلم الذي سلطه الكولون على الفلاحين الجزائريين، ولم يكونوا مفتتين فقط بالصراع مع الطرق الصوفية والزوايا.

ونورد لكم فيما يلي نماذج من المقالات التي كتبت في جريد الشهاب؛ فمع قلنا فإنها تدلنا على دخول هذه الجريدة معترك الصراع

مع الاستعمار الفرنسي حول ملكية الأراضي؛ منها مقال جاء فيه :  
أريد عدلا في عمارة الأرض حتى لا نرى الأرض تزرع من قوم  
ونعطي لآخرين، وحتى لا نرى إيثارا في منح الأراضي لقوم على قوم،  
وحتى لا نرى القروض الفلاحية تنقتر على الفلاح الأهلي الضعيف  
وتوسع على غيره القوي، كأنها تعمل في ذلك بفلسفة تسمين السمين  
وتهزيل الهزيل<sup>(1)</sup>

يستخلص من هذا النص بأن جريدة الشهاب كانت تهتم  
بموضوع الأراضي الفلاحية وبالحالة الأليمة للفلاح الجزائري، ورمت  
إدارة الاحتلال بالتخلي عن مبادئ العدل والمساواة وسلوكها لسياسة  
عنصرية إزاء الأهالي بإيثارها للأوروبيين فيما يخص توزيع الأراضي  
الفلاحية ومنح القروض والمساعدات المالية لهم دون غيرهم من  
الأهالي، وكان هذا المقال يحث الإدارة الاستعمارية على الحد من  
سياستها العنصرية تجاه الفلاحين الجزائريين.

كما أوردت قولاً ينسب إلى الحاكم العام مقاده «أن عدد الأهالي  
بالجزائر خمسة ملايين منهم ما ينوف على الأربعة ملايين يشبهون رجال  
القرن الحادي عشر، وثمان مائة ألف أكثر تحضرا وعمدنا بقليل»<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> الشهاب، السنة الثانية، العدد 89، الخميس 25 رمضان 1344 هـ - قسنطينة: 1926/04/08.  
<sup>(2)</sup> الشهاب، السنة الثانية، العدد 89، الخميس 20 رمضان 1345 هـ، قسنطينة 1927/03/24.

<sup>(3)</sup> محمد نصر، المرجع السابق، ج: 02، ص 85. نقلا عن البرق العدد 21، المصادر  
في 1927/01/01.



يستط من هذا القول الذي شهد به المسؤول الأول عن الكولون في الجزائر، بأن الجزائري أصبحت حالته أشبه بحالة عبيد الأرض في القرون الوسطى كما عبر عنه بنفس الأسلوب فرحات عباس في كتابه ليل الاستعمار<sup>(1)</sup> ونشرت قولاً اقتبسته من الصحافة الفرنسية يؤكد ما صرح به كل من الحاكم العام للجزائر، والزعيم الجزائري فرحات عباس ورد فيه: «أن من بين الأربعة ملايين ونصف المليون الذين هم مسلمو الجزائر، أربعة ملايين نسمة لا يملكون شيئاً من الدنيا، بل هم جميعاً مزارعون وأجراء وعملة عند طبقة المستعمرين (الكولون)، وإن هذه الأربعة ملايين يتكفون بأجرتهم اليومية، وتراهم على أسوأ حال من العيشة»<sup>(2)</sup>

وإن اعتراض النواب الكولون على المعمر «كول» الذي باع أرضه لأحد الفلاحين الجزائريين، وتدخل قسم النيابات العربية دفاعاً عن مصلحة منويهم كتبت جريدة الشهاب مقالاً تحت عنوان: «نزع الأراضي من أربابها للاستعمار: موقف نوابنا تجاهه، وعود جميلة لسر الوالي العام» ضمنته العبارة التالية: «إن عصر نزع الأملاك لفائدة الاستعمار قد انقضى»<sup>(3)</sup> وقدمت شكرها لنواب الأمة الذين قاموا

<sup>(1)</sup> FERHAT Abbas, Op. cit, p 141.

<sup>(2)</sup> الشهاب، العدد السابق

<sup>(3)</sup> الشهاب، العدد الرابع للعدد 154، قسطنطينة الخميس 17 محرم 1347 هـ / 1928/07/05، ص 2

بواجبهم نحو هذه المسألة الهامة خير قيام، كما شكرت سمو الوالي العام على حسن وعده بمراعاة جانب المسلمين في المستقبل، فيمنح للعرب الفلاحين قطعاً من الأرض<sup>(1)</sup>.

إن دل هذا على شيء فإنه يدل على اهتمام هذه الجريدة وحرصها على أن لا يتزع من الفلاحين شبر من الأرض مستقبلاً، وهذا ما يتفق مع مطلب النواب الجزائريين الداعي إلى الإقلاع بصفة نهائية عن انتزاع الأراضي الفلاحية لمصلحة الاستعمار<sup>(2)</sup>.

وردت الشهاب على الذين وصموا الفلاح الجزائري بالكسل، وذكروا القراء بما كتبه بعض النواب الفرنسيين الذين زاروا الجزائر في 1922 للاطلاع على أحوالها، حيث خلصت تحقيقاتهم أن من الأربعة ملايين ونصف مليون الذين هم مسلمو الجزائر، أربعة ملايين فقراء لا يملكون شروى نقيراً، بل جميعهم مزارعون وأجراء وعملة عند المعمرين ويتكفون بأجرهم اليومي، وهم زيادة على موت 80 ٪ من أطفالهم من سوء الغذاء على سوء حال، ولعل هذا البيان كاف في التدليل على

<sup>(1)</sup> نفسه.

<sup>(2)</sup> الشهاب، العدد السابق



استعداد الأهالي، وعلى أن ضحك العيش هو العائق الأكبر، وعلى أن  
المعبر لولاجد الأهلي وعمله ما استثمر أراضيه<sup>(1)</sup>.

وتحت عنوان «العامل الأهلي يملأ بمجهوده خزائن غيره،  
ويتصور جوعا فهل من عاطف عليه؟» كتبت جريدة الشهاب مقالا  
لخصت فيه ما يقاسيه العامل الأهلي من إجحاف المعمرين لحقوق  
وسدع أبواب الرزق في وجهه، وتقييد ساعات العمل اليومي إلى  
إحدى عشرة ساعة قسرا عليه، ولأطرد، وأجرته اليومية تتراوح من  
ثمانى إلى عشر فرنكات، وأقصى ما تنتهي إليه خمسة عشر فرنكات<sup>(2)</sup>.

وطالعتا هذه الجريدة على نص الخطاب الذي ألقاه الشيخ  
البشير الإبراهيمي في 07 رمضان 1348 هـ بتادي الترقى والذي قال فيه  
«الذي تقتضيه الحكمة الهادئة لنحفظ أنفسنا من هذه المزاومة هو  
تأسيس شركات التعاون بين الفلاحين وشركات التعاون بين التجار  
لتقي الصغار من الجانبين شر تحكم الأجانب في أملاكهم ومجهوداتهم  
ثم تأسيس مصارف مالية صغيرة تكون واسطة بين الجميع، وتكون  
بذلك مستودعا للأموال المخزونة المعطلة، ومرجعا لصناديق التوفير  
والاحتياط».

<sup>1</sup> الشهاب السنة 04، العدد 170، قسنطينة جمادى الأولى 1347 هـ -  
1928/11/01، ص 12.

وبهذا المقال تكون الشهاب قد ضربت لنا مثالا عن عرض  
العلماء الجزائريين المصلحين لحظة اجتماعية - اقتصادية على  
الفلاحين الجزائريين يزاحمون بها الكولون، وذلك بتأسيس شركات  
تدخّر الأموال لحين الحاجة، ليتم توزيعها على الفلاحين الجزائريين  
المحتاجين وعلى التجار.

يبدو واضحا من خلال نشر الشهاب لمثل هذه المقالات أنها  
كانت حريصة على نهضة الفلاحين ورفيهم.

وفي مقال مطول نشرت الشهاب الأسئلة التي وجهها السيد  
«بارت» النائب بمجلس الأمة لوزير الداخلية الفرنسي حول أجور  
العمال الفلاحين، وساعات العمل اليومي، والضمانات التي يتمتع بها  
العمال الفلاحون في الجزائر، وكذلك ردّ وزير الداخلية عليها وهي  
أسئلة محرّجة، كان ردّ الوزير عليها، أن ليس للعمال الفلاحين بالجزائر  
أي حدّ لساعات العمل وذلك مثل فرنسا تماما، وأن العمال الأهالي  
والفرنسيين يطبق عليهم نفس قانون حوادث الشغل، وأن الإدارة  
الجزائرية تدرس الآن كيفية تطبيق قانون الضمانات الاجتماعية على  
العمال الجزائريين<sup>1</sup> وبمثل هذه الطريقة تكون الشهاب قد كشفت  
النقاب عن مراوغات وزير الداخلية لنائب مجلس الأمة وفضحت نفاق

<sup>1</sup> الشهاب، السنة 09، شعبان 1351 هـ -

إدارة الاحتلال الفرنسي وأكاذيبها، لأن عمال الأرض في الجزائر لم يكونوا يوما ما يعاملون بنفس الطريقة التي يعامل بها أقرانهم في الوطن الأم - فرنسا لا من حيث ساعات العمل ولا من حيث الأجور ولا من حيث الضمانات الاجتماعية.

ولتقيم عليه الحجة الدامغة كتبت الشهاب تقول يسرنا أن نعلن ما وعد به وزير الداخلية الفرنسي ونذيعه راجين للولاية العامة التمسك به في المستقبل، وأن هذا التصريح إذا دام العمل به يكون من أحسن الآثار الطبية التي تركها «م. كارد» الوالي الحالي للجزائر يذكره به بعد أبناءنا أطيب الذكر<sup>(1)</sup>.

كما نشرت تقريرا للسيد حميدة بن باديس الذي كان نائبا لدى عمالة قسنطينة والذي تحدث فيه عن نزول الفقر بالجزائريين وسوء حالهم بسبب انتزاع الأرض منهم، وعدم قدرتهم على مفارقتها والرضى بالبقاء فيها بالكراء العالي الذي يوقعهم في ضعف الحال وذهاب المال، وذلك أن كثيرا من الكولون يأخذون الأرض ولا يقدرون على خدمتها والقيام بها وتحصيل الفائدة منها، يؤول أمرهم إلى كراهتها للعرب بالسعر الذي لا يقدر المكثري على تحصيله وتحصيل معاشه والمقرم اللازم له<sup>(2)</sup>.

لقد كان طبيعيا أن تعنى الصحافة الوطنية بمشكلات عمال الأرض والفلاحين الجزائريين الصغار، لأن غالبية الجزائريين (4/5) كانوا فلاحين، ملاكي أراضي دفعت بهم إدارة الاحتلال الفرنسي بالنحول إلى فقراء غرباء في بلادهم وجائعين بعد أن انتزعت منهم أراضيهم الفلاحية والرعوية.



على الرغم من مراعاة الحركة الوطنية للمسألة الزراعية في برامجها الحزبية، وتكريس ماضئها لجهود معتبرة دفاعا عن ممتلكات الأهالي، وإثارتها لمطلب استعادة الأراضي الفلاحية والرعوية، ومناهضة انتهاكات القانون الغامبي، فإن الواقع يؤكد إخفاقها وعجزها في تحقيق مطلب استعادة الأرض لأصحابها الشرعيين.

لما الصحافة الوطنية فقد اهتمت في مقالاتها بمشكلات الفلاح الجزائري ومآله، وكشفت للرأي العام والخاص عن العوامل التي تسببت في ضياع الأراضي الجزائرية وانتقالها من أيدي الفلاحين الجزائريين إلى المعمرين والكولون، ولعبت دورها في التكوين الفكري والسياسي للأهالي حتى يكونوا على بينة من أمرهم، ويستعدوا لذلك القيود عن أنفسهم.

## الفصل الخامس: نماذج من مقاومة الفلاحين الجزائريين للاستعمار الفرنسي في الجزائر (من جانباها الاقتصادي) (1830-1954)

### تمهيد

- دعم الفلاحين الجزائريين للأمير عبد القادر في مقاومته ضد

### الاحتلال الفرنسي

للجزائر (1830-1847)

- الصراع بين الفلاحين الجزائريين والكولون حول الأراضي الرعوية

- ضرب دعائم الاقتصاد الزراعي الاستعماري الفرنسي في الجزائر

- رد فعل سلطات الاحتلال من عمليات حرق الغابات وتخريب مزارع

### الكولون

- حماية المراكز الاستيطانية (بقوة القانون وقوة السلاح)

### خاتمة

ثبت أن الفلاحين الجزائريين لم يتحركوا حسب زعم الكتاب الفرنسيين بدافع الدين-التعصب- وحده، أو يشعرون إلا من أجل بطونهم الجائعة وأجسامهم العارية<sup>(1)</sup>، فالناريخ يشهد للجزائر بقوتها الاقتصادية في الحوض الغربي للمتوسط، وفي شمال أفريقيا؛ فالمقاومة كانت ترمي إلى تحرير الجزائر من الاستعمار وأعدائه في الداخل واستعادة مجد البلاد الاقتصادي.

ولما كان ثلاثة أرباع سكان الجزائر هم من أبناء الريف الذين ناصروا المقاومة وأيدوا الكفاح المسلح ووقفوا في الصف الأول للمواجهة مع الاستعمار، فإنه على هذا الأساس يمكن اعتبار المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي مقاومة فلاحين.

(1) في مقال نشرته له مجلة الأسماء بورد لنا الأستاذ يحي بوعزيز قائمة بأسماء الكتاب الفرنسيين الذين ادعوا في كتاباتهم أن الجزائريين لا يشعرون إلا عندما يشك عليهم القوم والوعى، والخصاصة؛ أما عندما تتحسن أحوالهم الاقتصادية وينمو ثراؤهم فإنهم يخلعون إلى الهدوء والسكينة ويرضون بحكم الأجانب، ومنهم الفرنسيون... أما الفكرة الوطنية فهي بعيدة عنهم ومن هؤلاء الكتاب في القرن 19: لويس رين، روبن، شاتولي، لسي، هيرسيون، بول أران، فونو، فورد، تروملي، لابسي، ماركون، هنري فارو، بيليسي، شارل ريشارد، أوجيستين برفارد، لاملان، بريوا، قورشودا، ومنهم في القرن 20 جوليان، لبرون، نوشي، برونان، لاكوست. (الأصالة، السنة 09: العدد 80/79-82/81، 1400 هـ-1380 م، ص 93).



وكان الفلاحون في السهول والجبال والمحاربون في ثيابهم الزر  
البالية، وسكان القبايل والقرى الذين جوعتهم الحرب وشنت شملهم  
طواير يجرى بجيونه باعتزاز على لسان شيوخهم «مهما أحرقت ومهما  
أنتقت عاصيتنا، وقطعت عنا القمح والشعير، وأعملت يد السلب  
والتهب في مطورتنا... فإننا سوف نحاربك عندما تدق ساعة  
الحرب. ولو كنا متعادلين في العدد واحد ضد واحد، أو عشرة ضد  
عشرة، أو مائة ضد مائة، أو ألف ضد ألف، لعرفت يومئذ بأننا لا نولي  
الأدبار أمام العدو»<sup>(1)</sup>

إن دولة الأمير عبد القادر كان إدارتها وقادة جيشها النظامي  
من سكان الريف ممن أخذوا تعليمهم الأول في الكتاتيب والزوايا  
وقتهم بالصحة وكمال الجسم جعل منهم محاربين أشداء على استعداد  
لحوض المعركة في أية لحظة

وبناء على قول «إميل دو كافيناك» (Emile de CAVAIGNAC)  
«إن العربي حريص كل الحرص على أرضه أكثر مما تصوره، والملكية  
الزراعية عند العرب قائمة على أسس ثابتة خلافا لما يعتقد البعض،  
وما أروجوا أن نستفيد منهم في هذا المجال، وإن الغارات العسكرية التي

ننشا عليها تصيبهم في أعز ما يملكون وهو الأرض»<sup>(1)</sup> يتبين بأن  
المقاومة انطلقت دفاعا عن الأرض المقتضية.

والأرض في نظر الجزائريين ملك مشترك للجميع، وعليه فإن  
الروح الجماعية التي تربط بين الفلاحين دفعتهم إلى أن يحاربوا من أجل  
الأرض، ومن أجل التراب الوطني بل من أجل البلاد بأسرها لأنها  
ملك مشترك للجميع.

ويكفينا دليلا ما كتبه الأستاذ مصطفى الأشرف نقلا عما شهد به  
القادة الفرنسيون على أنفسهم بأن الثورات الأولى التي خاضها  
الجزائريون ضد الاحتلال الفرنسي هي ثورات فلاحين حيث أشاد  
الدوق دورليان بالفلاحين قائلا «أن هؤلاء المناضلين الشجعان الحقوا  
بالفرنسيين من الأضرار ما لم تستطع قوات العدو الأخرى أن تلحقه بنا  
وهم بذلك يشبهون الكوزاك (الجيش الروسي غير النظامي)... ويضيف  
قائلا «أن الفلاحين في ناحية حجوط حرمونا من النوم لأنهم أجبرونا  
على أن نظل دائما في حالة استنفار»<sup>(2)</sup>.

وإن كان بعض الفلاحين قد اختاروا طريق الهجرة إلى المدينة بحثا  
عن العمل بعد التخلي عن أراضيهم أو بيعها للكلولون، فإن آخرين

<sup>(1)</sup> مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 87.  
<sup>(2)</sup> نفسه، ص 88.

<sup>(1)</sup> مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 63.

دعم الفلاحين الجزائريين للأمير عبد القادر في مقاومته ضد  
الاحتلال الفرنسي للجزائر (1832-1847)

لقد ظل الفلاحون يحتلون الريادة في حركة التحرير الوطني التي  
بدأت مع المقاومة الأولى التي تزعمها الأمير عبد القادر ضد الاحتلال  
الفرنسي -بكونه واحدا من أبناء الريف- اعتمد على جيش قوامه  
الفلاحون، حيث وضع الفلاحون أنفسهم كقوات احتياطية تحت تصرفه  
إيام الحرب لاعتبارهم الدود عن الأرض واجبا مقدسا قدسية الدين،  
وحفظ العرض والشرف، لأن المساس بالملكيات الأرضية لديهم هو  
ساس بالكرامة وانتهاك للعرض. ولم تمنعهم الحرب عن مبارحة  
أراضيهم التي يتوقدون نارا ويتحرقون إلى العودة إليها، إذ أنهم كانوا  
يمبرون على العودة لإتمام عمليات الحرث أو الحصاد، ويشهد التاريخ  
لفلاحهم قبليتي الغرابة والحشم أنهم كانوا يتركون وظيفتهم الزراعية  
صفة مؤقتة للمشاركة في الحرب ونيل فضل الجهاد، ويجمع الكتاب  
الجزائريون المهتمون بتاريخ الحركة الوطنية وثورة أول وفمبر 1954 بأن

منهم فضلوا الهجرة إلى الخارج لاعتبارها في نظرهم غمطا من النضال  
والمقاومة السلبية ضد الاستغلال والسيطرة، أما فريق ثالث من سكان  
الأرياف فإنه صمم على البقاء والمقاومة، ورأى في الثورة على  
الاستعمار سبيلا وحيدا للتخلص من حقد الكولون وظلمهم، وقد  
تجسد هذا النوع من المقاومة في الانتفاضات والثورات الشعبية المتتالية،  
وفي رفض الفلاحين لدفع الضرائب، وطرحهم لثقافة المستعمر،  
والامتناع عن التجنيد في صفوف الجيش الاستعماري<sup>(1)</sup>.

إن السياسة التي أدت إلى رخاء ثلثة من الكولون على حساب  
معاناة السكان وإفقارهم تسببت في ردود فعل عنيفة ضد المنشآت  
الزراعية الاستعمارية كما سترى لاحقا، ولقد عبر الكاتب الجزائري  
مصطفى الأشرف عن هذه الوضعية بقوله «أنه قل ما نجد في أرجاء العالم  
بشرا في مثل تلك الحالة من البؤس والشقاء يعيشون بجوار ذلك الثراء  
الفاحش الذي يتمتع به الأجانب... وبما أن الفلاحين هم ضحايا هذه  
الحالة فإن الفضل يرجع إليهم في إعطاء الثورة الجزائرية الانطلاقة  
الأولى وضمان الاستمرار والنصر لها»<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> AEK DJERLOUL. Eléments d'histoire culturelle Algérienne, Alger: ENAL  
1984 p83

<sup>(2)</sup> مصطفى الأشرف. المرجع السابق، ص 360



جميع الثورات التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي كانت ثورات فلاحين<sup>(1)</sup>

أنشأ الأمير بمدينة معسكر جيشا محترفا يتقاضى أفرادها أجرة. وبعض هذا الجيش بدعم المتطوعين من أبناء الفلاحين في حالة نشوب حرب، إلا أن المتطوعين من أبناء القبائل الطائفة للأمير (الغربة - الحشم - بني عامر) كانوا كثيرا ما يتخلون عن مواصلة العمل العسكري الطوعي، إما لأنهم اعتادوا على الحرية، وإما لإنجاز أعمالهم الزراعية أثناء مواسم الحرث والحصاد، الأمر الذي اضطر الأمير دمر القبائل إلى الاستمرار على إرسال

أعداد مديدة من الفرسان لتوضع رهن إشارته أثناء الحرب<sup>(1)</sup> هذا ما حدث بعد معركة المقطع (28 جوان 1835) حيث عاد المتطوعون إلى قبائلهم<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> من هؤلاء الكتائب فكر - سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج 02، ص 50-58. الجزائر: شروق، 1983.  
<sup>(2)</sup> مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع (مرجع سابق) ص ص: 64-68، 86-92، 116، 137.

- يحي بوعزيز، المقاومة في جبال الفوشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي

1864-1864، الأصل سنة 09، العدد 84 جويلية أوت 1980 ص ص 03-40  
<sup>(2)</sup> Ibid, p 91

وقد تلقى المستوطنون الأوروبيون صعوبات حالت دون إجرائهم لتجربة زراعة القطن في هضاب مستغانم ومزرغان بفعل مقاومة فلاحى المنطقة لهم، ولهذا طلب المراقب المالي الموفد من قبل سلطات الاحتلال التابعة نتائج التجارب الأولى لزراعة القطن في رسالة بعث بها إلى الحاكم العام للجزائر في 21 سبتمبر 1835 يشترط فيها فرض السلم والأمن في هذه المنطقة حتى يتسنى للكلولون تطوير زراعة القطن

وفي هذه الأثناء كان الفلاحون الجزائريون يحاصرون المدن الساحلية؛ (عنابة، الجزائر العاصمة، وهران) بمنعون عنها المؤن ويشعلون الحرائق في مزارع الكولون الفرنسيين القريبة، ومنها: قبيلة الغربة في منطقة وهران، حجوط في منطقة الجزائر، والقبائل المجاورة لمدينة عنابة<sup>(1)</sup>، حيث يقول الأستاذ سعد الله «هجمات أهل متيجة والحرائق التي أشعلوها في مزارع الفرنسيين القريبة من العاصمة لم تكن

(1) J. Manquene, l'Oranaie et ses richesses agricole, oran 1930, p 225.

سوى فصلا صغيرا امام الغزوة الساحقة التي لحقت بجيش الاحتلال في معركة المقطع<sup>(1)</sup>.

وفي الوقت الذي منعت فيه قبيلة الغزابة الخيالة التابعين لحماية وهران من قطع الأخشاب تراجع الجنرال بيجو عن فكرة دعمه لحماية تلمسان، وذلك عند بلوغه خبر اقتراب الأمير عبد القادر من مدينة وهران لحرق مزارع الحبوب التابعة لقبيلتي الدواوير والزمال<sup>(2)</sup>.

وقد اعتمد الفلاحون الجزائريون هذا الأسلوب من الحرب ردًا يائسًا على ما ارتكبه الفرنسيون من حرائق ضد مزارع الجزائريين، ونظرًا لخطورة تكتيك حرق المزارع غمى الأمير عبد القادر ألا تشوش الحرائق للعزلة على مفاوضات السلم مع بيجو<sup>(3)</sup>.

ويبدو من خلال الشرط الثاني والثالث وكذلك الشرط الثامن لمعاهدة الثافنة (1837/05/30) التي وقعها كل من الأمير عبد القادر والمرشال بيجو بأن المشكلات المتعلقة بملكية الأرض كانت تستأثر بتعصب وفيه في هذه المعاهدة<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 01، قسم 01، الجزائر: م. و. ك. 1992، ص 53.

<sup>(2)</sup> A.V. DINESEN. Op.cit, p 117.

<sup>(3)</sup> A.V. DINESEN. Op.cit, p 135.

<sup>(4)</sup> Ibid, pp 138-139.

إن اختراق كل من الطرفين الجزائري والفرنسي للمجالات الأرضية التي حددتها معاهدة الثافنة بين الأمير عبد القادر وبيجو تسبب في أكثر من مرة في الإساءة إلى السلم المبرم بينهما.

فقد تصدى الأمير عبد القادر للمارشال بيجو وهو يتنقل برًا من وهران إلى مستغانم، ورُدَّ على أعقابهِ من قبل رسول الأمير عبد القادر عند المقطع، وأبلغه بعدم جواز المرور في الممتلكات الأرضية لدولة الأمير عبد القادر -حاملًا سلاحه- وأن الأمير سوف لا يرد على القبائل العربية المحلية في حالة حدوث مكروه<sup>(1)</sup>.

بتين من خلال هذا الموقف بأن التركيز على ملكية الأرض بيد دولة الأمير وبيد أصحابها الشرعيين وفق ما نصت عليه شروط معاهدة الثافنة بشكل حلقة هامة في المخطط الاستراتيجي لدولة الأمير.

ومع أن المادة الأولى من معاهدة الثافنة تعترف لفرنسا بالسيادة على جزء من تراب الجزائر إلا أن الأمير عبد القادر ظل يتحاشى وباعتناء كبير كل صيغة وأية عبارة تورطه في مسألة الاعتراف لفرنسا أو

(1) Ibid, p 144.



لملكها بالسيادة على أرض الجزائر في مراسلاته مع الجنرال بيجو أو غيره من حكام فرنسا<sup>(1)</sup>. بحيث كان يستبدل عبارة الاعتراف بالسيادة بالقاظ مثل: حسن المعاملة (Bonneveillance) أو الصداقة (Amitié) أو التحالف (Alliance) لاعتبار أنها جميعها عبارات تظهر حسن الجوار لا غيره. ويبدو أن مثل هذه الصيغة تتم عن الرضا القطعي لمعاني وإبعاد المادة الأولى من نص معاهدة التافة التي تقرر لفرنسا بالنفوذ والسلطة على جزء من أرض الجزائر ليستقر فيه الكولون بصفة أبدية.

والرسالة التي بعث بها بيجو إلى وزير الحربية من مدينة وهران في 30 أكتوبر 1837 تؤكد تصميم بيجو الواضح على تجريد الجزائريين من حقوق ملكيتهم لأراضي بلادهم في المناطق التي أصبحت خاضعة لإشرافه وإدارته بمقتضى نص معاهدة تافة بصفة أبدية، حيث يقول: إن أودية المخزن التابعة لمستغام بإمكان محصولها أن يسد حاجات عشرين حتى ثلاثين ألف من الكولون، ويشير في نفس المراسلة بأن إنتاج الكروم يمكن الحصول عليه من منطقة حشم الدروق الواقعة جنوب مستغام<sup>(2)</sup>، خاصة وأن المادة 04 من هذه المعاهدة تقر بأن لا

<sup>(1)</sup> «Je remarque même dans sa correspondance, soit avec le général Bugeaud soit avec des tiers, Abdelkader évite soigneusement toute expression, toute locution qui implique l'aveu de la domination souveraine de la France ou du roi des Français» Georges Yver «de Ministre de la guerre à Valée, en date du 10/12/1837» in correspondance du maréchal Valée, Paris 1949, p 169.  
<sup>(2)</sup> Georges YVER Documents relatifs au traité de la Tafna, Alger: ancienne maison haitide, 1924, p 248

سلطة للأمير عبد القادر على المسلمين الراغبين في العيش بالأقاليم التابعة للإدارة الفرنسية، وبذلك يتسنى لفرنسا تكريس ملكيتها الدائمة والثابتة لتلك الأراضي التي لم يعد من حق الجزائريين استعادة حقهم فيها<sup>(1)</sup>.

والسؤال المطروح: ألم يكن الأمير عبد القادر بتوقيعه على معاهدتي دي ميشال (26 فبراير 1834) والتافة (30 ماي 1837) قد منح للفرنسيين حظا في الاستيطان غير مستحق؟ وهذا لاعتبار أن المعاهدتين أقرتا باحتلال قطعة من الأرض الجزائرية ووضعتا جزءا من شعبها تحت سلطة الاحتلال.

وينقض فرنسا لمعاهدة التافة عاد الصراع بين الفرنسيين والأمير عبد القادر إلى أشده، وتلبية لنداء الجهاد تحولت النتيجة إلى ميدان لمعارك طاحنة بين الفلاحين وجيش الاحتلال الفرنسي، ففي 21 نوفمبر 1839 هاجمت قبائل حجوط مزارع المعمرين، وحزّت رؤوس مائة منهم من بين الألف وخمس مائة المقيمين بمتيجة؛ وعلى الرغم من ذلك اعتصم الكولون في بوفاريك بمزارعهم ولم يتخلوا عنها؛ وفي عام 1840 أعاد الفلاحون الجزائريون الكرة عليهم فقتلوا اثنان وأربعين منهم واختطفوا أربعة عشر<sup>(2)</sup> بينما تذكر بعض الكتابات أنه على أعقاب الهجمات

<sup>(1)</sup> Ibid, p 527

<sup>(2)</sup> Pierre GOINARD, Algérie: l'œuvre Française, Paris 1984, p 335

التي تعرض لها الكولون في سهل متيجة عام 1839 وعودة الأمير عبد القادر إلى النشاط الحربي ضد قوات الاحتلال حطّم الكولون جميع الضيعات التي تم بناؤها<sup>(1)</sup>.

سواء غادر الكولون ضيعاتهم أم اعتصموا بها، فالذي يهمنا هو إصغار الفلاحين الجزائريين وتصميمهم على طرد المعمرين من أراضيهم وإتزانها منهم وإبطال حقهم فيها.

ففي عام 1840 قدر عدد الأوروبيين الذين قتلوا على يد الفلاحين الجزائريين بعشر المستوطنين المقيمين في بوقاريك وشرشال وفالي إبراهيم (على الأقل واحد من بين ثلاثة وثلاثين)<sup>(2)</sup> مما يدل على عنف مقاومة الفلاحين للاحتلال في هذه الجهة من الوطن؛ وقد وصف الاستعمار المقاوم فيها بالمغبرين والسرّاق والمرتكبين لأعمال النهب في حق الكولون لأنهم كانوا يأخذون الأشخاص والرووس البشرية كغنائم<sup>(3)</sup>.

وأمام المقاومة العنيفة وشدة ضربات الفلاحين أجبر الكولون المهاجرون إلى الجزائر إلى العودة، فمن ضمن 6.376 مهاجر أوروبي وصلوا إلى العاصمة سنة 1840 عاد إلى فرنسا 4.545 شخصا، ومن

ضمن 1.841 شخصا نزلوا بوهران عاد 1.506 شخصا، ومن بين 2.358 شخصا أوروبيا وصلوا إلى عنابة عاد منهم 2.084 شخصا كما حصّد الموت في وهران لوحدها 1.761 شخصا أوروبيا عام 1840<sup>(4)</sup>.

أخفى الفرنسيون في كتاباتهم عامل المقاومة وردّوا عودة المهاجرين الأوروبيين إلى أوروبا فيما بين 1830-1842 إلى عوامل اقتصادية تتمثل في افتقار الكولون إلى الموارد المادية والمالية الضرورية لإقامة المستوطنات الزراعية، ولم يتحدثوا إلا عارضا عن مقاومة الفلاحين الجزائريين للكولون الوافدين من أوروبا والمنبثين داخل الأرياف الجزائرية، ويظهر ذلك في إشاراتهم إلى وجوب توفير الحماية للكولون من اعتداءات اللصوص (les maraudeurs) ضمانة لاستقرارهم، وما لم يتحقق ذلك فإنهم يعودون إلى فرنسا يتسعين قنوطين من دون أن يظفروا بقطعة أرض زراعية واحدة<sup>(5)</sup>. وللحيلولة دون عودة الكولون إلى بلدانهم بأوروبا اشترطت إدارة الاحتلال إقامة المستوطنات الزراعية بالقرب من المدن التي تم إخضاعها أو بالقرب من الحاميات العسكرية، قصد توفير الحماية لها؛ كل هذا يوحى بوجود مقاومة أبداهها الفلاحون الجزائريون ضد تواجد الكولون فوق أراضيهم.

<sup>(1)</sup> ALBERTINI (E), MARCAIS (G), YVER (G). L'Afrique du nord Française dans l'histoire, Paris (S.D.), p. 301.

<sup>(2)</sup> Eugène BURET. Question d'Afrique, Paris 1842, p. 223.

<sup>(3)</sup> Ibid, p. 224.

<sup>(4)</sup> Ibid, p. 226.

<sup>(5)</sup> Eugène BURET. Op. cit, p. 226.



تلقى أصحابها عنها<sup>(1)</sup> واحتجاج بني خنيس مرة ثانية ردًا على القانون الغامبي الصادر في 12 جوان 1851 والذي من أجزاء من غابة بني خنيس، واحتجاج قبيلة أولاد سعيد مرة أخرى ضد قرار الماريشال راندون -وزير الحربية- القاضي بتحديد أراضيها وحجز ممتلكات الأحياس بها سنة 1856.

يستخلص من مقاومة الفلاحين للاحتلال في هذه المرحلة المبكرة من استعمار فرنسا للجزائر بأن الفلاحين كان حُب الأرض لديهم يمتزج بحُب الوطن، بحيث لم يصحح عندهم من مدلول لعبارة الحرية سوى تحرير الأرض واسترجاعها.

إن الأحداث التي أعقبت الاحتلال الفرنسي للجزائر كدّبت الأسطورة الاستعمارية القائلة بدخول الفرنسيين إلى الجزائر بغرض نشر الحضارة.

إن رفض الجزائريين -للأمر الواقع- ومقاومتهم للاحتلال يقيمان الدليل على رغبتهم في التمسك بشخصيتهم المتميزة وتحرير أراضيهم، وهكذا أصبحت كل مقومات الصدام والصراع المرير والشاق متوفرة<sup>(2)</sup>.

حتى غاية عام 1840 لم تسمح الأوضاع الأمنية للكونلون الأوروبيين بزراعة أراضيهم التي تحصلوا عليها عن طريق الامتياز المجاني، أو عن طريق شرائها بمبالغ جبالية أحيانا؛ وحتى هذا التاريخ اعتبر الجزائريون أسبادا على أراضيهم لأن الأرض التي تحصل عليها الكولون منعتهم المقاومة من زرعها، ومن جهة أخرى تشددت سلطات الاحتلال مع الكولون، فاشتدّت عليهم زرع الأراضي التي تحصلوا عليها، وضربت لهم آجالا، ما لم يزرعونها فإنهم يتعرضون للتحديد، ويستبقى لهم فقط الجزء الذي يتناسب مع دخلهم.

ومن بين الانتفاضات المتتالية ضمن المقاومة الوطنية الجزائرية التي ظلت بعض حلقاتها شبه مفقودة، نذكر الحركات الاحتجاجية لقبيلة أولاد سعيد، وشارب الريح، وبني خنيس، والقلايلية، وأولاد قاده، والبحورات، والحازات، وأولاد سيدي أعمر بن ميمون، وأولاد عيسى، في شهر أكتوبر من عام 1845<sup>(1)</sup> بضواحي مدينة معسكر، ردا على إقامة فرنسا للمركزين الاستيطانيين: سان هيبوليت (المأمونة حاليا، وسان أندري (خصية) في نفس السنة<sup>(2)</sup> لاجتثاث مقاومة الأمير عبد القادر واستتصالها، وذلك بعد مصادرتها للأراضي التي أنشئ فونها المركزان الاستيطانيان بقرار من الحاكم العام في 30 ماي 1841 بحجة

<sup>(1)</sup> M.P. De MENERVILLE. Op.cit, p 264.

<sup>(2)</sup> محمد حريس. الثورة الجزائرية، سنوات المخلص، الجزائر: 1994، ص 75.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 5L/ 25 (Colonisation officielle).

<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 1N/5 (création du village de S<sup>t</sup> André de Mascara).

كما لم تكن الوطنية لدى الجزائريين تعني شيئا سوى التعلق  
العاطفي بأرض الأجداد، ومن الأرض استلهموا رد الفعل ضد  
الاستعمار.

ومعبارة أخرى فإن افتكك الأرض من أصحابها أدى بهم إلى  
التعب، ومن الأمور المثيرة للنقاش أن رؤساء المكاتب العربية لم يشيروا  
في تقاريرهم أن ثورات الفلاحين كان سببها اغتصاب الأراضي  
الفلاحية؛ لقد أوردت تقاريرهم ثورات وأحداث وقعت بالفعل، اكتفى  
فيها بالحديث عن النشاطات العسكرية والمعارك، وانعدام الأمن، وطلب  
السكان الأوروبيين والأهالي للحماية، من دون أن يذكروا أن السبب  
الجوهري لهذه الأحداث على أنه اغتصاب الأرض.

يلاحظ في التقارير التي تحدثت عن ثورة أولاد سيدي الشيخ  
مثلا وثورة قالة سنة 1852، أو ثورة بويغلة (1852-1853)، وغيرهما من  
الثورات بأنها لم تذكر ولا مرة بأن سببها هو نزاع ملكية الأهالي وتوسع  
الكولون على حساب أراضيهم الزراعية والرعوية، أو بسبب إسقاط  
حقوقهم المشروعة فيها باللجوء إلى شتى الوسائل والصفقات<sup>(1)</sup> ولا  
حاجة لنا إلى التذكير بجميع الثورات والانتفاضات التي شهدتها الجزائر

بين 1830 و 1916، والتي كان السبب الرئيسي فيها استيلاء فرنسا  
على الأراضي من خلال التدرج بغياب أصحابها وتركهم لها، أو معاينة  
لأصحابها، أو تحت حجة المنفعة العامة.

وقد تنكرت هذه التقارير عمدا لأهمية رفض الجزائريين للتنازل  
عن حقوقهم في ملكية أراضيهم.

إن ثورة الأمير عبد القادر (1832-1847) وما أعقبها من ثورات  
إلى غاية ثورة الأوراس في 1916 « تمثلت في مقاومة مصادرة الأراضي  
وابتزازها على نطاق واسع لفائدة المستعمرين، كما تمثلت في بذل جهود  
جبارة حالفها التوفيق أحيانا، استهدفت استعادة الأراضي الزراعية التي  
كانت من قبل ملكا لمجموعات واسعة من الفلاحين تعرضت للسلب  
والنشر».

### الصراع بين الفلاحين الجزائريين والكولون حول الأراضي الرعوية

من الأدلة البارزة التي تبرهن على الصراع بين الفلاحين  
الجزائريين والكولون حول الممتلكات الأرضية الفلاحية والرعوية، نص  
المشور الصادر عن الولاية العامة للجزائر في 20 ماي 1856 والموجه إلى  
جنرالات الأقسام، وإلى عمال المقاطعات الثلاثة.



يتحدث هذا المنشور عن العلاقات والاتصالات الناشئة فيما  
وعراية بين الجزائريين والأوروبيين بسبب توسع الاحتلال ونزوله،  
وهو الأمر الذي نتجت عنه مشكلات وصراعات بين المجتمعين في هذه  
نقاط من التراب الجزائري.

ويدعي بأن فلة الرقابة التي يمارسها الجزائريون على قطعانهم  
ونقص اهتمامهم بملكاتهم الزراعية، وعادات الترحال لديهم، وعدم  
جنود نقالهم الرعوية كلها عوامل منحت للأوروبيين مكانة  
بمهورهم، وهذا ما دفع بالجزائريين إلى التذمر منهم<sup>(1)</sup>.

وإن نباهي الكولون الأوروبيين، ومبالغتهم في الاستئثار  
بالأراضي الفلاحية - الممنوحة لهم - واحتكامهم لأنفسهم بأنفسهم  
نسب في خلق وضعية منافية للنظام ولصالح فرنسا السياسية، التي  
أصبحت ملزمة بمعالجة الوضع.

تضمنت هذه الفقرة الذرائع والمسوغات لتبرير المعاملة التي يلقاها  
الفلاحون الجزائريون من الكولون.

وفد احتوى هذا المنشور توصيات بوجوب قمع الجزائريين الذين  
تسبوا في عمليات تخريب وتدمير ممتلكات الكولون بكل الوسائل.

<sup>(1)</sup> M.P. de MENERVILLE. Dictionnaire de la législation Algérienne 1<sup>er</sup> volume.  
1860, Paris-Alger 1877, p. 74.

الملكية والمناخ؛ وأعطى أمرا لحراس الحقول «gardes champêtres»  
وللدرك - الاستعماري - والشرطة العسكرية بمضاعفة نشاطهم ووضع  
حد للمخالفات وفق القانون، كما أوصى المكاتب العربية التدخل بكل  
صرامة لدى زعماء القبائل لينقلوا نصائح وتحذيرات إدارة الاحتلال  
لرعاياهم كي يكفوا عن الرعي في أراضي المعمرين حتى ولو كانت  
خالية وغير مزروعة، على أن يفهم الكولون من جهتهم بأن توفير  
سلطات الاحتلال للأمن ووضعها حداً لاعتداءات الجزائريين ضدهم  
مرهون بتوقفهم عن عمليات الاغتصاب والابتزاز الممارسة من قبلهم  
والتي راح ضحيتها الكثير من الفلاحين الجزائريين تحت غطاء التعامل  
التجاري، والتي كلفتهم خسارة جسيمة أقتضتهم أراضيهم<sup>(2)</sup>.

وتفسير ذلك أن فض الصراع بين الكولون والفلاحين الجزائريين  
مرهون بتوقف الكولون عن ابتزاز المريد من الأراضي الفلاحية  
الجزائرية.

وتفاديا لاحتدام الصراع بين الكولون والفلاحين الجزائريين أصدرت  
الحكومة العامة منشورا في 15 مارس 1858 تضمن العبارات التالية «لقد  
جسدت أعمال العنف - الجرائم - المرتكبة في الأرياف منذ سقوط الجزائر  
في يد الاحتلال الفرنسي أحد أهم مظاهر الصراع بين المجتمعين

الجزائري والأوروبي، واعتبرت مصدر قلق واضطراب يعمق نشاط الإدارة الاستعمارية التي يفرض عليها التكفل بالقضاء على مظاهر العنف وقمعها<sup>(1)</sup>.

وحسب رأي الحاكم العام «راندون» فإن الصراع بين الجزائريين والأوروبيين يعود إلى تهاون الفلاحين الجزائريين في إحكام الحراسة على قطعانهم، وأيضاً إلى مبالغة الكولون في اغتصاب أراضي الجزائريين الزراعية والرعوية.

وبعد تذكيره بما ورد في منشوري 20 ماي 1856 و 23 ديسمبر 1857 «أمر» ترتيبات تنص على منع القبائل، وفصائل القبائل المجاورة لمراكز الاستيطان الأوروبي من ترك قطعانهم ترعى لوحدها أو دون توكيل حراستها ومراقبتها لشخص يتجاوز عمره ثمانية عشرة سنة، على أن لا يفوق القطيع الذي يحرسه شخص واحد خمسون بقرة أو جلا، أو مائتي شاة، ومبدئياً يتحمل الرعاة المأجورون مسؤولية المخالفات المرتكبة، أما إذا كان الرعاة من غير المأجورين فإن المسؤولية تلقى على عاتق الملاك.

ونحس القطعان ليلاً داخل زرائب، والفلاح الذي تسبب حيواناته الغير محبوسة ليلاً في إحداث إضرار بمزارع الكولون يجري تغريمه إدارياً، ويعرض الخسائر لصاحب المزرعة المتضررة.

وحدث المنشور في بنده السادس السلطات المحلية، ورؤساء البلديات والمحافظين المدنيين على اتخاذ قرارات تضمن أمن وسلامة أراضي الأوروبيين القاطنين بمراكز الاستيطان الأوروبي، مع إجبار الملاك الجزائريين على وضع قطعانهم، تحت رقابة حارس - راع - تعينه مصالح البلدية وتحدد أجره لجنة تعينها السلطة المحلية<sup>(1)</sup>.

أما البند السابع من المنشور فقد منح الحق للرعي بأراضي البلدية فقط للذين يرسلون مواشيهم ترعى ضمن القطعان المشتركة، ويلتزمون بدفع المبلغ المالي الذي تحدده اللجنة للراعي الأجير<sup>(2)</sup>.

واحتما وتوقعاً لنشوب أي خلاف بين المجتمعين قد يؤدي إلى صراع بينهما، نص البند التاسع من المنشور على تجنيد الدرك الاستعماري، وحراس الحقول، وقوات الأمن العمومي على تبليغ إدارة الاحتلال، برفع تقارير حول الرعي الجائر، من دون أن ينص على

<sup>(1)</sup> Ibid.

<sup>(2)</sup> M.P de MENERVILLE. Op.cit, P 75.

<sup>(3)</sup> M.P de MENERVILLE. Op.cit, P 75.



الإجراءات العقابية، على أن تحجز الحيوانات فقط للمدة التي تسمح  
بالتعرف على أصحابها.

وإلى المنشور الفلاحين الجزائريين مسبقا بأن إدارة الاحتلال  
وجدها هي التي لها الحق في تحديد التعويضات، وفرض الغرامات الناجمة  
عن الأضرار التي لحقت بالملكيات الأرضية التي تعرضت للانتهاك،  
وليس لأحد من الفلاحين الجزائريين الحق في مناقشتها مع أصحاب  
الأراضي المتهاكة، أو الاعتراض عليها<sup>(1)</sup>.

واضح من هذا المنشور أنّ إدارة الاحتلال استخدمت أسلوبين  
في تعاملها مع مربي الحيوانات؛ في حين نراها تظهر مرونة في التعامل مع  
الكولون، نراها تسعى جاهدة في استخدام قسوة القانون وفرض إرادة  
السلطة الإدارية الاستعمارية في تعاملها مع الفلاحين الجزائريين،  
وغطت على تعدي الكولون الفاضح على أراضي الجزائريين التي  
تنتهكها حيواناتهم، والمحازات للمعمرين، ولم تضطلع بمسؤولياتها في  
الدفاع عن ممتلكات الجزائريين المتهاكة من طرف قطعان الكولون.

كما جاء قانون 16 جوان 1851 الذي نص على إلزامية حجز  
ومصادرة الأراضي الزراعية والرعية التي تخلى أصحابها عن استغلالها  
ليعطي الكولون فرصة الاستيلاء على المزيد من الأراضي، بينما نراه لا

<sup>(1)</sup> Ibid.

يخص قطعنا عن انتزاع الأراضي التي تخلى الكولون عن خدمتها وتركها  
بوراً، وكثيرة هي الأراضي التي تحصل عليها الكولون عن طريق  
المضاربة، وتركها بوراً حتى يرتفع سعرها، ثم يبيعونها ويستفيدون من  
فائض القيمة.

إن هذا القانون جاء ليضفي طابع الشرعية والصيغة القانونية  
على سيطرة الذين احتلوا أملاك الغائبين واستولوا عليها.

وقد أطلق الجزائريون اسم «بلاد البارود» على الأراضي التي  
كانت أقبائل تسترجعها بالقوة من أيدي القبائل التي انتزعتها منها<sup>(1)</sup>،  
فكيف لا تجرأ هذه القبائل مرة أخرى على حمل السلاح ضد فرنسا التي  
استلبت منها أراضيها.

### ضرب دعائم الاقتصاد الزراعي الفرنسي في الجزائر

منذ 1851 بدأت حالة من انعدام الأمن واختلاله تسود كامل  
الجزائر الجزائري؛ فإلى جانب الثورات الشعبية المسلحة التي لا نريد  
الحوض فيها حفاظاً على انسجام الموضوع ووحدته<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> M. le bon JEROME David. Réflexions et discours sur la propriété chez les  
Arabes, Bordeaux 1862, p 64

شهدت الجزائر العديد من الحرائق التي أشعلت في الغابات من طرف جماعات مسلحة كانت تجوب الوطن لغرض شل نشاط الكولون والإدارة الاستعمارية<sup>(1)</sup>.

ففي سنة 1863 أنت الحرائق على 42.100 هكتار من الأراضي الغاية، منها في القطاع الفلسطيني لوحده 22.000 هكتار؛ وفي صيف سنة 1865 هضمت النيران 163.954 هكتار، حمل الكولون مسؤولياتها للقبائل، وطالبوا بفرض عقوبات جماعية.

وامام تعالي احتجاجات الكولون من جهة، وتوالي الحرائق من جهة أخرى أصدرت حكومة الاحتلال مرسوما -حكوميا- في 07 أوت 1867 بمنح الأراضي التي أنت عليها النيران مجانا للكولون الذين تحصلوا عليها عن طريق الامتياز بعد سنة 1863، كما استفاد الممتلكون لأراضي غاية لم تمسها الحرائق من ثلث المساحة، أما الثلثين المتبقين فيحصلون عليهما مقابل أسعار منخفضة -مفيدة- تتراوح بين 225 و 235 فرنك للهكتار الواحد، وتسدد على عشرين قسط سنوي<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> HADDADEN Zahir. Histoire de la presse indigène en Algérie des origines jusqu'en 1930, Alger, ENAL, 1883 p 117.

<sup>(2)</sup> Charles-Robert AGERON. Les Algériens Musulmans et la France, Paris, P.U.F, 1968 p109.

واشترطت المادتان الأولى والثانية من هذا المرسوم (1867/08/07) على أن يقتطع عشر المساحة الغاية لصالح الأهالي الذين سمح لهم باستعادة شرائها بغرض الاستفادة من خدماتها، إلا أن هذا الغرض لم يكف كمجال للرعي، وهو الأمر الذي دفع بالفلاحين الجزائريين للتعبير عن استيائهم أثناء مرور اللجان المكلفة بتطبيق القرار الشيعي (1863).

ولعل الحرائق التي تعرضت لها غابات الفلين بضواحي سكيكدة في سبتمبر 1870 تكون من فعل الفلاحين الساخطين على النظام الاستعماري الذي لم ينصفهم<sup>(1)</sup>.

ثم جاءت حرائق 1871 لتزيد من حدة الصراع بين الفتيين، حيث طالب الكولون المستفيدون من الأراضي الغاية بإجراء عقوبات جماعية ضد القرى التي يعتقد أنها تسببت في الحرائق، وهذا على الرغم من تعويض الحكومة لهم.

وقرر «دي قيدون» (De GUEYDON) تعزيز إجراءات القمع باللجوء إلى التفرير الجماعي، وإلغاء الصفقات التي تمت الموافقة عليها بخصوص المدفوعات عن الحرائق الغاية، مع استدعاء المتهمين

<sup>(1)</sup> Charles-Robert AGERON, Op.cit, p 110.



بارتكاب جرائم للمثول أمام المحاكم الرديئة  
(Tribunaux Correctionnels) ودعا إلى وجوب مراقبة تحركات الجزائريين<sup>(1)</sup>

وفي صائفة 1873 أكلت السئة النيران حوالي 75.313 هكتار من الأشجار الغابية التي وجهت فيها التهمة مباشرة إلى النوايا السيئة أي إلى عناصر جزائرية من أبناء القرى المجاورة للساحات الغابية.

إمام هذه الوضعية أبرق عاملي مقاطعة الجزائر العاصمة وقسطنطين إلى الحاكم العام «شانزي» (CHANZY) يطلبان منه تطبيق حالة الحصار على الجزائر<sup>(2)</sup>

أما الصحف الاستعمارية فقد وصفت المتسببين في الحرائق بالمتوحشين، بينما لو سمح للفلاحين الجزائريين باستخدام الأراضي الغابية كمراعي ما كان لهذه الحرائق أن تشب مطلقا، كما أن الحرائق بالإمكان أن يكون سببها حادثا طارئا من فعل الأشخاص، ومع هذا فقد تم لإدارة الاحتلال أن حكمت بالإعدام على شخصين اثنين، وعلى ثالث بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> M.P. de MENERVILLE. Dictionnaire de la législation Algérienne. 2-3, 1866/1866  
<sup>(2)</sup> Charles-Robert AGERON. Op. cit. p111.  
<sup>(3)</sup> Ibid.

ومن هنا يمكن القول بأن الحرائق المتعمدة كانت ردًا مباشرًا على النظام الاستعماري الجائر، وأنها واحدة من مظاهر الصراع المحتدم بين الجزائريين والكولون. وقد صرح فارني (WARNIER) بأن حرائق الغابات تعد سلاحا حربيا، ولا يوجد رد ناجع عليها خير من حجز الممتلكات، مما يضطر القبائل إلى المصالحة، وبدون الحجز لا يمكن أن يوضع حد للحرائق.

وفي 17 جويلية 1874 صدر قانون بمنع الفلاحين الجزائريين من الرعي في الأراضي الغابية التي تعرضت للحرائق لمدة عشر سنوات كاملة كما تقرر منع إشعال النيران داخل الغابات أو على مساحة تقل عن مائتي متر منها فيما بين أول جويلية وأول نوفمبر من كل سنة، وهي المدة التي يكون فيها مربو الماشية في أمس حاجة إلى المراعي.

وقد اعتبر الفلاحون الجزائريون إجبار فرنسا السكان على المشاركة في إخماد النيران المشتعلة في الغابة مساسا بالكرامة، ورمزا للهيمنة والسيطرة الفرنسية.

وقد أعطت ثورة 1871 الدليل القاطع على أن الفلاحين الجزائريين كانوا على درجة عالية من الوعي الاجتماعي لأن الثورة حفزت بدعم الفلاحين ومساندتهم لها والتفافهم حولها، وقد استطاع

القرائي وهو من الطبقة الإقطاعية أن يتحالف مع الطبقات الفلاحية الشعبية المحرومة، فكانت ثورته ثورة فلاحين جارية.

وما إدانة الأرستقراطية الجزائرية وتنديدها بموقف الفلاحين الثمرين كما جاء في رسالة جماعية لهم بتاريخ 21 أبريل 1871 (1) إلا دليلا على أن الفلاحين الجزائريين الصغار كانوا لا يفرقون بين الفرنسيين ورجال الإقطاع من أبناء الجزائر ممن تواطؤوا مع الاستعمار، وصاروا عوناه، وتحاملوا على الفلاحين الثمرين.

ومن الأدلة الفاطمة على وجود وعي شعبي-اجتماعي- في أوساط الجماهير الريفية الفلاحية تأليف الدواوير للجان حرة متخبة تتألف الواحدة منها من عشرة إلى اثني عشرة عضوا تدعى الشرطة شبيهة بالمجالس البلدية، ذات نفوذ قوي لدى الشعب، نشأت بصورة مشروعة كرد فعل على سيطرة القياذ وأعوان الاستعمار، مهمتها مراقبة تصرفات القياذ، وفرض الغرامات، ومصادرة أملاك العصاة والمنشقين عن رأي الجماعة، وشراء الخيول وإعادة النظر في أحكام القاضي واللجان النابيسية؛ كثيرا ما أطلق على هذه اللجان اسم «رابطة

(1) ينظر نحن فرسقة بأسماء عشرين شخص بين بلش اغا وقتل ممن وقعوا عليها في:  
Louis RINN. Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, ALGER 1891, pp 80-81.

الفلاحين» و«الكادحين» (1). وأصبحت مؤسسة الشرطة من أهم مظاهر اليقضة في المجتمع الجزائري (2).

وقد كتب مصطفى الأشرف نقلا عن العقيد «لويس رين» بأنها تمثل خطرا جسيما على الأهداف التي تسعى الحكومة الفرنسية لتحقيقها (3).

استشهد الكاتب الجزائري مصطفى الأشرف بنصين لمسؤولين فرنسيين ثبّه أحدهما وهو لويس رين إلى خطر المقاومة على المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر، وتحدث ثانيهما وهو إميل دو كافينياك - الذي أشير إليه سابقا - عن شدة تعلق الجزائريين بأراضيهم الفلاحية واستماتتهم في الدفاع عنها، ليتبين لنا أن منشأ الصراع والتنافس الشديد بين الكولون الأوروبيين والفلاحين الجزائريين كان مصدره الأرض؛ الفريق الأول يسعى جاهدا لاستملاكها، والفريق الثاني يقاوم ويدافع من أجل الإمساك بها.

(1) مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 65، ولأيضا ص 130 من نفس المرجع. - ينظر أيضا: شارل روبرت أجيرون. تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830-1970، ترجمة عيسى عصفور، الجزائر: د. م. ج.، ص 76.

(2) مصطفى الأشرف. المرجع السابق، ص 130.

(3) نفسه.



ولا يمكن أن تكون ثورة المقراني إلا رد فعل عنيف على السياسة الاستعمارية، ومظهرها من مظاهر الصراع بين الكولون والفلاحين الجزائريين الذين بلغ عدد المشاركين منهم في هذه الثورة نحو 800.000 نسمة<sup>(1)</sup> إلا أن هزيمة الثوار وفرت للمستوطنين أراضي جديدة احتجزت من الثوار، إلى جانب أموال ضخمة فرضت عليهم كقرامات حربية (36 مليون فرنك ذهب)، ووصلت كلفة الحرب إلى نحو 85 مليون فرنك ذهباً<sup>(2)</sup> وخلاصة القول، فإن ثورة المقراني، بغض النظر عن نتائجها، لم تكن سوى رد فعل ضد حجز ونزع الأراضي من أصحابها.

وكما للعملاء واستمالتهم كانت فرنسا توزع الأراضي التي تحتجزها من الثوار على القياد من أمثال بن قانة في بسكرة عاصمة الزيان، والذي تحولت إليه الأراضي المتزعة من خليفة الأمير عبد القادر، وعائلة خليفة، وشيخ البلاد، والفكون في منطقة قسنطينة<sup>(3)</sup> أما القلاحون الجزائريون الذين لم يثبت تورطهم في أعمال عنف ضد الكولون، وتعرضت ممتلكاتهم للنهب والتخريب فقد تمّ تعويضهم على

حساب ممتلكات الثوار، وذلك بناء على قرار الحاكم العام للجزائر الصادر في 09 ماي 1871.

وعلى حد قول بن يمين ستورا تعتبر ثورة المقراني ببلاد القبائل سنة 1871 آخر أكبر المقاومات ضد جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، وحتى غاية 1954 ظلت أيضا هي آخر محاولة سياسية كبرى يبادر بها المجتمع الريفي الجزائري<sup>(1)</sup>.

أما عبد القادر جفلول فكتب يقول عن مقاومة الريف الجزائري للاحتلال الفرنسي بأن ثورة المقراني قد وضعت حداً لزمان المجدي العسكري للمجتمع الريفي<sup>(2)</sup> ومهما يكن من أمر فإن الطابع الفلاحي لثورة المقراني والثورات السابقة واللاحقة لم يمنعها أن تكون ذات طابع سياسي لاعتبارها مقاومات ضد الاحتلال، وعلى هذا الأساس يقول أجيرون «لقد حرفت الكتب المدرسية الفرنسية طابع ثورة المقراني (1871) بحصرها في عمليات تخريب الثوار لمزارع الكولون المنعزلة وحرقها، وفي ذبح المسبلين للمدنيين الأوروبيين العزل، ويقول بأن خسائر الجزائريين في هذه الثورة لم تحصى، وأن 200.000 بتدية التي

<sup>(1)</sup> Benjamin STORA. Histoire de L'Algérie Coloniale 1830-1954, Alger: E.N.A.L. 1996, p. 40.

<sup>(2)</sup> Ibid, p. 40 (Cité par Abdelkader Djeloul, «Hors la loi, violence rurale et pouvoir colonial en Algérie au début du 20<sup>ème</sup> siècle» in revue de l'occident musulman 1984, p.98).

صرحت إدارة الاحتلال بمجزؤها من الثوار لحو عدد مبالغ فيه وأن أغلب تقارير الضباط العسكريين تذكر أن الثوار كانوا مسلحين بالعصي وكلما سقط مجند فرنسي استولوا على سلاحه<sup>(1)</sup>.

وتحدث التقارير الاستعمارية عن نهب السبائس المتمردون على السلطة لبعض الحقول الزراعية والضيعات والمباني التي يمتلكها القبايل من أمثال القائد أحمد بن شريف بدوار قدارة، وذلك يوم 19 ماي 1871 قبل التحاقهم بتونس<sup>(2)</sup> كما أن اتباع الطريقة الرحمانية ممن استجابوا لنداء الجهاد المقدس قد قاموا هم الآخرون في يوم 08 أبريل 1871 بمهاجمة مزارع الكولون وضرب الأوروبيين في الأخضرية، وبجاية، ودلس، وسطيف، وفزاز الميزان، وبرج بوعريرج، وتيزي وزو، وبرج حمزة (Fort national)<sup>(3)</sup>.

قدر الحاكم العام للجزائر مساحة الغابات التي التهمت النيران فيما بين 1860-1881 بأزيد من 300.000 هكتار، أكثرها تسببت به الحركات الثورية منها: 55.000 هكتار سنة 1876، و 40.000 هكتار سنة 1877، و 8.156 هكتار في 1878، و 17.762 هكتار في 1879، و 20.880 في

<sup>(1)</sup> مقال مسطر لشرف روبرت لافون نشرته جريدة المجاهد الجزائرية الصادرة يوم 14 أوت 1971 بتسمية الفكر الثوري لتورة المقراني (1871).

<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 2H / 80

<sup>(3)</sup> Pierre GOINARD. Algérie: L'œuvre Française, Paris, Edition Robert Laffont 1984, p 131

1880، و 169.057 هكتار في 1881، وهي السنة التي قدرت فيها قيمة الخسائر الغابية بـ 9.042.000 فرنك، وقيمة الغرامات المفروضة على الجزائريين بـ 510.000 فرنك.

وبحلول عام 1893 قدرت المساحة الغابية التي أتت عليها النيران فيما بين 1876-1893 بـ 725.520 هكتار، ما يعادل ثلث المساحة الغابية للجزائر، متسببة في خسارة مالية تقدر بـ 33.131.156 فرنك (بمعدل 44 فرنك للهكتار الواحد). وفي سنة 1894 نشب 308 حريق متسببا في خسارة قدرت بـ 2.266.043 فرنك<sup>(1)</sup>.

الجدير بالملاحظة أن هذه الحرائق نشبت جميعها في أعقاب صدور القانون الغابي (16 جوان 1851). كما أن الحرائق الغابية التي نشبت أثناء ثورة عين التركي (1901) وبعدها ردت أسبابها إلى احتكار الإسبان المهاجرين للثروة الغابية واستغلالها اقتصاديا، واستخدام يد عاملة إسبانية فيها والاستغناء عن اليد العاملة الجزائرية مما حرم هؤلاء من الخدمات الغابية وحوّلهم إلى فقراء<sup>(2)</sup>، مما يجعلنا لا نشك في أن الفلاحين هم الذين أضرّموا النار في الغابات انتقاما من إدارة الاحتلال التي

<sup>(1)</sup> Paul-Leroy BEAULIEU. L'Algérie et la Tunisie, 2<sup>ème</sup> édit, Paris 1897. P 119.

(d'après l'exposé de la situation générale de l'Algérie en 1896, p 286)

<sup>(2)</sup> IHADDADEN Zahir. Histoire de la pressé indigène en Algérie, des Origènes jusqu'en 1930, Alger: E.N.A.L 1983, p 206 (d'après le journal: les nouvelles avril mai 1901).



حرمهم من الخدمات الغالية بمقتضى هذا القانون أو استبدال العمال الجزائريين بعمال أجانب.

ولا ريب في أن انتهاج الفلاحين الجزائريين أسلوب حرق غابات القلن يطوي على مدف يقصد منه إنهاك الميزانية الاستعمارية لأن صادرات القلن كانت تعتبر أحد أهم الدعائم الاقتصادية للاستعمار الفرنسي في الجزائر.

وفي سنة 1876 كانت الغابات الوهرانية هي الأكثر عرضة للحرائق وقد نسبت هذه الحرائق والنكبات إلى التعصب الديني - الإسلامي - الذي أثار الحرب التركية الصربية جذته، وهو الأمر الذي استدعى سلطات الاحتلال الفرنسي إلى فرض حراسة مشددة على الطرق والزوايا<sup>(1)</sup>

وفي 06 أكتوبر 1876 أعطى «شانزي» (CHANZY) أمرا بالقبض على من ساءهم بالمجرمين بأسرع ما يمكن ومعاقبتهم، خاصة وأن التحقيقات أسفرت أن بعض الأهالي أضرموا النار في الغابات انتقاما من الكولون الفرنسيين والأسبان الذين دخلوا الجزائر بغرض قطف مادة الحلفاء ونهريةها<sup>(2)</sup>

ومن العوامل التي ساعدت إلى حد بعيد في التعجيل باندفاع السكان في الهضاب العليا من غرب الجزائر إلى الانخراط في الثورة الشعبية المسلحة التي قادها الشيخ بوعمامة خلال شهر أبريل 1881:

توسع الكولون في الهضاب العليا، واستملاكهم لمساحات شاسعة من الأراضي التي يكسوها نبات الحلفاء.

استقدام عمال من أصل إسباني تقوية للعنصر الأجنبي.

تحويل الثروة المحلية من مواشي وحلفاء باتجاه ميناء وهران وأرزويو، ومنها إلى العالم الخارجي.

تفريد سكان المنطقة ببيع إنتاجهم لشركة الحلفاء بسعر يتراوح بين 04 حتى 08 فرنكات للقطار الواحد، بينما قطعة خبز وزنها 600 غرام يبلغ سعرها 05 حتى 09 فرنكات<sup>(1)</sup>

وحيث بلغ النفوذ الاستعماري الاقتصادي ذروته في الهضاب العليا الغربية وأحس السكان بتعدي الكولون السافر على حقوقهم وامتنانها، حينذاك أضرم الثوار من أبناء قبائل حميان وأولاد سيدي الشيخ والشعامة النار في مستودعات الحلفاء مما أدى إلى تخریب المنشآت، وسقوط ضحايا في صفوف الأسبان<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> Djilali SARI. L'insurrection de 1881 en Algérie, Alger, 1981 p 175.

<sup>(2)</sup> Mahfoud KADDACHE et Djilali SARI. L'Algérie dans l'histoire T05. Alger: O.P.U. 1989, p 174

<sup>(1)</sup> Charles-Robert AGERON. LES Algériens Musulmans et la France, Tome premier, Paris: P.U.F. 1968, P 114.

<sup>(2)</sup> IBID

وفي اعتقاد لجنة التحقيق، فإن حرق الأهالي للغابات  
ولمستودعات الحطب يكون قبل كل شيء استجابة وطاعة لكلمة امر  
(mot d'ordre) ونحوه على العنف نسبت فيه الانتفاضة في الجنوب  
الوهراني، وحوادث تونس في 1881.

وأمام انتشار الحرائق في الغابات التي يمتلكها المعمرون عبرت  
إحدى الصحف الصادرة في الشرق الجزائري بالقول أن «لا أحد من  
المتعمرين بقي أبدا، عصرا متعمدا وأكثر عدوانية وحققا مما هو عليه  
المعمر العربي - الجزائري» - المتعصب لديته والمزدي للثروات  
الأرضية<sup>(1)</sup>.

**رد فعل سلطات الاحتلال من عمليات حرق الغابات وتخریب  
مزارع الكولون**

تطويفا لعملية حرق مزارع الكولون واحتوائها وتعويضها للمعامل  
التي تخلصت عن العمل في مزارع الكولون، بعث عامل عمالة وهران  
«جول ما جيا» (Jules MASLIA) منشورا إلى رؤساء البلديات بتاريخ 17  
أبريل 1872 يكشف لهم فيه بأن الجنرال قائد القسم العسكري بوهران  
قد قرر وضع المجندين في الجيش الفرنسي تحت تصرف الكولون أثناء  
موسم الحصاد مقابل أجر يومي يقدر بـ 1,5 فرنك للحصادين

(Fouchet) و 01 فرنك لمقلي السابل (Fancor) مع ضمان الغذاء  
والإيواء والتدفئة<sup>(2)</sup>.

وفي 23 ماي 1873 صدر منشور مماثل ينص على وضع  
العسكريين في خدمة الكولون الأوروبيين على أن ينتهي دور العسكريين  
بإنهاء عملية الحصاد والدرس، كما نص أيضا على وضع حراس  
سلحين يتبعون عملية الحصاد والدرس ويراقبون الحقول<sup>(3)</sup>.

وهكذا لم تجد السلطات الإدارية الاستعمارية الفرنسية ما تواجه  
به هذا النمط من المقاومة سوى إصدار التعليمات إلى رؤساء البلديات،  
وإلى السلطات الأمنية لشابعة جهودها لضمان الاستيطان وحمايته.

وفي أعقاب الحرائق التي شهدتها سنة 1881 عملت إدارة  
الاحتلال على إبعاد الفلاحين بثلاثين كيلومتر عن المواقع الغابية،  
وأنشأت 2.462 مركز للمراقبة والحراسة (Postes Vigies) يستخدم  
6.514 شخصا، وهو الأمر الذي قضى على الحرائق بشكل شبه  
كامل<sup>(4)</sup>.

(1) *Manuel des actes administratifs de la préfecture d'Oran 1869-1881*, Oran 1882, p. 93.

(2) *Idem*, p. 93.

(3) *Paul-Louis REAUMEU*, *Op. cit.*, p. 120.

(4) *Charles-Robert AGERON*, *Op. cit.*, p. 115.



كما أنه أمام تزايد العمليات الهجومية على مزارع الكولون ومواصلة المتمردين لحرق الغابات، وحتى يُبعد الخطر عن محيط تواجد الكولون نشرت جريدة «Le Petit Colon» مقالا لـ «شارل مارشال» (Charles MARCHAL) رئيس تحرير الجريدة - يُلقت فيه أنظار السلطات الاستعمارية إلى الخطر الناجم عن الهجومات التي يشنها المتمردون على مزارع الكولون؛ وعليه نصّح إدارة الاحتلال الفرنسي في الجزائر بإنشاء جيش خاص يتألف من الميليشيات الشعبية وجنود الاحتياط، مهمته الدفاع عن القرى الاستيطانية والضبعت البعيدة عن المراكز العسكرية، وليكون دعما لحراس الغابات.

وأشار في مقاله المطول بأن جريدة «Le Petit Colon» قد سبق لها من قبل بشعاني سنوات، وذلك في عددها الصادر يوم 22 فبراير 1881 بأن نهت السلطات الاستعمارية بخطورة ثورة الشيخ بوعمامة وأحداث تونس على الوجود الفرنسي في الجزائر<sup>(1)</sup>.

وقد عبّر المسؤولون الفرنسيون في منشوراتهم التي ترجمتها المؤسسات والهيئات الاستعمارية إلى أفعال ونشاطات صريحة على الصعيد العملي عن وقوفهم إلى جانب المستوطنين أمام خطر الفلاحين الجزائريين الذي بات يهددهم في عقر دارهم (المراكز الاستيطانية

(1) - Le Petit Colon Algérien N° 3494, 15<sup>ème</sup> année. Vendredi 24/02/1882.

والضبيعات)، والشاهد على ذلك نص الرسالة السرية التي بعث بها نيابة  
 عن رئيس المجلس، وزير الحربية قائد الأركان العامة الجنرال «دوميريبال»  
 (DE MIRIBEL) إلى الجنرال قائد جيش الاحتلال في الجزائر، لحمل  
 مخططات لحماية الطرق والمواصلات ومراكز الاستيطان والضبيعات  
 بواسطة رجال الدرك، والقناصة الغابيين (Chasseurs Forestiers)،  
 والعمال الإداريين المسلحين، وجنود الاحتياط الذين أنهوا خدمتهم ممن  
 تتراوح أعمارهم بين 45 و 50 سنة، والرجال الأصحاء ممن لا تقل  
 أعمارهم عن 18 سنة، والغير ملزمين بالخدمة العسكرية من الأجانب  
 والجزائريين الذين تتوفر فيهم شروط الضمانات (Indigènes présentant  
 des garanties)، ومنهم السبايس والجمارك، وأيضا المخازنية،  
 والمتطوعين من أبناء البلدية ممن تتراوح أعمارهم بين 19 و 22 سنة،  
 يعملون جميعا تحت تصرف ضابط عسكري أثناء الخدمة، أو متقاعد أو  
 احتياطي بدون عمل، وضمن الرسالة توصيات وشروط تضمن الأمن  
 والسلامة للمستوطنين وممتلكاتهم، منها حمل المجندين للزي العسكري  
 وأسلحة نارية وتجهيزات دفاعية، ولنفس الغرض بعث الجنرال  
 «لارشاي» (LARCHEY) قائد القسم العسكري التاسع عشر (19<sup>ème</sup>)  
 corps d'armée إلى الجنرالات قادة الوحدات العسكرية الإقليمية  
 برسائل في شهر ديسمبر 1897<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 3H /48 (Secret)



نشر الأمن وساعدت على تقوية القدرات النفسية للأهالي على رفض الاستعمار وببذنه.

وامام تزايد انحلال الأمن أصدر الحاكم العام للجزائر أوامر لقادة الوحدات العسكرية في 17 يناير 1903 بالدفاع عن المستوطنين الأوروبيين، وضمان سلامة وأمن الكولون، وأنشا حاميات في وهران والجزائر وقسنطينة يتولى فيها مجندون زواف (ZOUAVES) حماية الطرق والمواصلات ومراكز الاستيطان<sup>(1)</sup>

وفي سنة 1908، أعطى الجنرال جونا -الحاكم العام للجزائر- تعليمات لحكام المقاطعات تخص حماية الضيعات، وتنظيم الدفاع عن المراكز الاستيطانية لاسيما تلك التي يقل عدد الأوروبيين فيها عن 150 نسمة.

وتحقيقا لعملية التصدي لمقاومة الفلاحين جندت إدارة الاحتلال القوم<sup>(2)</sup> مقابل امتيازات تمثلت في إعفائهم من ضريبة العشور والزكاة أولاً، ثم إعفائهم كلية من جميع الضرائب.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton H3/48

القوم: «GOUMS» هم المجندون الذين يركبون الخيول، وهم أصلاً من الأهالي الجزائريين، أعلن في جيش الاحتلال وفقاً لشروط منها: بلوغ 16 حتى 40 سنة من العمر، وامتلاك فارس -أسلح- والقسم على المصحف الكريم بالوفاء لفرنسا، وفق عقد مدته ثلاث سنوات قابل للتجديد، ومقابل خدماتهم لفرنسا، يستفيدون من قطع أرضية زراعية تتراوح مساحتها من

15 إلى 18 هكتار. Jean AUCOUTIRIER. Op.cit, p38

وفي عام 1881 جلبت الحرائق 4.169.097 فرنك لميزانية الجزائر، ومن ضمن هذا المبلغ سددت قيمة 2.050.362 فرنك في شكل أراضي أي ما يعادل 17.629 هكتار<sup>(1)</sup>.

لكن فرض الغرامات الحربية، وتسلط عقوبات قاسية على الفلاحين الثائرين بمصادرة أراضيهم في أعقاب كل ثورة أو انتفاضة شعبية ينظمونها ضد الاستعمار، لم يزد الفلاحين سوى حقدًا على الكولون وإدارة الاحتلال.

وإن كان البعض يرى أنه ليس من مصلحة الجزائريين أن يهاجموا ضيعات الكولون أو يشعلون النار في الغابات ما دامت السلطات الفرنسية تغرمهم وتصادر أملاكهم عقاباً لهم، فإن البعض الآخر يرى في أن الحرائق كانت أحد العوامل الحاسمة التي ساهمت بشكل كبير في

<sup>(2)</sup> IHADDADEN ZAHIR. Op.cit, p 119

قترح «أوبنوسك» (AUBIGNOSK) قائد الشرطة الاستعمارية على الجنرال دي بوربون استخدام قوة لروية التي كانت لها الأثر بالمتجنين، وذلك لضرب القبائل الغير خاضعة. وفي 1830/08/23 أبلغ دي بوربون وزير البحرية الفرنسي بوجود 500 زواوي (Zouaves) في الجزائر العاصمة تعرضون حملات على جيش الاحتلال. وفي 1830/10/01 أصدر خلفه الجنرال كلوزيل أمراً ينص رسمياً على إنشاء وحدة عسكرية من الأهالي القروية تشكلت من فئتين اثنين -يركبون الخيول- أطلق عليهم فيما بعد اسم «قناصة الأهالي» (Chasseurs Indigènes)، وفي 1831 أصبحوا ضمن «قناصة أفريقيا» (Chasseurs d'Afrique) Jean AUCOUTIRIER. «L'armée d'Afrique» in Histoire Spécial, n° 486, juin 1987, p44

وإشارة لإحداق الخطر بهم أمرت إدارة الاحتلال الكولون برفع رايتهن بضيوة اللون طلبا للنجدة نهارا، أما ليلا فقد أعطيت لهم أوامر بإطلاق الضوء في السماء عن طريق رمي سهمين نارين من أي لون كان بفاصل زمني بين الأول والثاني قدره دقيقة واحدة إلى دقيقتين. وحين اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى أصدر «ليوت» (LUTAUD) الحاكم العام للجزائر حالة الحصار في 04 أوت 1914 ووجه ندائين إلى السكان أحدهما إلى المسلمين الجزائريين ينوّه فيه بشجاعتهم ويوفائهم لفرنسا ويعثّمهم على التأخي مع الفرنسيين، وثانيهما إلى الكولون الفرنسيين يشيد فيه بشجاعة أجداد الفرنسيين وأسلافهم، ويدعوهم إلى التمسك بأراضيهم والدفاع عن ضيعاتهم وعصول حقولهم ومزارع كرومهم، وأوصاهم بالتزام الانضباط والهدوء<sup>(1)</sup>.

في حين توقع بعض الفلاحين الجزائريين أن يؤدي انتصار الألمان على فرنسا إلى تكرار ما حدث إثر انهزامها في الحرب السبعينية فتتزع منهم أراضيهم، وفضلوا الالتحاق بمجبهة القتال في حالة ما إذا دعتهم فرنسا لذلك، فإن البعض الآخر عقدوا الآمال على تحسن الأوضاع لصالحهم، وأن مزمة فرنسا في الحرب تحقق لهم مصالحهم الحبوبة، فيطردون الكولون ويستعيدون أراضي أجدادهم وآبائهم، فانتزعوا

<sup>(1)</sup> Gilbert MEYNIER. L'Algérie réveillée. La guerre de 1914-1918 et le 1<sup>er</sup> quart du XX<sup>ème</sup> siècle, Genève-Paris 1981, p 118

المبادرة بشن هجومات على مزارع الكولون وتخريبها، وشجعهم على ذلك أخبار مفادها أن عمال الأرض لم يأمّنوا على رواتبهم بسبب احتمال مغادرة الكولون لضيعاتهم خوفا من دخول الألمان إلى الجزائر<sup>(1)</sup>.

ففي دوار بني مهرس (Beni Mehrez) بشية الحد خرب الفلاحون ستة وعشرون ضيعة أوروبية<sup>(2)</sup>.

وفي منطقة بني شقران (معسكر) عثرت سلطات الاحتلال على نسخ من منشور كتب باليد وبالحظ العربي ينسب إلى الشيخ بوراس بن أحمد الناصري<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M G.G.A Carton 9H/16 (rapport du commissaire de théniet el Had en date du 07/09/1914)

<sup>(2)</sup> C.A.O.M G.G.A Carton 9H/16 (rapport du commissaire de police de Théniet El Had en date du 12/09/1914)

<sup>(3)</sup> العلامة الحافظ أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن القاصر سنة

1150هـ-1737م في قبيلة بني راشد بين جلي كرسوط و "هوت" قرب قرية البليان  
جرب بحري منية معسكر غير بعيد من الآثار الرومانية لمدينة "Alamiliaria"، كرس حيلته  
الشم، وحفظ علوم العصور، ألف في شتى أصناف العلوم، وسجل إراءه عن أحداث العصور،  
لحقه رحلته إلى المشرق والمغرب من منظرة العلماء والحكماء في مسائل الفقه والسنة  
والفرائض... تولى وظيفة إمام في المذهب الأربعة ومدرسا وخطيبا، له ما يزيد عن 136 تأليف  
شعر مكتبة مصطفى بن تهاجي بمعسكر على 15 مخطوطة لأبي راس، توفي رحمه الله سنة  
1238هـ/1823م



قد وُزِعَ على السكان، يحمل ثبوتات بتزول الفرنسيين في سيدي فرج عام 1246 هـ، يتصدى لهم في سنة 1248 هـ رجل اسمه عبد القادر، لا يكتب له النصر، ويستولى الفرنسيون على الغابات والأراضي الزراعية<sup>(1)</sup>.

ومهما تكن أسباب هذه الثورة والتي رذها البعض إلى رفض السكان لقرار الحكومة الفرنسية الخاص بتطبيق الخدمة العسكرية الإجبارية على أبناء الجزائر، فهي ثورة فلاحين سبها الرئيسي والحقيقي هو استيلاء فرنسا على أراضي الفلاحة الجزائرية، وتحويلها إلى الكولون<sup>(2)</sup>، بحيث بلغت الأراضي المصادرة في هذه المنطقة أزيد من 39.294 هكتار فيما بين 1841-1887<sup>(3)</sup>.

وفي منطقة تيزي وزو تعرضت المراكز الاستيطانية ومزارع الكولون في تادمايت ( والناصرية للنهب (camp du marechal (Haussonvillers) والتخريب<sup>(4)</sup>، ومن الأمور التي تدل أن الشعور الشعبي في الجزائر عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى كان شديد

<sup>(1)</sup> C.A.O.M - Carton 9H/16 ( la révolte des Beni Chougranes)

<sup>(2)</sup> غم محمد «ثقافة معسكر» أو دينامية النضال الشعبي في مطلع القرن العشرين» مجلة قاريح، للصف الأول من سنة 1986 الجزائر: م.و.د.ت.، ص ص 96-99

<sup>(3)</sup> Pierre GOINARD. Op.cit. p401. Voir aussi le D<sup>e</sup> d'Oran et son conseil gl 1870-1930. pp230 a 236

<sup>(4)</sup> C.A.O.M G.G.A. Carton 9H/16 (Extrait du rapport mensuel du commissaire de la brigade mobile de Tizi Ouzou, en date du 31/10/1914)

المنافاة للفرنسيين ولمخططاتهم توالي الهجمات على المراكز الاستيطانية ومزارع الكولون، وقتل المعمرين.

ففي بلدية بلزمة هاجم المتمردون الجزائريون مركز مروانة (Corneille) الاستيطاني، وحرقوا مزارع الكولون ونهبوا المحصول الفلاحي انتقاما من المعمرين الذين انتزعوا منهم حوالي 5.500 هكتار من أخصب الأراضي الزراعية خلال عام 1903<sup>(1)</sup>.

وهكذا شجعت الظروف الناتجة عن الحرب العالمية الأولى على المقاومة والتمرد ضد السلطات الفرنسية في كل مكان.

ففي بلاد الأوراس أصرَّ السكان سنة 1916 على رفض الاستجابة للدعوات التي وجهت لأبنائهم للثول أمام اللجان الخاصة بمراجعة قوائم المدعوين للخدمة العسكرية الإجبارية، وإجراء الفحوص الطبية، وكان الامتناع جماعيا في كل من باتنة وبريكة ونقاوس. وتذكر التقارير أن الرفض جاء نتيجة الاعتقاد بأن فرنسا لم يعد في مقدورها حكم البلاد والسيطرة عليها بعد الهزائم التي تلقتها على يد الألمان<sup>(2)</sup>، حيث تطور الرفض والعصيان إلى عمليات تخريب استهدفت

<sup>(1)</sup> Charles-Robert AGERON. Les Algériens Musulmans et la France, TII, Paris: P.U.F 1968, p 1156

<sup>(2)</sup> C.A.O.M- B/3/209. (Rapport judiciaire, Batna le 14/12/1916)



99 إيام، وبغرامة تقدر بـ 706.696 فرنك تعويضا للخسائر التي تسببوا  
فيها للكلون الذين أحرقت مزارعهم<sup>(1)</sup>.

كما اتخذت سلطات الاحتلال أمام هذه التطورات إجراءات  
لتسليح الكلون بالقنابل اليدوية والبنادق الرشاشة، وأمدتهم بالأسلاك  
الشائكة لتطويق ضيعاتهم؛ وشكلت لجانا خاصة لحماية ضيعات  
الكلون ومزارعهم، كما سلمت لرؤساء هذه اللجان مذكرات تتضمن  
تعليمات صارمة حول تنظيم حماية الممرين بالضيعات وبالمراكز  
الاستيطانية، يعود صدورها إلى عام 1908<sup>(2)</sup>.

وأوصت سكان الضيعات في تامطمة (Tamatmat) التابعة لبلدية  
سوق أهراس المختلطة باللجوء إلى مركز دفاع زروورية (Zerouria) في  
حالة أي خطر، كما أبلغت سكان ضيعات غلال (Guellal) باللجوء إلى  
كولبارت (عين ولمان) أو إلى سطيف للاحتباء بالقوات العسكرية، لأن  
ما حدث في مكماهون برهن لهم بأن الفلاحين يريدون النيل من  
الكلون وطردهم من الأراضي التي استولوا عليها.

مزارع الممرين الأوروبيين، ومن ذلك تخريبهم لضبعة كيلرمان  
(Kilermann) وحرقهم للبرج الإداري في مكماهون (عين الثورة)<sup>(1)</sup>.

ففي أواخر عام 1916 شهدت دائرة باتنة انتفاضة شعبية غطت  
المناطق التي تعرض أصحابها لعمليات الاغتصاب والمصادرة، بحيث  
هاجم الفلاحون الجزائريون الذين جردوا من أراضيهم مزارع الكلون،  
وعربات الركاب، وأحرقوا أكوام الحطب والأخشاب<sup>(2)</sup>.

وقد اعتبر سكان نواحي باتنة اندلاع الحرب العالمية الأولى فرصة  
ثينة لاستعادة أراضيهم الفلاحية، وللعلم فإن عمليات الهجوم على  
مزارع الممرين شارك فيها أبناء الفلاحين الجزائريين الفارين من أداء  
الخدمة العسكرية الإجبارية (دفعة 1916)، وذلك بتحريض من آبائهم،  
ولم يكتفوا بمهاجمة وحرق برج مكماهون، وقتل رئيس الدائرة والمتصرف  
الإداري، بل اعترضوا طريق القوافل العسكرية التي جاءت لنجدة  
الكلون على الطريق الرابط بين باتنة ومكماهون.

قمع جيش الاحتلال هذه الثورة بقصف جوي مكثف، واستولى  
على 7.929 رأس غنم، و14.511 رأس ماعز، و 266 ثورا، وألقي القبض  
على 3.000 شخص، حكم على 804 منهم بـ 715 سنة. و 03 أشهر و

(1) Mahfoud KADDACHE et Djilali SARI. Op.cit, p45  
(2) C.A.O.M. G.G.A. B/3/332 (Le Gouverneur Général de l'Algérie a M<sup>e</sup> le  
préfet du département de constantine, Avril 1908)

(1) C.A.O.M- B/3/209. (P.V. d'enquête de l'administrateur adjoint de la C.M. d'Aln-  
Touta le 27/12/1916).  
(2) Mahfoud KADDACHE et Djilali SARI. Op.cit, p43.



وفي منطقة سكيكدة (Philippeville) قتل الفلاحون الجزائريون سنة 1918 عشرين معمرا، واثنين من رجال الدرك الاستعماري، وبعض الأعراف بالخدمات الغابية<sup>(1)</sup>

ولاشك في أن محاولة الاغتيال التي تعرض لها الباشا غاسي تدير الذي استولى على 4.600 هكتار من الأراضي الفلاحية التابعة لقيلة أولاد سيدي إبراهيم في بوسعادة، ومقتل ابنه على يد الفلاحين لا تعكس بوضوح تام الملامح البارزة في نظرة الفلاحين العدائية للمعمرين وللأغوات والقياد على حد سواء ممن ابتزوا أراضيهم، وذلك سنة 1921.

ويبدو من خلال هذه الدراسة أن الدافع الكامن وراء ضرب الفلاحين الجزائريين للكلون ولصالحهم لم يكن سوى مجرد الرغبة في استرجاع ممتلكاتهم. ولما كان سكان الأرياف هم الضحايا الأوائل لعمليات اغتصاب الأرض، بطبيعة الحال فإن رد الفعل كان نابعا من هذه الأرياف.

وهناك دلائل تثبت بأن عمليات تخريب مزارع الكلون ظلت مستمرة دون انقطاع، ونظرا لطول الموضوع نكتفي بالإشارة إلى بعضها، إذ كثيرا ما رافقت الإضرابات العمالية أعمال شغب وعنف، كما حدث

(1) Gilbert MEYNIER. Op. cit. p574

(2) Mahfoud KADDACHE. L'Emir Khaled, Alger: O.P.U. 1987, p92

ليلة 04 سبتمبر 1937 حيث أحرق العمال المضربون خمسة أكواخ بضبعة سبتري (SPITERI)، وتبادلوا طلقات النار مع الحراس، وهو الأمر الذي استدعى تدخل الدرك الاستعماري، ورضوخ الكلون لمطالب عمال الأرض الذين كان عددهم في ناحية غرابية (Jemmapes) وزيت عمية (Gastu) حوالي 2.300 عامل<sup>(1)</sup>

واقترى بهم يوم 28 أوت 1937 حوالي 350 عامل بمزرعة داروسة (Daroussa) ببلدية بسباس (Randon)، فرضخ الكلون لمطالبهم، ولم تتخذ ضدهم أي إجراءات عقابية، لاعتن الإضراب، ولاعتن التخريب الذي لحق بالمزرعة<sup>(2)</sup>.

وخلال شهري فبراير-مارس 1937 شهدت الجهة الغربية من الوطن سلسلة من الإضرابات العمالية شملت تسعة مراكز استيطانية في دائرة وهران، وسيدي بلعباس ومستغانم<sup>(3)</sup> رافقتها أعمال عنف

<sup>(1)</sup> C.A.O.M G.G.A Carton 9H/42 (Rapport du capitaine colona d'istria commandant la section de gendarmerie de philippeville sur une grève, philipperville le 06/09/1937)

<sup>(2)</sup> Ibid. (rapport du capitaine CANDIN C<sup>ad</sup> la section de gendarmerie de Bône sur des grèves d'ouvriers vendangeurs. Bône le 31/08/1937)

<sup>(3)</sup> المراكز الاستيطانية التي شهدت إضرابات عمالية هي على التوالي: بوسفر (في 1937/02/11)، تيلوات (1937/02/13) رهانة "Slucien" (1937/02/18)، سفيزف "Mercier-Lacombe" (1937/03/02)، زروالة "Deligny"، سيدي علي بوسيدي "Parmentier"، سيدي حمادوش "Les Trembles" (1937/03/08)، عين البرد "Oued" (1937/03/09)، عين بونيفار "Belle côte" (1937/03/14).



خاصة في سفييف حيث غادر العمال الحقول والمزارع وشكلوا ثلاثة أفواج، بينما توجه الفوج الأول إلى الكولون لتقديم مطالب العمال. فإن الفوج الثاني قصد ضيعات الكولون لإجبار العمال على التوقف عن العمل، أما الفوج الثالث والمتألف من حوالي مائة عامل فقد جاب أفراد القرى القريبة من سيدي بلعباس، فكسروا العتاد الفلاحي، وأضرموا النار في المستودعات، وفي أكوام الأعلاف، فكانت ضيعة موديش (M. MAUDUECH) رئيس بلدية عين البرد الأكثر تضررا وتخريبا.

وفي سيدي بلعباس تراشق المتظاهرون المضربون عن العمل في حقول الكولون مع رجال الدرك الاستعماري بالحجارة العصي، فجرحوا خمسة عشر حارسا جمهوريا، وثلاثة من رجال الدرك من بينهم رئيس الفرقة<sup>(1)</sup>.

وخوفا من تطور الموقف وتحوله إلى حركة تمرد، تدخل رئيس بلدية عين كيال لإعادة الاستقرار، واقنع الكولون بالتفاوض مع العمال والاستماع إليهم<sup>(2)</sup>.

وفي يوم 05 أبريل 1937 توقف عن العمل في مزارع الكولون بعين تموشنت، وعين كيال حوالي ست مائة عامل، وجاءوا مسلحين بالحجارة وبالعصي يطالبون بطرد العمال المغاربة من مزارع الكولون وتشغيل جزائريين بدلهم، ورفع الأجور. وهاجت مجموعة منهم ضيعة شاربونيه (CHARBONIER) فجرحت ثلاثة عمال مغاربة، غير أن الكولون المسلحين ببنادق صيد تدخلوا لتفريقهم من دون أن يطلقوا رصاصة واحدة<sup>(1)</sup>.

ونظرا لعدم تأييد العمال المغاربة للجزائريين في مطالبهم فإنهم تعرضوا للضرب بضييعات الأخوة «مونسينغو» (MONSENEGO) في وادي الخير بمستغانم يوم 09 أبريل 1937، فجرح منهم خمسة عشر عاملا، من بينهم ثلاثة في حالة خطيرة<sup>(2)</sup>.

وفي يوم 09 أبريل 1937 شكل عمال المزارع موكبا يتألف من خمس مائة عامل من الأهالي في منطقة مستغانم، وقصدوا ضيعات الكولون واحدة بواحدة، وأجبروا العمال على إخلائها؛ وفي ضيعة «روكي» (M. RUQUET) انقضوا على الحارس محمد بن شعيب ضربا

<sup>(1)</sup> C.A.O.M.G.G.A Carton 9H/42. ( le préfet d'Oran au gouverneur général de l'Algérie, Oran le 17/03/1937)

<sup>(2)</sup> Ibid. (le maire de la commune d'Aïn Kial à M<sup>e</sup> le préfet d'Oran le 07/04/1937)

<sup>(1)</sup> Ibid. (Le capitaine Chevalier Commandant la section d'Oran. Rapport  
<sup>(2)</sup> C.A.O.M.G.G.A. Carton 9H/42 (rapport des inspecteurs tello et Ourradi au commissaire Chef de la brigade mobile de Mostaganem, le 10/04/1937)



بالعصى فصرعوه، ولما تدخل المعمر «روكي» صباح في وجهه أحد العمال قائلا «ستطردون قريبا وتعود إلينا أراضينا»<sup>(1)</sup>.

ومثل هذه العبارات تكشف لنا بوضوح بأن الاضطرابات العمالية كانت لها خلفيات تاريخية وأبعاد سياسية تهدف إلى انتزاع الأراضي من الكولون وطردهم منها.

ثم حل العمال المضربون بضيعة «كارابو» (Caraboux) فرشقوا العمال الغير مضربين بالحجارة وجرحوا أحدهم، ومن ثم قصدوا ضيعة «مونونيغو» (Mononégro) وانهاكوا على العمال الغير مضربين ضربا بالعصى، نقل منهم أربعة عشرة عاملا إلى مستشفى مدينة مستغانم لتلقي العلاج. وإثر سماعها بالخبر هرعت السلطات الاستعمارية الإدارية والأمنية إلى ضيعة «مونونيغو» بتقديمهم المتصرف الإداري للمظفر (clinchant) وتقيب الدرك الاستعماري لمستغانم، رفقة ستة دركيين، وتذكر التقارير الاستعمارية أن العمال عادوا إلى عملهم في يوم الغد وذلك بعد مفاوضات دامت ساعتين فيما بينهم وبين نائب المتصرف الإداري «سيفي فيلوفاليس» (Seguy VILLEVALEX) قبل فيها العمال استئناف العمل مقابل أجر يومي قدره اثني عشر فرنكا<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> CA.O.M. G.G.A. Carton 9H/42. (Syndicat agricole de Mostaganem. A M' Roux Freissing Sénateur d'Oran-Mostaganem, le 10/04/1937)  
<sup>(2)</sup> CA.O.M. G.G.A. Carton 9H/42.

وما دام العمال قد ارتضوا استئناف العمل مقابل رفع أجرهم اليومي إلى اثني عشر فرنكا، فإن القارئ للتقارير الاستعمارية يتوهم بأن عصيان العمال وتمردهم على الكولون كان منشاء انخفاض الأجر اليومي، بينما توقفهم عن العمل هو في الحقيقة رد فعل له بعده السياسي، لأنه يعبر عن عدم الرضى بالعيش الذليل تحت وطأة الكولون الذين أخرجوهم من أراضيهم وحولوهم إلى عمال أجراء.

وهكذا شكلت حروب الاستنزاف والتدمير المستمر لاقتصاد الكولون الزراعي أحد أهم المظاهر المميزة لمقاومة الفلاحين الجزائريين خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين، إلا أنه ينبغي أن يفهم بأن عمليات حرق مزارع المعمرين لم تكن هدفا في حد ذاته، وإنما كانت وسيلة لتحقيق الهدف وهو إجبار الكولون على التخلي عن الأراضي الزراعية التي استولوا عليها.

ومن بين النماذج التي تبرز استخدام الفلاحين الجزائريين لأسلوب حرب الاستنزاف تلك النيران التي أضرموها في الضيعات والمزارع التالية-وهي قليلة من كثير- في الجهة الغربية من الوطن، وذلك خلال الفترة المحصورة بين شهري يناير وماي من سنة 1937.

مزارع المكولون التي تعرضت لهجمات الفلاحين بغرب البلاد  
(01/08 حتى 01/02 1937) (1)

عدد	المزرعة	التهمة	تاريخ الهجوم عليها	الخسائر وتقديرها
01	شل (Schall)	سنة	1937/01/08	أكوام من القش
02	فورسبون (Forspon)	حاليا	1937/01/29	أكوام من القش قوت بـ 1.500 فوك
03	خومي (Chomi)	شيرة	1937/02/01	عند فلاحين وتخريب للمباني
04	شولدر (Schulder)	حاليا	1937/02/07	أكوام من الأعلاف تقرب بـ 1.200 فوك

(1) C.A.M. G.G.A. Carus 95341 (Le préfet d'arrondissement de l'Algérie en date du 02/07/1937)

05	لويس وكثير	بودانس	1937/02/05	تدمير 22 شجرة زيتون و 11 شجرة فاكهة
06	لويس وكثير	بودانس	1937/02/07	04 أكوام من الأعلاف قوت حترها بـ 750 فوك
07	زيش (Zech)	بودانس	1937/02/26	20 شجرة فاكهة تقرب بـ 1.000 فوك
08	جاكول (Jacquel)	نيون	1937/02/14	أكوام من الأعلاف تقرب بـ 300 فوك
09	براديير (Pradier)	بودانس	1937/02/28	أكوام من الأعلاف تقرب بـ 2.500 فوك
10	برنارد (Bernard)	بودانس	1937/03/04	أكوام من الأعلاف تقرب بـ 300 فوك
11	بيلم (Bellem)	نوليتي	1937/03/11	شجر فاكهة
12	أفترملا (Aftremila)	نوليتي	1937/03/11	تخريب لشجر زيتون
13	مارسيو (Marzio)	نوليتي	1937/03/11	تخريب للمباني



14	كوري (Courret)	توليفي	1937/03/11	تدمير أربع عربات
15	لومبروسير (Le Brasseur)	توليفي	1937/03/11	تدمير أربع عربات
16	بوريس (Bories)	مدي علي بن يوب	1937/02/16	أكول من التين نقدر بـ 1.000 فرنك
17	بيريرا (Perera)	لولا مطوح	1937/03/19	04 عربات قيمتها 1.000 فرنك
18	شامويليف	بودلن	1937/03/26	كومة تين قيمتها 3.000 فرنك
19	لعل قنول	طابيا	1937/03/30	محاولة لحرق كومتين تين
20	باندولين جرافيل	طابيا	1937/04/03	عشرون محاولة لحرق كومتين تبن الخصائر: 300 فرنك

21	فارابي	مدي علي بن يوب	1937/04/05	تدمير 12 عربة
22	ساردان	مدي علي بن يوب	1937/04/08	تدمير 120 شجرة كروم وقطع شجرة زيتون
23	بايري	سفيزف	1937/04/09	حرق مستودع للأعلاف فندرت خسائره بـ 60.000 فرنك
24	سوفيرا جوزيف	سفيزف	1937/04/09	حرق كومة تين قيمتها 10.000 فرنك
25	جاكيل	حاسي زهانة	1937/04/12	محاولة حرق ثلاثة أكول من التين
26	كريش	بوخناقيس	1937/04/20	تدمير 132 شجرة كروم
27	راقيل	طابيا	1937/04/29	تدمير 134 شجرة مثمرة
28	بيليسيون	تلاع	1937/05/02	كومة تين قيمتها 500 فرنك

(rousseau)، فرندة، عين الحديد، سوقر، عين الذهب، سيدي بوبكر،  
أفلو، تنيرة، تغاليمات (Tirman)، بوب (Berthelot)، دهموني، واد  
ناغية<sup>(1)</sup>. ويظهر من خلال رسائل عمال العمالات إلى الحاكم العام  
للجزائر خلال سنتي 1929-1930 أن بعض المجالس البلدية قد طلبت من  
إدارة الاحتلال جريد الكولون من الأسلحة، نظرا لإحساسها بعودة  
الأمن والاستقرار، وخفة حدة الصراع بين الفلاحين الجزائريين  
والمعمرين<sup>(2)</sup>.

وفي سنة 1933 أعطيت تعليمات خاصة لحماية الكولون من  
ضربات الجزائريين الساخطين عليهم، وذلك في أعقاب الحوادث التي  
شهدتها عمالة قسنطينة، حيث وزعت الأسلحة على الكولون في خمسة  
وخمسين قرية استيطانية.

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 3H/52 (Secret, le préfet d'Oran, défense des centres de colonisation)

<sup>(2)</sup> Ibid.

ثورة الشيخ بوعمامة؛ وفي 15 أبريل 1908 أصدرت تعليمات اتخذت  
كقاعدة للدفاع عن الكولون وحماية ضيعاتهم، وعليه أسرعت بعض  
المستوطنات التي شعرت بخطر الفلاحين إلى طلب الأسلحة والذخائر،  
ومنهم المراكز الاستيطانية التالية: عين يوسف (Lavayssiere)، عين  
الطلبة (Guindard)، سليمان، الحصاية (Magenta)، مزاوغو (Rochambeau)،  
تلاغ، عين تدمين، رمشي (Montagnac)، سيدي لخضر (Lapasset)،  
عمي موسى، العالف، عين كرمين، جدبوية (S' aime)، عين الحديد  
(Martireprey)، السوق (Trezet)، عين الذهب (Damiete)، مفتاح سيدي  
بوكر (Charrier)، دهموني (Trumelet). أما المراكز الاستيطانية الأوروبية  
القرية من بعضها البعض والتي يتجاوز عدد المقيمين بها سبعة  
مستوطنا، أو التي تمر السكك الحديدية والطرق المعبدة قريبا منها فإنها لم  
تطلب أسلحة وذخائر حربية، ومنها: جدبوية (S' aime)، وغليزان  
والضيعات الواقعة بين عين كرمين وسيدي أحمد بن علي (Renault)،  
وعين الحمام (Gualbaume) القرية من عمي موسى<sup>(1)</sup>.

وللى غاية سنة 1922 ظل خمس وخمسون مركزا استيطانيا  
بمخاض الحماية في غرب البلاد، من بين هذه المراكز سبعة عشرة بقسم  
معسكر لوحده من: هاشم (Dombasle)، سفيزف (Mercier-Lacombe)،  
ملازم (Pallier)، وادي الأبطال (Uzes le Duc)، سيدي حسني (Waldeck-

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 3H/51.



وحتى لا تنهار معنويات المعمرين فإن سلطات الاحتلال الفرنسي قللت من شأن عمليات الهجوم على مزارع الكولون، فلم يرد ولا مرة واحدة في مراسلاتها عبارة هجمات الفلاحين الجماعية أو الفردية على الكولون. واكتفت بعبارة «إجراءات أمنية و احتياطية»، «احتمال حدوث أعمال شغب»، أو «بناء على طلب السلطات»، «بناء على الظروف الحالية».

وكان على إدارة الاحتلال أن توزع الأسلحة والذخائر على الكولون لتمكينهم من مواجهة الموقف وما يحمله من خطر، ومن تهديد مصيري على وجودهم في الجزائر، وهكذا استفادت ست وخمسون مركزا استيطانيا في عمالة وهران، وست وثلاثون في عمالة الجزائر، وواحد وسبعون مركزا في شرق البلاد من معدات حربية وذخائر<sup>(1)</sup> حيث يظهر من خلال العدد المرتفع للمراكز الاستيطانية التي استفادت من الأسلحة بأن الجهة الشرقية من الوطن كانت فيها مقاومة الفلاحين للكولون أشد وأعنف مما هي عليه في وسط الجزائر وغربها، وهذا على الرغم من قلة تواجد الكولون بها.

وأمام تصاعد العنف واتساع الرقعة الجغرافية للخطر الاقتصادي على الكولون وزعت إدارة الاحتلال الأسلحة والذخائر الحربية على

المعمرين في تسعة عشرة مركز استيطاني منها خمسة مراكز في الغرب (تغاليما، يوب، الهاشم، عين الطلبة، سيدي بن عدة) وثمانية في الوسط (بير اغبالو، خميسي، مهدية، أوعمرية، العبادية، تادمايت، حمام ريفاء، دراق) وستة في الشرق (الأمير عبد القادر، زوارية، عين مخلوف، سيدي مروان، غرام، تادمايت)<sup>(2)</sup>.

واستمرارا للموقف الأمني على هذا النحو في الشرق الجزائري، تدخل الدرك الاستعماري واعتبر قسنطينة، وعين البيضاء، وميلة، وكوندي سمندو (زيفود يوسف حاليا) وعنابة وسكيكدة، وجيمائس (غزابة حاليا) والعروش وقالة وسوق أهراس نقاطا عصبية في حاجة إلى دعم<sup>(3)</sup>، وطالب السلطات الاستعمارية برفع أعداد الدرك ومضاعفة الحراسة، ونظرا إلى الاضرابات عن العمل في مزارع الكولون، وقتل الخونة من المتعاملين مع الاستعمار، والتعصب للدين الإسلامي على أنه نشاط غل بالأمن العام، فإنه على هذا الأساس أصدر عامل عمالة قسنطينة تعليمات تدعو إلى تسليح الكولون لتمكينهم من الدفاع عن أنفسهم في حالة هجوم الفلاحين الجزائريين عليهم؛ وطالب بتدخل الطيران وسلاح الدبابات ومدفعية الميدان في حالة نشوب ثورة بالأرياف

(1) C.A.O.M. G.G.A Carton 3H/52. (défense des centres de colonisation, en date du 11/05/1934).

(2) C.A.O.M. Carton B/3/32 (la défense des compagnes en cas d'émeutes en Algérie).

(3) C.A.O.M. G.G.A Carton 3H/51. (défense des centres de colonisation).

في الشرق الجزائري ، وركز على حماية الأرياف التي يتواجد بها الكولون.

وفي لقاء جمعه بتاريخ يوم 02 أكتوبر 1934 أوصى عامل عمالة قسنطينة باتخاذ الإجراءات الأمنية التالية:

تسليح الضيعات المنعزلة.

إخلاء المراكز الاستيطانية: على السكان الأوروبيين مغادرة المراكز الاستيطانية المحرومة من الحاميات العسكرية ومصالح الدرك الاستعماري، ومقاومة المجموعات بما توفر لديهم من وسائل، والانسحاب إلى أقرب مركز استيطاني أو ملجأ يوفر لهم الأمن.

وأشار عامل العمالة في تعليماته بأن أسلحة وذخائر مستحفظ بها مقرات الدرك الاستعماري لتوزع على الكولون في حالة تعرضهم لاعتداءات من قبل الأهالي.

ونصت خطة الأمن على إبعاد المجندين الجزائريين في جيش الاحتلال وحصرهم في مواقع معينة داخل المراكز الاستيطانية.

وللعلم فقد طلب رؤساء بلديات سدراته، وفج مزالة، والميلة، والطهير من السلطات الاستعمارية بإنشاء مطارات تهبط فيها، وتقلع

منها الطائرات الحربية، أما رئيس بلدية قرقور المختلطة فقد تأسف على الطابع الجبلي لبلديته<sup>(1)</sup>

لم تجد فرنسا من وسيلة للحد من مفعول جهود الفلاحين - في حربهم طويلة الأمد - الرامية إلى تخريب اقتصاد الكولون سنة 1937 سوى تسليح المستوطنين وحملهم على البقاء في ضيعاتهم والدفاع بأنفسهم على مزارعهم؛ غير أن الفلاحين الجزائريين جابهوا الخطة الدفاعية عن الكولون وضيعاتهم بمهاجمة الحاميات العسكرية والاستيلاء على كميات من الأسلحة والذخائر<sup>(2)</sup>

وخلال عام 1938 وزّعت الإدارة الاستعمارية على المعمرين القيمين في ستة وخمسين مركز استيطاني 2.443 بندقية و 273.720 خرطوشة في عمالة وهران.

وللتذكير فإن سلطات الاحتلال كلما أحسّت بخطر يهدد المعمرين إلا أسرع بتسليحهم، وهذا ما حدث خلال أعوام 1881، 1889، 1932، 1933، 1937، 1938، لاسيما في غرب البلاد حيث يتواجد المستوطنون الأوروبيون بكثرة، كما سبق لها أن قامت بترحيل بعض الكولون من الضيعات المنعزلة تحت حراسة جيش الاحتلال حماية لهم

(1) C.A.O.M. G.G.A Carton 3H/52 (défense des centres de colonisation, en date du 06/10/1938)

(2) C.A.O.M. G.G.A Carton 3H/51 (défense des centres de colonisation, en date du 01/07/1935)



من ضربات الفلاحين كما حدث مع كولون نصر الدين (Masque ray)،  
والسوقي في عام 1935 وخوفا من استغلال الجزائريين فرصة اندلاع  
الحرب العالمية الثانية (1939-1945) ومهاجمة المراكز الاستيطانية وإخراج  
الكولون منها واستعادة أراضيهم أصدرت سلطات الاحتلال منشورا في  
21 سبتمبر 1939 تحت رقم 1114- يلزم رؤساء البلديات والمتصرفين  
الإداريين بوضع قوائم للأشخاص المكلفين بالحراسة الدورية داخل  
المراكز الاستيطانية على أن يكون هؤلاء من أبناء الكولون، فسارع  
المعمرون إلى الإعراب عن مخاوفهم بتسجيل أنفسهم، لأن شدة عداء  
الفلاحين للكولون ازدادت حدة بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية.

ومن الإجحاف القول بأن الشبان من أبناء الكولون اعتنوا  
لوحدهم بحراسة المراكز الاستيطانية والضيعات، فضمن قوائم الحراس  
وجدت أسماء لأشخاص يزيد عمرهم عن السبعين سنة، كما تدل على  
ذلك قائمة الحراس التي أعدها مركز عين الكبيرة الاستيطاني  
(Pergenville) بعمالة قسنطينة<sup>(1)</sup>.

واخذت سلطات الاستعمار كل الاحتياطات اللازمة لضمان  
امن الكولون أثناء الحرب العالمية الثانية، فجندت متطوعين من  
المزارعين الأوروبيين وأمدتهم بالأسلحة والذخائر الحربية ليتولوا هم

بأنفسهم حراسة ضيعاتهم وممتلكاتهم، ففي إقليم قسنطينة سلمت  
الإدارة الاستعمارية 3.945 بندقية من عيار 08 مم ، و 1.183.500  
خرطوشة للمعمرين في ثلاثة وأربعين مركزا استيطاني، كما استفاد  
المعمرون في ثلاثة وخمسين مركزا استيطاني في إقليم الجزائر الوسطى من  
4.210 بندقية و 1.263.000 خرطوشة من نفس العيار، وزعت منها 250  
بندقية على مركز تيسمليت (Vialar)، و 300 بندقية على مركز  
شرشال، أما إقليم وهران فقد استفاد فيه خمس وخمسون مركزا استيطانيا  
من 2.310 بندقية و 693.000 خرطوشة من ذات العيار، سلمت منها  
140 بندقية لمركز تلاغ لوحده<sup>(2)</sup>.

وخوفا من تكرار الأحداث التي شهدتها جبال بني شقران سنة  
1914 ، وحتى لا تتعرض ضيعات الكولون للنهب والتخريب في هذه  
المنطقة، فإن فرنسا قدمت للكولون المقيمين بمدينة معسكر 400 بندقية  
من طراز 93/1886، و 06 بندق رشاشة من طراز 29 - 24 F M ، و 06  
رشاشات من نوع (Hotchkiss) ، ومدفعية هاون عيار 81 مم، و 30  
سداس عيار 7,65 مم؛ أما المراكز الاستيطانية التابعة لدائرة معسكر  
فوزعت فيها على مركز وادي ناغية 30 بندقية، وعلى مركز دوميال  
(ماشم) 10 بندق، وعلى مركز فرندة 50 بندقية، وعلى قرطاسة (وادي

(1) I.C.A.O.M. G.G.A. Carton 3H/51 (Organisation, défense des centres de colonisation).

(2) I.C.A.O.M. G.G.A. Carton B/3/68.

الأبطال) 30 بندقية، وعلى شاربني (سودي يوبكر) 20 بندقية، كلها من طراز 93/1886<sup>(1)</sup>.

كل هذا يوحى بخوف الاستعمار الفرنسي من خطر الفلاحين الجزائريين، وعليه أجمع في سياسة الحذر والاحتياط بتوزيع الأسلحة النارية على المعمرين الأوروبيين، وعاد إلى تطبيق التعليمات الخاصة بالدفاع عن المستوطنات التي صدرت في 15 أبريل 1908<sup>(2)</sup>.

والرد السريع لسلطات الاحتلال لقمع مظاهرات 08 ماي 1945 بسطيف وقالة وخراطة وبعننف شديد يثبت بأن إدارة الاحتلال كانت محضرة ومهيئة مسبقا للصدمة وللضرب بقوة.

وبدوره كان حزب الشعب الجزائري -المحظور- يتوقع هو الآخر رد فعل عنيف من قبل إدارة الاحتلال، وعليه، أعطى تعليمات لمناضليه في المدن والأرياف، بحمل السلاح والاستعداد للرد إذا ما تعرضوا لهجمات أو لعمليات قمع محتملة الوقوع من جانب القوات الاستعمارية الفرنسية، من دون أن يعطي أوامر تدعو للثورة أو تحرض عليها.

(1) C.A.O.M. G.G.A Carton 3H/51 (Tableau des répartitions de défense des places et des centres de colonisation, le 08/04/1941).

(2) Ibid. (Alger, le 07/06/1941)



وفي الوقت الذي كان فيه المتظاهرون يوم 08 ماي 1945 يستطِفون لافئات كتبت عليها «تجبا الجزائر المستقلة» «يسقط الاستعمار» «اطلقوا سراح مبصالي» «نسط الشيوعية»، فإن مجموعات من الوطنيين في حزب الشعب وأحباب البيان والحريّة كانت تجوب القرى وهي تحمل السلاح<sup>(1)</sup>.

وبعد وقوع حوادث 08 ماي 1945 قرر مناضلو حزب الشعب الجزائري تعميم الأزمّة في كامل البلاد، فأوفدوا سبعة وعشرين مناضلا إلى مختلف جهات الجزائر لتخفيف العبء على الإقليم الفلسطيني<sup>(2)</sup> وذلك بمهاجمة المراكز الاستيطانية الصغيرة<sup>(3)</sup>، ولما كان الحقد والحول شكنا من نفوس المستوطنين فإن القمع كان بلا رحمة ولا شفقة.

<sup>(1)</sup> Mohamed TEGUIA, Op.cit, p 102

<sup>(2)</sup> Ibid, p 104.

<sup>(3)</sup> فنزل دويوت لعيرون. تاريخ الجزائر المعاصرة، 1830-1976. ترجمة عيسى صفور، لوزان، ج 1، 1982، ص 150

من خلال هذه النظرة الحافظة والدراسة المتواضعة يمكن استخلاص جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

إن الثورات المتتالية التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي كانت جميعها نتيجة حتمية للمسألة الزراعية، وجاءت كرد فعل طبيعي على سياسة التعمير؛ وأن فشل هذه الثورات تسبب في خسارة المزيد من الأراضي الفلاحية ومضاعفة عدد المستوطنات الأوروبية في الجزائر.

إن الحرب على الاستعمار كانت نتيجة متظرة، لأن بطرد الفلاحين الجزائريين وتزجيلهم من أراضيهم نحو المناطق الجبلية والصحراوية وتحويلهم إلى عمال أجراء تكون إدارة الاحتلال الفرنسي قد ارتكبت خطأ حقيقيا تتعدّد أشكاله (سياسي، اقتصادي، اجتماعي)؛ لأن الفلاحين الذين تحولوا إلى أجراء يعملون في الأراضي التي كانت لهم ملكا من قبل لن يطول صبرهم حتى يثوروا ويتمردوا تعبيرا عن غضبهم. إن الأراضي الفلاحية المنقصة كانت هي الباعث الرئيسي والمباشر لاستياء الفلاحين وتمردهم على الكولون.

إن النضال ضد الظلم وضد سياسة الإفكار قد امتزج لدى الفلاحين الجزائريين بالنضال في سبيل استرجاع الأرض وتطهيرها من الكولون، وإن تعلقهم بها كان على الدوام عامل مقاومة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نؤكد بأن عملية اغتصاب الكولون لأراضي الفلاحين الجزائريين كافية لأن تكون سببا ليس فقط في تمرد الفلاحين وعصيانهم، وإنما سببا في الدفع بهم إلى قتل المعمرين وسفك دماهم واستخدام وسيلة العنف الشديد ضدهم، وأخذ حقهم منهم بالقوة.



## الفصل السادس:

### اهتمامات ثورة أول نوفمبر 1954 بالأراضي الفلاحية

تمهيد

- لمحة وجيزة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية للريف  
الجزائري عشية اندلاع  
ثورة نوفمبر 1954

- مكانة الأراضي الفلاحية في موانيق ثورة أول نوفمبر 1954

- صور من العنف الثوري الممارس ضد الكولون

أ- حرق مزارع المعمرين

ب- استخدام العنف ضد غلاة الكولون

- موقف إدارة الاحتلال من عمليات ضرب المجاهدين

لمزارع الكولون

خاتمة

تناول هذه الدراسة الوجيزة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في  
الريف الجزائري غداة اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، والتي يستشف  
منها أسباب ممارسة المجاهدين للعنف الثوري، واستخدامهم القدر  
للثورة، وسلوكهم لتكتيك حربي ثوري، إكراهها للكونلون على مغادرة  
الأراضي التي استولوا عليها.

ويتضمن الفصل الآراء والأفكار التي طرحتها موانيق ثورة أول  
نوفمبر 1954 فيما يتعلق بملكية الأراضي الفلاحية.

ويكشف عن خطورة حرب المزارع وما ترتب عنها من إتهام  
للقنرات الاقتصادية للمعمرين وما حققت للثورة التحريرية من  
مكاسب استراتيجية.

ويطلعنا في الأخير بدق فوسا ناقوس الخطر بالتحرك للقيام  
بإجراءات عسكرية - أمنية، وقائية - لحماية الكولون، وممتلكاتهم،  
لوضع خطط اقتصادية - إصلاحية - للتبلي من الثورة.



لمحة وجيزة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية للريف  
الجزائري عشية اندلاع ثورة نوفمبر 1954

ظلت الزراعة في الجزائر تمثل الفرع الاقتصادي الأكثر أهمية بمساهمتها بنسبة 40 % من الإنتاج، وتشغيلها لـ 80 % من الفئات النشيطة، ومع هذا هبط متوسط حصة الفرد من الحبوب المقدرة بـ 3,8 قنطار لمدة خمسين سنة (1905-1955) إلى 22 قنطار للفرد الواحد سنوياً، كما سيين لاحقاً.

حسب الإحصائيات الزراعية فإنه من بين 630.732 فلاح جزائري كان 438.483 فلاحاً يمتلكون أراضي فلاحية لا تتجاوز مساحة الواحدة منها 10 هكتارات ما يعادل نسبة 69 % من مجموع المساحة، بينما كانت باقي المساحات موزعة على الشكل التالي:

\* 67.170 فلاح يمتلكون أراضي تتراوح مساحتها بين 10 إلى 50 هكتار.

\* 16.815 فلاح يمتلكون أراضي تتراوح مساحتها بين 50 إلى 100 هكتار.

\* 8.490 فلاح يمتلكون أراضي تزيد مساحتها عن 100 هكتار.  
\* المساحة المخصصة لزراعة الحبوب وأشجار التين والزيتون تقدر بـ 7.349.100 هكتار ذات مردود ضئيل (1).

• 532.000 مزارع جزائري يستفيدون من 7.672.000 هكتار بمعدل 14 هكتار للمزارع الواحد.

وهذا التجميع الكثيف للأراضي الزراعية بين أيدي الكولون آل إلى نتائج عادت بالنفع على كبار المتمرين الذين ازدادت مساحات أراضيهم اتساعا، حيث انتقل متوسط حيازة الكولون الواحد منهم من 89 هكتار سنة 1929 إلى 108 هكتار سنة 1952<sup>(1)</sup>

أما متوسط الملكية الأرضية لصغار الكولون فكان 28 هكتارا في حين كان متوسط الملكية الفلاحية لصغار الفلاحين الجزائريين لا يتعدى 05 هكتارات<sup>(2)</sup>.

وفيما يخص المساحات الزراعية -الاستغلالية- الكبرى للأوروبيين، فإن الأرقام المولية كافية للتدليل على التمايز الواضح بين القطاعين الزراعيين الجزائري والأوروبي، فقد كانت الشركة الجزائرية تمتلك 70.000 هكتار، والشركة الجينوفوازية 20.000 هكتار، وشركة القطين بالقبائل الصغرى 56.000 هكتار، وللمعمر «دوسي» (DUSSEIX) 18.000 هكتار، وللمعمر «كريون» (CRILLON) 13.000 هكتار، وللمعمر «كالان» (CALAN) 6.000 هكتار، يضاف إلى ذلك تغطية لكروم مساحة تقدر بـ 400.000 هكتار، يمتلك الأوروبيون نسبة 90 ٪

<sup>(1)</sup> François et Colette JEANSEN, L'Algérie H.L.L., Alger, E.N.A.L., 1993, p. 149.

<sup>(2)</sup> Ibid, p. 190.

• انحصار الأراضي الفلاحية كانت بحوزة الكولون، أو بين أيدي الأقلية الإقطاعية الجزائرية -المتعاملة مع الاستعمار-.

• 440.000 فلاح جزائري فقير بما يكون أراضي تقل مساحتها عن متر هكتارات، زيادة على 570.000 عامل زراعي (فلاح بدون أرض)، وقطع 150.000 هو عدد العاملين الدائمين في الزراعة، أما الباقي فهم موسميون<sup>(1)</sup>.

والى جانب مليون من البروليتاريين الزراعيين يضاف مليون ونصف للثمن من الرجال والنساء في الأرياف، محرومون تماما من كل نشاط يستفيدون من خدمات اجتماعية تحت غطاء المساعدات العالية.

وفي عام 1954 كان القطاع التقليدي للاقتصاد المعاشي يجمع حول 5.200.000 جزائري، وبغسر التعداد التوازن في توزيع الأراضي الزراعية بين الفلاحين الجزائريين والمتمرين بالخفاقات الرقمية التالية :

• 25.000 مزارع أوروبية نصفهم في القطاع الوهراني يستولون على 2.720.000 هكتار<sup>(2)</sup> بمعدل 108 هكتار للمزارع الواحد<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> Ibid p. 156.

<sup>(2)</sup> Jean DESPOIS, L'Afrique blanche, T. I<sup>er</sup>, 3<sup>ème</sup> éd., Paris, P.U.F., 1964, p. 285. Voir aussi, Charles, Henri-FAVROD, La révolution Algérienne, Paris, plon 1959, p. 122. Voir aussi: ZDRAVKO Pecar, Algérie: témoignage d'un ingénieur yougoslave sur la guerre d'Algérie, Alger, S.N.E.D., 1987, p. 281.

• 800 هكتار للأوروبيين، 2.720.000 هكتار، توزع بالتساوي بين 800 هكتار للأوروبيين، 2.720.000 هكتار، 7.000 هكتار للأوروبيين، 15 هكتار، 4.000 هكتار للأوروبيين، 50 هكتار، 5.000 هكتار للأوروبيين، 100 هكتار، 500 هكتار، 1.000 هكتار للأوروبيين، 70 هكتار، 200.000 هكتار، (الترجيع السابق من 1954).



منها، وقد مثلت لوحدها ثلثي الإنتاج الكلي للزراعة سنة 1953، بحيث بلغت مداخيلها 60 مليار فرنك من بين 140 مليار فرنك التي كانت تمثل القيمة الإجمالية لكامل قطاع الزراعة، إلا أن مليوني هكتولتر فقط من بين 18 مليون هكتولتر المنتجة في الجزائر كانت تستهلك محليا، لأن المسلمين الجزائريين لا يستهلكون الخمر.

وفي حين بلغ إنتاج الكروم 58.500.000 هكتولتر سنة 1953 في فرنسا، فإنه لم يتجاوز 16 مليون هكتولتر في الجزائر، فأقلقت هذه الوضعية الكولون وإدارة الاحتلال في الجزائر، وبدأ التفكير في التدخل عن إنتاج الخمر الرديئة باستبدالها بإنتاج أجود، إلا أن عملية اقتلاع الكروم ستكلف الدولة من 50.000 حتى 100.000 فرنك للهكتار الواحد، كما أن بناء خزانات لحفظ الخمر سوف يكلف الخزينة 70 مليار فرنك، وهو الأمر الذي أبغى الأمور على حالها؛ وبما كان الكيلوغرام من الطماطم يساوي 30 فرنكا في الأسواق الجزائرية، فإنه أمام زيادة محصول الطماطم خلال هذا الموسم لجأ الكولون إلى إتلافها بعد جنبها، أو تركها لتتحلل وتتعفن داخل الحقول.

وأمام الزيادة السكانية للجزائريين، ونجراً لأراضيهم الفلاحية (الإرث) وقلة مردودها الهكتاري (05 حتى 07 قناطر في الهكتار الواحد)، والإشغافات التي تهلك سنوياً حوالي 50.000 هكتار، زد على ذلك اقتطاع الدولة لأراضي زراعية من الجزائريين للمصالح العام، فإن

نصيب الفرد الجزائري من الحبوب قد نزل إلى قنطارين خلال سنة 1953 بعدما كان 05 قنطار سنة 1871، و 04 قناطر سنة 1900، و 2,5 قناطر سنة 1940<sup>(1)</sup> وهو الأمر الذي تطلب استيراد 900.000 قنطار من الحبوب سنة 1951<sup>(2)</sup>.

أما الحمضيات التي شهدت زيادة في الإنتاج بسبب توسيع الكولون لمساحاتها الزراعية فإن غلالها كانت تصدر إلى الخارج، ففي سنة 1953 بلغت صادراتها 2.443 مليون قنطار مقابل 775 قنطار سنة 1938<sup>(3)</sup>، أما قيمة الصادرات الزراعية فقد بلغت 105 مليار فرنك من ضمن محصول زراعي إجمالي يقدر بـ 190 مليار فرنك في وقت كانت فيه الجماهير الجزائرية تعاني من سوء التغذية<sup>(4)</sup>. أما تربية المواشي التي تمثل إلى جانب الحبوب الثروة الأساسية للفلاح الجزائري فقد هبط إنتاجها هي الأخرى، فإن المعدل الذي كان يقدر بـ 35 بقرة، و 156 ماشية لكل مائة ساكن فيما بين 1934-1941 أصبح 23 بقرة، و 134 ماشية لكل مائة ساكن فيما بين 1948-1953<sup>(5)</sup>.

(1) محمد حري، الثورة الجزائرية. سنوات لمخاض، ترجمة نجيب عباد وصالح المشولي، الجزائر، 1994، ص 89.

(2) - Bull de la presse d'Algérie ( questions Musulmanes ) période du 1 au 15/06/1954, N° 1340, NA/5, p 187.

(3) - Francis et Colette JEANSON, Op. cit, pp 151-152.

(4) - Francis et Colette JEANSON, Op. cit, p 163.

(5) - G.G.A. Service d'information et de documentation, articles de presse Français ou étrangère concernant l'Algérie, Juillet - Août 1954, N° 08, p 19.



وبحلول عام 1954 كان الأوروبيون يمتلكون 22.037 ضيعة مساحتها 2.726.000 هكتار، ومنتوجها يمثل 66 ٪ من جملة الإنتاج الفلاحي، و 55 ٪ من جملة المنتوج الجزائري، وكانت مداخيلهم تبلغ 93 مليار من الفرنكات، كما كانت الفلاحة الأوروبية تعمل من أجل السوق (3) إلى 7.04 ٪ فقط للاستهلاك الذاتي). أما الجزائريون فكانوا يستغلون 630.732 ضيعة، 20.000 منها تستغل حسب الأساليب الرأسمالية، و 70 ٪ منها لا تفي بحاجة مستغليها (4).

#### الحالة الاجتماعية

في حين شهد عدد الأوروبيين المقيمين بالجزائر خلال المرحلة من 1945 إلى 1954 تناقصا في السكان قدر بـ 27.000 نسمة، نرى عدد السكان الأهالي يتزايد بـ 1.470.000 نسمة، وللعلم فقد شهدت هذه الفترة تركيز نسبة 13 ٪ من مجموع سكان الجزائر بالمدن الساحلية مثل الجزائر وهران وعنابة، ونسبة 87 ٪ المتبقية تتوزع على المدن الداخلية والأرياف.

كانت البرجوازية الريفية المثلثة لـ 4 ٪ من سكان الريف تشكل أعلا طبقة داخل المجتمع الريفي وعدد أفرادها لا يتجاوز 25.000 شخصا، تتجاوز ملكية الواحد منهم 50 هكتارا، أما نسبة الـ 96 ٪ المتبقية فيشكل منها الجمهور الريفي - الذي سوف يشارك بقسمه الأكبر في

(1) - Ibid. Voir aussi: Pierre GOINARD: *Algérie: l'œuvre Française*, Paris 1984, p 131.

حرب التحرير - وهذا القسم بالذات مجزء، فمئة حوالي 160.000 فلاح صغير يمتلكون أراضي استغلالية تتراوح مساحتها بين 10 و 50 هكتار ويشكلون البرجوازية الريفية الصغيرة والمتوسطة.

أما الجزء الأكبر من المستغلين الزراعيين فيجمع 440.000 فلاح فقير لا تتجاوز المساحة الأرضية للواحد منهم 10 هكتارات، ويشكلون حوالي 70 ٪ من مجموع الفلاحين ومن هؤلاء الفلاحين انبثقت البروليتاريا الفلاحية المقدر عدد أفرادها بـ 112.000 عاملا دائما، و 459.000 من العمال الموسمين، يضاف إليهم مليون ونصف مليون فلاح بدون عمل (1) كما أشير إليه سابقا، ومع أن هذه الأرقام لا تتفق مع تلك التي أوردها الكاتب ميشال لوني فيما يخص العمال الزراعيين خلال سنة 1954 (2)، فإنها على الرغم من ذلك تؤكد لنا صحة التراجع الذي أصاب القطاع الفلاحي الجزائري، وتحول الفلاحين الجزائريين من ملاكين وأسياد على أراضيهم إلى عمال أجراء في مزارع الكولون، وذلك بعد أن عجزت أراضيهم الفلاحية عن ضمان استمرارية الإنتاج الزراعي الكافي لهم.

(1) - Mohamed TEGUIA, Op. cit, p p 230 - 231.

(2) - 357.000 أجير يومي، 77.100 عامل موسمي، 108.000 عامل دائم، و 1.438.300 شخص يعملون كمعمال زراعيين تحت اسم: «اليد العاملة لقرارية عائلية». وعموما يوجد في الجزائر 500.000 فلاح، و 2.000.000 عامل زراعي. Michel LAUNAY, Op. cit, p 281.

لما معدل الدخل الزراعي للفلاح الجزائري فكان خلال سنة 1954 لا يتعدى 22.000 فرنك سنويا، بينما كان متوسط دخل الفلاح الأوروبي يتجاوز 78.000 فرنك سنويا.

وتتلاقا من متوسط المساحات الأرضية الاستغلالية التي يمتلكها الفلاحون، وبناء على المداخل السنوية لكل منهم، يمكن إخضاعهم للتقسيم التالي:

- الفلاحون الميسورون المستخدمون ليد عاملة دائمة وموسمية.
- الفلاحون المتوسطون المملكون لأراضي أقل اتساعا، ولكن في حاجة دائمة إلى أيدي عاملة إضافية.
- الفلاحون الصغار المملكون لأراضي أقل اتساعا بشكل مؤقت، أو عن طريق الاستئجار بما يمكنهم من عدم اللجوء إلى اليد العاملة.
- البروليتاريون وهم الفلاحون الذين لا يسعهم العيش من منتج أراضيهم ما لم يتحولوا مؤقتا إلى أجراء أو عمال موسمين<sup>(1)</sup> وهم الذين يشكلون الغالبية العظمى من سكان الريف الجزائري.

أما ديموغرافيا فندلنا إحصائيات سنة 1954 أنه من بين حوالي عشرة ملايين نسمة في الجزائر، يوجد 1.230.000 نسمة من أصل أوروبي (11 من جموع السكان)، وأن عدد السكان المسلمين الجزائريين (الأهالي)

(1) Francis et Colette JEANSON. Op. cit. p 163

قد تضاعف بثلاث مرات فيما بين 1856-1954، كما قدر عدد المواليد بـ 320.000 مولود سنويا، وهو الأمر الذي رفع نسبة الفتوة في المجتمع الجزائري بحيث أصبح 50 ٪ من السكان تقل أعمارهم عن العشرين سنة (3.700.000 نسمة)، و 45 ٪ بين العشرين والستين سنة (3.330.000 نسمة)، و 05 ٪ أعمارهم فوق الستين سنة (370.000 نسمة)<sup>(1)</sup>

كما أن نسبة الوفيات المقدرة بـ 8 ٪ لم تؤثر على الزيادة الطبيعية لدى الجزائريين (3,8 ٪). ورغم المجاعات المتلاحقة وأعمال الإبادة، وأصل الشعب الجزائري نموه، فعدد السكان -الأهالي- الذي كان يقدر بـ 2.733.000 نسمة سنة 1860، ارتفع إلى 3.577.000 نسمة عام 1891، ليصبح 4.923.000 نسمة عام 1931، ليلعب 8.460.000 نسمة عام 1954، إلا أن هذا النمو لم يصحبه تطور في الخيرات وتوزيعها. وجراء ذلك الانفجار الديمغرافي شكل التزوح إلى المدن تحديا آخر للنظام الاستعماري<sup>(2)</sup>، فلم يبق للبطالين في الأرياف من حل سوى الهجرة نحو المدن الداخلية -حيث ازدحمت بهم الأحياء القصديرية- أو نحو فرنسا أين كانت تنتظرهم الأعمال الأشد شقاء بسبب عدم تأهيلهم مهنيا؛ فعلى سبيل المثال: من بين 155.000 عامل جزائري في فرنسا كان

(1) ينظر: جون جيلسي، ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمن صدقي أبو طالب، مراجعة رائد المروى، دار المصرية للنشر، 1959، ص 46.

(2) محمد حرمي، الثورة الجزائرية سنوات المحاض، مرجع سابق، ص 128.



يوجد 115.000 عامل بدوي غير مؤهل يستغلون وفق تعهدات لا تخضع لتتبع العمل؛ وتشير التقديرات أن سبع (1/7) سكان الريف ممن كانت تتراوح أعمارهم بين 20 و 59 سنة دفع بهم الفقر إلى الهجرة إلى فرنسا؛ وفي بلاد القبائل فإنه من ضمن عشرة رجال كان خمسة يهاجرون إلى فرنسا<sup>(1)</sup>.

وفي الوقت الذي نزلت فيه الأزمة الاقتصادية بويلاتها على رأس الفلاحين الجزائريين وعمال الأرض إلى حد تخليهم عن أراضيهم والهجرة إلى فرنسا سعيا وراء لقمة العيش؛ وحتى لا يرتفع ثمن اليد العاملة الفلاحية، فإن المعبرين فتحوا المجال واسعا أمام العمال المغاربة للعمل في حقولهم تعويضا لليد العاملة الجزائرية، حيث تجاوزت اليد العاملة الزراعية الأجنبية في الجزائر نسبة العاملين بحقل الزراعة، فمن بين 150.000 عامل أجنبي بالزراعة في القطاع الوهراني يوجد 115.000 من إقليم الريف المغربي، وهذا على حساب الجزائريين الذين ضربتهم البطالة<sup>(2)</sup>.

وإن كانت أوقات العمل في فرنسا لا تتعدى 08 حتى 09 ساعات في اليوم، فإن العمال الجزائريين كانوا يتجاوزون 12 ساعة وحتى 14 ساعة يوميا. وفي سنة 1954 كان دخل الفلاح الجزائري يبلغ 17,691 فرنكا

مقابل أزيد من 800.000 للمعمر<sup>(1)</sup>. أما أجر العامل الزراعي الموسمي فكان لا يخضع لأي تشريع، وما على العامل في مزرعة الكولون سوى قبول الأجر المقروض في غياب الرقابة. وأساءه الأجور كانت تلك التي يتلقاها عمال الحلفاء بالمضارب العليا؛ وخلافا للعمال الفلاحين في فرنسا، فإن العمال الفلاحين في الجزائر كانوا لا يستفيدون من المنح العائلية؛ وحتى عام 1953 لم تكن سوى 1.240 عائلة به 2.718 طفل تحضى بالمنح العائلية التي كانت تسد من قبل صندوق التأمينات التعاونية للقرض الفلاحي (Caisse d'assurance mutuelle de crédit agricole)، زد على ذلك فإن عمال الزراعة كانوا يعانون من التفرقة في المعاملات، فالموسميون لا يتمتعون بالضمان الاجتماعي خلافا للدائمين (170.000 عامل في الزراعة بصفة دائمة سنة 1953)؛ أما التعويض عن حوادث العمل بالنسبة للعمال الزراعيين فلا ذكر له، فشأنه شأن العطل المرضية التي لا تعوض.

كما طبقت سياسة عنصرية بين العمال الزراعيين إن في تحديد الأجور أو توزيع المهام، والجدول الموالي يبين لنا تطور بنية الأجور فيما بين 1913-1930.

<sup>(1)</sup> محمد حربي، المرجع السابق، ص 89.

<sup>(1)</sup> Francis et Colette JEANSON. Op. cit, pp 167-170  
<sup>(2)</sup> G.G.A. Bull de la presse d'Algérie (questions Musulmanes) du 18 au 30/04/1954 p 114

السنة	الأوروبيون	الجزائريون
1913	06 حتى 08 فرنك	02.5 فرنك
1920	10 حتى 12 فرنك	08 حتى 06 فرنك
1950	16 حتى 18 فرنك	13 حتى 14 فرنك

المراجع: عبد اللطيف بن شنو، تكون التخلف في الجزائر، الجزائر: منشورات (دنت)، ص 30.

الرعاية الصحية لسكان الريف فلا مجال للحديث عنها، فداء الملايا (هي المستنقعات) والتيفوس (الحصى الصفراء) بلغت إصاباته نسبة 168% سنة 1952، أما نسبة مرض السّل فقد بلغت 181 %، بينما بلغت الوفيات لدى الأطفال البالغين من العمر أقل من خمس سنوات 50%<sup>(1)</sup> وبعد اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954 بدأت مآسي القلاح الجزائري تطرح نفسها بصورة جدية. فبين شهر ديسمبر 1954 وشهر فبراير 1955 ضربت فرنسا على سكان الأرياف الجزائرية حصارا اقتصاديا بحجزها لكميات هامة من الحبوب والتمور -100 قنطار من المواد الغذائية- كما أوقفت قوافل عملة بالمواد الغذائية بحجة أنها موجهة للتوار<sup>(2)</sup>. وحولت مليار و330 مليون فرنك من ميزانية 1953-1954 لخدمات الشرطة.

<sup>(1)</sup> Francis et J. Colette. Op. cit, p 170.

<sup>(2)</sup> Ibid, p 200.

كما أثرت حركة تجمع سكان الأرياف في نقاط معينة أو بالقرب من القرى القديمة بشكل يبلغ على الفلاحين الجزائريين لاسيما خلال الفترة من 1957 إلى 1960؛ حيث أصبح 2.160.000 قلاح جزائري<sup>(1)</sup> ما يقارب ربع سكان الجزائر مبعدين بشكل أو بآخر عن أراضيهم الزراعية؛ وفي أبريل 1961 بلغ عدد المحتشدين بالتجمعات الإجبارية 2.350.000 شخصا يضاف إليهم 1.170.000 شخص لجئوا إلى المدن، معنى هذا أن 50 % من سكان الريف الجزائري قد غادروا مساكنهم<sup>(2)</sup> حيث قدر عدد سكان الأرياف المقيمين بمراكز التجمع الإجباري خلال السنوات التالية بما يلي :

سبتمبر 1958 : 535.000 نسمة (حسب القيادة العامة لجيش الاحتلال).

أكتوبر 1958 : 740.000 نسمة (حسب الأرقام الصادرة عن إدارة العملات).

أبريل 1959 : حوالي مليون نسمة (وفقا لـ «ديلوفي» (Selon M. DELOUVIER).

ديسمبر 1960 : 1.600.000 نسمة (حسب : «لاسيمان -الجيري» (Lasemaine -Algérie).

ماي 1961 : 2.075.256 نسمة (وفقا لـ «موران» (Selon MORIN).

<sup>(1)</sup> François PERROUX. L'Algérie de demain, Paris V<sup>me</sup>, P.U.F. 1962, p 84.  
<sup>(2)</sup> Claude COLLOT. Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830-1962 Alger: O.P.U, p 160



وقد حشد هؤلاء في 3.425 مركز تجمع تحول 1.200 منها إلى قرى جديدة، بينما شهدت إدارة الاحتلال بنفسها على أن الـ 2.225 مركز - الشقية - لا تستجيب لشروط الإقامة فيها، وهو الأمر الذي دفع السلطات الاحتلال إلى تسريع 950.000 نسمة<sup>(1)</sup>.

وقد اعتبر جميع سكان الريف في المحتشدات الإجبارية أسوء رد فعل للسلطات الاستعمارية تجاه الفلاحين الذين اختار منهم حوالي 1.200.000 طريق الهجرة إلى تونس والمغرب للإقامة في مخيمات اللاجئين بدل العيش في المحتشدات.

وهكذا فإن حدة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، والنفسية (الشعور بالإهانة) للشعب الجزائري في ظل النظام الاستعماري الجائر ستدفع به إلى الثورة وخوض حرب تحريرية شاملة، الهدف منها الحرية والاستقلال واستعادة الأراضي المقتصة.

ويبدو أن موضوع الملكية الأرضية وحالة الفلاح المزرية كانت أحد أبرز الموضوعات التي عالجتها صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قبل اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954.

ففي مقال مقتبس من جريدة البصائر صور لنا الشيخ البشير الإبراهيمي الحالة المؤسفة التي تدهور إليها مستوى العيش لدى الفلاح

عن: El Moudjahid: organe central du F.L.N n° 81 du 04 Juin 1981

الجزائري، حيث شبهه بالفلاح الباكستاني الذي يجهد نفسه في خدمة الهندوسي مقابل جزاء نقدي مهين<sup>(1)</sup>.

أما أحد محمودي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الجزائري فقد كتب مقالا في جريدة «Liberté» ليوم 27 نوفمبر 1952 يتساءل فيه عن حقوق الإنسان التي ما فتئت فرنسا تدافع عنها حتى خارج حدودها، وعن المهمة التي جاءت تحملها إلى الشعب الجزائري المتخلف للوصول به إلى مرحلة التطور والازدهار<sup>(2)</sup>.

وفي حين خصّصت الصحافة الإسلامية الجزائرية مكانة هامة لموضوع الترويح الريفي، والبطالة، والطفولة المشردة، وظاهرة التسول، وانتشار الأحياء القصديرية<sup>(3)</sup> فإن الصحافة الفرنسية ظلت تدافع عن مصالح الكولون مهمة الحديث عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي آل إليها الشعب الجزائري.

وقد كتب أحمد فرانسيس مقالا في جريدة «République Algérienne» ليوم 04 جوان 1954 حذر فيه الفلاحين من الإصلاحات التي تنوي فرنسا تطبيقها على التعاونيات الفلاحية للاحتياط (S.A.P)<sup>(4)</sup> أما

<sup>(1)</sup> G.G.A. Bulletin de la presse d'Algérie ( questions Musulmanes ) période du 1<sup>er</sup> au 15/09/1952. N° 2251. N/A/5, p 257

<sup>(2)</sup> G.G.A. Bulletin de la presse d'Algérie ( questions Musulmanes ) période du 16 au 30/11/1952, p 335

<sup>(3)</sup> صوت الجزائر ليوم 1954/03/27 - 09/04/1954

<sup>(4)</sup> Bull de la presse d'Algérie (questions Musulmanes) période du 01 au 15/06/1954. N°1340. NA/5, p 157

تشراء المعدات الزراعية الضرورية، من جهة أخرى هي التي أدت إلى تدهور حياة الفلاح.

ومن الكتاب الثوريين الذين حملوا على الظلم الاستعماري وأثاروا في كتاباتهم معاملة المستوطنين القاسية للفلاحين الجزائريين ولعمال الأرض، نذكر محمد ديب صاحب كتاب «الحريق» (L'Incendie) حيث كتب بأن بطل قصته عمر قد غادر تلمسان في 1939 ليلتحق بالعمل في حقول الكولون إلى جانب الفلاحين البؤساء؛ وفي محاولة لقطع علاقاتهم مع قرون العبودية الصامتة نظم هؤلاء الفلاحون أنفسهم في نقابة وقرروا إضرابا عن العمل للحصول من الكولون على أجور حسنة، لكن حريقا شديدا فجأة فاقى على أكوامهم؛ ومع هذا اتهم الكولون العمال المضربين عن العمل بإضرار النار...<sup>(1)</sup>

أثار هذا المؤلف حماس الجزائريين على حدّ تعبير الكاتب محمد عراب في مقال له نشر في جريدة «المسلم الصغير» (Le Jeune musulman) ليوم 30 جويلية 1954، وقد اغتنم الكاتب هذه المناسبة ليكشف عن بؤس الجزائريين، وعن الجوع والقمع البوليسي ومأساة شعب مسلوب... كتب له العيش تحت التهديد الدائم للقائد، ولفزع الشرطة ورعبها<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> G. G. A. S<sup>se</sup> des liaisons Nord Africaines, bull de la presse d'Algérie (questions Musulmanes) période du 1<sup>er</sup> au 15 Août 1954, p p 237-238  
<sup>(2)</sup> G. G. A. S<sup>se</sup> des liaisons Nord Africaines, bull de la presse d'Algérie (question Musulmanes) période du 1<sup>er</sup> au 15 Août 1954, p p 237-238

الدكتور بن خليل المؤيد السابق للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في الجمعية الجزائرية، فقد صرح قائلا بأن الضحايا الحقيقيين للإصلاحات التي تشهدها التعاونيات الفلاحية للاحتياط هم الفلاحون وليس الأوليغاركيون أي الأقلية المستغلة لمصالح البلد، والتي حسب رأيه هي السبب في تخريب مؤسسة القرض الفلاحي، وطالب بضرورة توزيع القروض توزيعا حقيقيا، وإطلاق حرية تجارة الحبوب<sup>(1)</sup>.

وفي اجتماع لها خلال يومي 03 و04 جويلية 1954 بالجزائر العاصمة وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجزائري نداء تطالب به بالحرية الاجتماعية للعمال والقضاء على استغلال الإنسان لأخي الإنسان، ومنح الأراضي الزراعية لمن يخدمها<sup>(2)</sup>.

يتضح من خلال الأقوال التي أدلت بها الصحف والأحزاب الوطنية الجزائرية بما فيها الحزب الشيوعي الجزائري بأن السياسات الفرنسية العقارية، وضغوط الإدارة الاستعمارية ورغبة الكولون في الحصول على المزيد من الأراضي الفلاحية من جهة، وتدني الاستثمارات الرأسمالية في القطاع الزراعي الجزائري بسبب عدم وجود مدخولات لدى الفلاحين الجزائريين الصغار - وعدم توفر القروض الزراعية

<sup>(1)</sup> Bull de la presse d'Algérie (questions Musulmanes) période du 01 au 15/06/1954, N° 1340, NA/5, p 178  
<sup>(2)</sup> G. G. A. S<sup>se</sup> des liaisons Nord Africaines, bull politique mensuel n° 1902

NA/3, mois de Juillet 1954 p 82.



وعليه فإن الحل الحقيقي للتهدؤ بالاقتصاد يكمن في توسيع الأراضي الزراعية ورفع المردود الهكتاري للمحاصيل بمزارع الفلاحين الجزائريين نظراً لضاكته مقارنة بالمردود الهكتاري لمزارع الكولون، حيث يفسر هذا الضعف في المردود بتجزؤ الأراضي، وقلة المساحة الزراعية لدى الفلاحين الجزائريين. وانتشار نظام الخماسة، وغياب الوسائل التقنية.

فعلى العموم يعزى تخلف الفلاح الجزائري إلى عوامل تقنية، واقتصادية واجتماعية وإستراتيجية وإدارية وسياسية في آن واحد.

تلك هي الظروف التي اندلعت فيها ثورة أول نوفمبر 1954، وهي ظروف الحرمان التام، وسوء التغذية المستديمة، والمحطاط الوضعية الاجتماعية، والفقر السياسي الشديد، وبما أن الفلاحين الجزائريين هم أول ضحايا هذه الحالة، فإن الفضل يرجع إليهم في إعطاء الثورة التحريرية الانطلاقة الأولى وضمان الاستمرار والنصر لها<sup>(1)</sup>

ومع أن العقد الذي تلا مباشرة الحرب العالمية الثانية (1945-1954) قد شهد عودة إلى تنشيط الإنتاج الزراعي في إطار خطط التنمية الاقتصادية الفرنسية حيث ارتفعت نسبة النمو الزراعي بين عامي 1948-1954 بـ 10 ٪ مقارنة مع الفترة السابقة (1930-1945)، إلا أن

<sup>(1)</sup> مصطفى الأشرف - الجزائر، الأمة والمجتمع، مرجع سابق، ص 360

الفجوة بين مستوى المعيشة بين الجزائريين والمعمرين قد ازداد عمقها بسبب زيادة وتيرة النمو الديمغرافي خلال هذه المرحلة بنسبة 2.2 / (1).

### مكثافة الأراضي الفلاحية هي موثيق ثورة أول نوفمبر 1954

إن وجود الكولون المائل على الأراضي الزراعية الحصة هو عامل أساسي في تفسير الأسباب الموضوعية لإدراج المجاهدين ضمن مخططهم الاستراتيجي مسألة الأراضي الفلاحية، وقضية الكولون وضرورة تنظيم الطبقة الفلاحية، وتوجيهها لكونها طبقة اجتماعية تؤلف أزيد من 70 ٪ من سكان الجزائر (2).

فعلى عاتق سكان الأرياف، وكاهل أبنائها متلعب الأدوار الرئيسية للثورة التحريرية على المستوى العسكري؛ وبما أن حرب الجزائر هي حرب تحرير وطنية، فإنها حظيت بتأييد الفلاحين الجزائريين الذين ربطوا كفاحهم من أجل الأرض بالاستقلال الوطني (3) وهكذا ظلت الطاقات البشرية لجيش التحرير الوطني تتجدد باستمرار، وهذا على الرغم من الخسائر البشرية التي منيت بها الثورة، وهو الأمر الذي أبهر قادة الجيش الاستعماري، وأفسد عليهم توقعاتهم وحساباتهم وللعلم فإن القسم الأكبر من المجاهدين كان من صمل فلاحين بحيث كان يقابل

أسير أمين، المرجع السابق، ص ص 230-231

عبد الملك خلف التميمي، «الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي»، علم المعرفة، عدد

71، أكتوبر 1983، ص 22.

(3) Mohamed TEGUIA: L'Algérie en guerre. Alger S.N.E.D. O.P.U (S.D.), p 169



منه من الفلاحين مدنيا واحدا في أعداد صفوف جيش التحرير الوطني<sup>1</sup>.

ظلت الأرض الزراعية المغتصبة تشكل مطلباً استعجالياً وضرورياً في كل التشايع الرامية إلى تحرير الوطن، وهذا إتصافاً للفلاحين لما قاموا به من دور حاسم وفعال ضمن حركة التحرير الوطني، تحقيقاً للمعادلة الاجتماعية لصالح سكان الريف.

وقد يكون من المثل أن نذكر جميع النصوص الصادرة عن جبهة التحرير الوطني والتي تلح على الأولوية المطلقة للزراعة في كل إصلاح نوته الجزائر المسئلة سياسياً.

لم يطرح بيان أول نوفمبر 1954 مسألة الأراضي الزراعية صراحة، وقدم فقط الحد الأدنى من برنامج جبهة التحرير الوطني، وركز على المفاوضات والاتفاقيات، واقترح إجراءات عامة على الصعيد الداخلي والخارجي. ولم تكن عبارة الحقوق المكتسبة بطريقة شرعية من طرف الأفراد والجماعات - سواء كانت هذه الحقوق اقتصادية أو ثقافية - الوارد ذكرها في بيان أول نوفمبر 1954 تعني المساس بالسيادة الوطنية أو تنازل جبهة التحرير الوطني للمعمرين عن الأراضي الزراعية. أما مؤتمر الصومام 1956 فقد سجل برنامجه مسألة الإصلاح

<sup>1</sup> من ثلاثة عشر لثمانية عشر في مجاهد ثورة أول نوفمبر 1954 (1954-1958)، رسالة منقولة، جامعة وهران قسم التاريخ سنة 2001، ص 194.

الأراضي، ونص صراحة على أن انتزاع الأراضي من المعمرين لن يكون إلا عن طريق «نشر أسباب الخطر في البوادي بأعمال الإغلاف وإحراق التواريخ، وتحطيم محلات الجمعيات التعاونية للتبغ والخمر التي هي رمز وجود الاستعمار»<sup>(1)</sup>.

وتفسير ذلك أن متهاج الصومام ربط نجاح سياسته الهادفة إلى طرد الكولون من الجزائر، واستعادة الأراضي الفلاحية المغتصبة إلى أصحابها الشرعيين بشرط إقحام سكان البوادي والأرياف بإشراكهم في العمليات الثورية ضد مصالح الاستعمار، لا سيما في المناطق الأهلة بالكولون، ودعا إلى ضرب المنشآت الزراعية الاستعمارية كما أشير إليه.

ونظراً لرغبة الفلاحين الملحة في استعادة أراضي آبائهم وأجدادهم أصبحوا بطبيعة الحال يشكلون الدرع الواقعي للثورة وسهمها الحارق.

ومثل هذه المعطيات تمكنتنا من القول بأن الثورة الجزائرية اندلعت أساساً لتحرير الأرض، وبالتالي فهي ثورة فلاحين، وإن كانت فكرة الثورة نشأت أصلاً بالمدينة وحملها مناضلو الأحزاب الوطنية إلى الأرياف، أو نقلها سكان الأرياف بأنفسهم عن طريق انتقالهم إلى المدينة

<sup>1</sup> حزب جبهة التحرير الوطني، قسم الإعلام والثقافة، النصوص الأساسية لحزب جبهة التحرير الوطني 1954-1962، مقتطفات من منهج الصومام 1956/08/20، (د. ت.)، ص 33.



واحتكاكهم بالمتاضلين فيها. والتقاء المدينة بالريف وتلاحمهما مر  
تصير صادق من البعد الوطني للثورة الجزائرية<sup>(1)</sup>.

ومن خلال الحديث الصحفي الذي أدلى به السيد سعد دحلب وزير  
الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلى مجلة  
«الريك/كسيون» نلمس الاهتمام البالغ لقادة الثورة التحريرية بعملية  
توزيع الأراضي على الفلاحين التي تترجم على حد قوله «رغبة جبهة  
التحرير في إعادة العدل إلى نصابه أي إلى الفلاحين الذين كانوا  
يعملون في الأرض، والذين يتحملون -اليوم- العبء الأكبر في  
التفاح، وأنه لا يوجد جزائري واحد لا يفكر بأن الأرض يجب أن تعود  
إلى الفلاحين»<sup>(2)</sup>.

ومثل هذا التصريح لا يدع مجالاً للشك في أن جبهة وجيش التحرير  
الوطني كانا يتفكران للفلاحين ولعمال الأرض بعين الاحترام والالتزام،  
ويصور لنا بأن الحرب التي تخوضها الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي لم  
تكن سوى حرباً من أجل تحرير الأراضي الفلاحية وتخليصها من أيدي  
المستعمرين الأوربيين وتوزيعها على الفلاحين الجزائريين.

<sup>(1)</sup> من دأفة عبد المرحم سابق، ص 196.

<sup>(2)</sup> يوسف بن خدة للثلاثاء 14 جوان 1986، ص 34.

34. نقل من مجلة «مطرب» العدد 57 الصادرة بتاريخ 16/01/1961.

وفي عام 1958 مارست جبهة التحرير الوطني ضغوطات على  
الفلاحين الجزائريين لتشدهم إلى الأرض واقتعتهم بضرورة البقاء في  
الريف مساهمة منهم في إفشال السياسة الاستعمارية الرامية إلى إفراغ  
الريف الجزائري من محتواه الديمغرافي.

وفي رسالة بعث بها المرشح لحضر<sup>(1)</sup> إلى الرقيب عبد العلمي، يتضح  
بجلاء طابع القساوة الشديدة والعقاب بالموت في حق الفلاحين الذين  
غادروا الأرياف ليسكنوا المدن والقرى الآهلة ما لم يعودوا إلى الريف  
بأسرع ما يمكن، فالذين عصوا أوامر الجبهة يلاحقهم الموت حتى بعد  
استرجاع الجزائر استقلالها.

ومثل هذا التصرف يعد رد فعل طبيعي ضد سياسة تجميع الدواوير  
بالقرب من المراكز الاستيطانية بعد ترحيل السكان بالقوة ونقلهم على  
مقن شاحنات عسكرية.

وأمام شدة ضربات الثوار بعد مجيء ديقول إلى الحكم تناقصت  
المساحات المزروعة حيوياً، ففي عمالة الجزائر العاصمة نزلت  
المساحات المزروعة من 336.000 هكتار خلال موسم 1957-1958 إلى  
238.000 هكتار خلال موسم 1958-1959<sup>(2)</sup>. وهذا الهبوط المقدر بـ 30

<sup>(1)</sup> المرشح عبد العلمي (الاسم الحقيقي بن عودة) كان يتولى مهام محافظ سياسي في ناعوتكلسان  
(القطاع القرواني) (حسين - عبد القوي - بن سكران).

<sup>(2)</sup> Jacques MASSU. Le Torrent et la digue. Paris: Plon 1972, p 280



أضرمه عمليات حرق المجاهدين لمزارع الكولون، وهذا على الرغم من تولي جيش الاحتلال حامية الحقول وحراستها.

وقد تطرق برنامج طرابلس (جوان 1962) لمحاولات فرنسا إحلال سكان اجانب مكان أهل البلاد بكافة الوسائل، ولتزاع الملكية الأرضية والترحيل المنظم للجزائريين وطردهم إلى المناطق الجديبة، كما تحدث عن مقاومة الأمير عبد القادر للمستوطنين الفرنسيين والإقطاعيين الجزائريين بقسوة تحالفهم مع الاستعمار في معركة محارز والمئة عام 1834، وعن وسيع لقياد لممتلكاتهم العقارية في الريف؛ وعن الحركة -الإقطاعية- الرابطة للإخوانيات الكبرى<sup>(1)</sup>.

ونفس اهتمام برنامج طرابلس بفقراء الفلاحين الجزائريين وبالأراضي المخصصة في القرنين 01 و 02 من فصل: «المحتوى الاجتماعي لحركة التحرير الوطني» حيث جاء في الفقرة الأولى: «أن فلاحين فقراء ذهبوا أساسا ضحية لتزع الملكية العقارية، والتحديد، والتمركز، والاستغلال من طرف المستعمر...» وفي الفقرة الثانية: «أن البروليتاريا... نجدهم في أغلب الأحيان من الفلاحين الذين طردوا من ملكيتهم المتترعة، واضطروا إلى البحث عن عمل بعيدا عن الأرياف، بل وحتى إلى الهجرة إلى فرنسا»<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> برنامج الخمسين: السياسة المغرب حمة التحرير الوطني لمصدر سابق، ص 58-71.  
<sup>(2)</sup> ص 72.

فتعرضه للأسباب الجوهرية لفقدان الفلاحين الجزائريين لأراضيهم الفلاحية ونحوهم إلى أجراء، بروليتاريين، وإلى سلوك بعضهم سبيل الهجرة إلى فرنسا سعيا وراء لقمة العيش، يبدو أن برنامج طرابلس كان شديد العناية بقضايا الفلاحين الجزائريين، وبالأراضي الفلاحية التي استرقها الكولون والقياد من أبائهم وأجدادهم.

ويلاحظ أيضا من خلال كشف برنامج طرابلس لمساحات الأراضي الفلاحية المخصصة التي استولى عليها المعمرون (2.726.000 هكتار)، وللشواد الأعظم من الجزائريين الذين كانت حياتهم مرتبطة بالأرض -أي بالعمل في مزارع الكولون- (5.225.000 شخصا)، ونصف مليون عاطل في الأرياف، أنه كان يعد ثورة زراعية شعارها: «الأرض لمن يخدمها»، بالاعتماد على:

- 1- الحظر الفوري للصفقات المتعلقة بالأرض ووسائل الإنتاج الفلاحية.
- 2- تحديد الملكية حسب نوع المزروع ومردوده.
- 3- نزاع الملكية في الأراضي التي تتجاوز مساحتها الحد الأقصى المحدد.
- 4- مجانية توزيع الأراضي التي تجمع الفلاحين الذين لا أرض لهم، أو الذين ليست لهم مساحات كافية.
- 5- تنظيم ديمقراطي للفلاحين ضمن تعاونيات إنتاج.

6- إنشاء قري تابعة للدولة في جزء من الأراضي التي تنتزع ملكيتها،  
ويشارك العمال في التسيير والأرباح، وهذه المزارع من شأنها تيسير  
العمل في السوق وتشكيل قاعدة إنطلاق لتكوين الإطارات والممرنين  
الفلاحين.

7- حضر بيع أو تأجير الأراضي الموزعة لتفادي إعادة تكوين الملكية  
الكبيرة.

8- إلغاء دهن الفلاحين والخمسين للعلاكين والمرابين والمصالح  
العامة.

9- تقديم المساعدة المادية والمالية من طرف الدولة <sup>(1)</sup>

يظهر من خلال ما سبق بأن المشكلة الأولى التي اهتمت بها جبهة  
التحرير الوطني في السياسة الاقتصادية الوطنية أثناء انعقاد مؤتمر  
طرابلس هي مشكلة الأراضي الفلاحية.

إن فكرة المحافظة على الثروة العقارية، وتوفير الأراضي الفلاحية  
الضرورية لإجراء إصلاح زراعي جذري قد تهمت مع بداية الثورة  
التحريرية وتأكدت في مؤتمر الصومام 1956 وازدادت ترسيخا وعمقا  
قبل الإعلان الرسمي عن الإستقلال الوطني، وذلك في مؤتمر طرابلس  
(جوان 1962) الذي أعلن عن تحوّل من عملية شراء الأثرياء الجزائريين

<sup>(1)</sup> النص من الأساسة لحزب جبهة التحرير، المصدر السابق، ص 85-86



للأراضي الزراعية من الكولون، ورفض فكرة إنشاء قطاع زراعي خاص (نظام المخصصة في ميدان الزراعة)، ووافق على الاحتفاظ التام للقطاع الزراعي التابع للكولون تحت شكل «القطاع الزراعي العام» وجعل من ذلك أداة سياسية اقتصادية ضد البرجوازية الريفية<sup>(1)</sup>

أما المادة 13 من الفصل الرابع لاتفاقيات إيفيان فقد نصت على أن عملية بيع الأراضي الزراعية هي من صلاحيات السلطات الجزائرية وإن كانت الاتفاقيات قد نصت على أن حقوق الأوروبيين في الملكية ستحترم، ولن يتخذ أي إجراء ضدهم بالنسبة لمصادرة أملاكهم بدون منح تعويض عادل يحدد من قبل<sup>(2)</sup>

وبهذا الشكل تكون اتفاقيات إيفيان التي تحدثت عن التعويض قد اقتضت في الوقت نفسه المجال أمام استرداد الأراضي المخصصة التي كان يمتلكها الكولون - المستوطنون الأوروبيون. ومن جهة أخرى التزمت الحكومة الفرنسية في إيفيان بمساعدة الحكومة الجزائرية المقبلة على تطبيق الإصلاح الزراعي<sup>(3)</sup>

وإن كان الجزائريون قد تمكنوا خلال الفترة الممتدة من 1877 إلى 1961 من استرجاع 987.443 هكتار من الأراضي الزراعية التي سبق للكولون

<sup>(1)</sup> François PERROUX. L'Algérie de demain, Paris: P.U.F. 1962, p 129

<sup>(2)</sup> إراجع: جبهة التحرير الوطني، اللجنة المركزية للتوجيه، ميثاق الجزائر 1964، ص 66-

<sup>(3)</sup> René GALLISSOT. Les accords d'Evian, Alger 1997, p 55

أن يمتلكوها رسميا أو بشكل حر، فإن حرب التحرير (1954-1962) نسفت عملية شراء الجزائريين للأراضي الفلاحية من الكولون بناء على تعليمات جبهة وجيش التحرير الوطني، التي كان هدفها أن يتخلى الكولون بأنفسهم عن الأراضي التي اغتصبوها من قبل.

وانقضت جبهة التحرير الوطني من مسألة استرجاع الأراضي الزراعية من الكولون وإعادة توزيعها على الفلاحين الجزائريين قاعدة مادية صلبة ترتكز عليها في مطالبها الاستقلالية، ويبدو أنها أعدت مسبقا برنامجا زراعيا سريًا لصالح سكان الريف لما أبدوه من مقاومة عنيفة ضد الكولون طيلة فترة الاحتلال.

مع أن فكرة إعادة توزيع الأراضي على الفلاحين الجزائريين بعد استعادتها من الكولون ظلت منذ عام 1956 تمتزج بعبارة الاستقلال، فإن الفلاحين في غرب البلاد تنكروا لها واعتبروها مخادعة، لأنهم شاعروا ما آل إليه الفلاح المغربي بعد استعادة المغرب استقلاله، ومع هذا كله ظلوا متمسكين بفكرة أن الجزائر تخوض حربا ضد الاستعمار الفرنسي من أجل استرجاع الأرض<sup>(1)</sup>. زد على ذلك إيمان بعض الفلاحين بما روج له الكولون في الأوساط الريفية بأن التعاونيات الزراعية التي جاء بها مشروع قسطنطين لم تكن سوى نموذج لتعاونيات «الكولخوز» السوفياتية، وربطوا هذا النوع من التعاونيات بالشيوعية

المرفوضة من قبل المجتمع الجزائري، إلا أن أغلب الفلاحين الأجراء كانوا يتمنون استعادة الأراضي الفلاحية من الكولون، على أن تتكفل الدولة بها، ويصبحون هم عمالا زراعيين يتقاضون أجورا حسنة<sup>(2)</sup>.

ومن هذا يفهم أن صيغة «مزارع الدولة» لم تلق معارضة من قبل العمال الزراعيين، ومن دون شك مثل هذه المواقف كانت تحمل نسيبا بذور الاشتراكية التي تبنتها الحكومة الجزائرية كخطة للتنمية بعد استرجاع الجزائر استقلالها.

والرغبة في اقتسام أراضي الكولون هي التي كانت وراء الثقة التي نشأت بين الفلاحين الجزائريين الأجراء وجبهة التحرير الوطني أبان حرب التحرير.

إن الفلاحين المقحمين في الحرب ضد الاحتلال الفرنسي كانوا ينفذون أوامر جبهة وجيش التحرير الوطني، وظلّوا منهمكين في العمل السري والعسكري ويثقون بشكل مطلق في جبهة التحرير، ويستعجلون الاستقلال أكثر من غيرهم وفي اعتقادهم أن حكومة الاستقلال ستسمع لهم وتأخذ برايمهم فيما يهمّ الفلاح وشؤون الفلاحة.

لقد برع الفلاحون الجزائريون الأجراء في كفاهم المستमित، أملا منهم في أن تعود إليهم الأراضي التي يمتلكها الكولون، وهبوا بمساعدة المسؤولين السياسيين العسكريين عن الثورة لمخطط إصلاح زراعي

<sup>(2)</sup> Ibid.

<sup>(1)</sup> Michel LAUNAY, Paysans Algériens, Paris: Édit du seuil 1962, p. 392



## حرق مزارع المعمرين

لم يبق من سبيل أمام المجاهدين يجب اتباعه سوى مباداة الأرض المحروقة كما يقال «آخر الدواء الكي»، وهذا بعد أن أصبحت المطالبة باستعادة الأراضي من الكولون إلى أصحابها الشرعيين أمراً مستحيلاً، بل وخرقاً لقوانين الاستيطان.

كما أنه باشتراك الفلاحين وسكان الريف في عمليات حرق مزارع المعمرين تكون الثورة قد خاضت تكتيك التبعة الشعبية خلافاً للأحزاب التقليدية التي كانت تعتمد أساساً على سكان المدن وتتجاهل الأرياف وإسهامها في النضال القومي<sup>(1)</sup> وعن طريق حرق المزارع زعزعت جبهة وجيش التحرير الوطني اطمئنان الكولون وهددت وجودهم.

وانسجاماً مع هذا النهج فإنه من الممكن تسمية عمليات حرق مزارع الكولون بـ «حرب المزارع»، وقد فوجئ الكولون بهذا النوع من رد الفعل لما كان من الصعب إلى حد ما القيام بدراسة جذية في غياب السندات الوثائقية اللازمة، وقلة الشهادات الحية، وعدم وفرة الكتابات التي تناولت الموضوع تاريخياً وتحليلاً، وبتفاصيل كافية وواسعة، فإنه على هذا

ظلوا يحتفظون به في سرية حتى غداة الاستقلال<sup>(2)</sup> وهو الأمر الذي كشف عنه فرانس فانون إذ يقول بالحرف: «أن المسؤولين السياسيين العسكريين عن الثورة قد وجدوا أنفسهم في مواجهة مع أوضاع تتطلب منهم إيجاد الحلول الجذرية لمعضلة الأراضي الزراعية بعد استعادة الاستقلال»<sup>(3)</sup> وبهذا ما شهدت الزراعة عقب الاستقلال بحيث اقتطعت مساحات أرضية من ممتلكات الفلاحين الكبار، إلى جانب تلك التي استعبدت من الكولون ووزعت على الفلاحين الأجراء في إطار التسيير الذاتي والثورة الزراعية. وبعد أن أكدت جبهة التحرير الوطني بأن الأغلبية الساحقة للفلاحين والحماسيين والعمال الزراعيين تمثل النسبة القوية بين المجاهدين والمسلحين في جيش التحرير الوطني، وتيقنت بأن حب الفلاحين للأرض لن يشفي غليله إلا بتحقيق الانتصار والاستقلال الوطني؛ فإن جبهة التحرير الوطني تقديراً منها للجهود الاستثنائية المقدمة من قبل الفلاحين قررت بأن الإصلاح الزراعي الحقيقي الذي هو الحل الوطني لمشكلة البؤس التي تتخبط فيها البوادي ملازم قدم النظام الاستعماري هدماً تاماً شاملاً وإحداث انقلاب في السياسة الزراعية الاستعمارية<sup>(4)</sup> وبهذه الطريقة جرت جبهة وجيش التحرير الوطني الملايين من سكان الريف الجزائري وهيجت حماسهم لاستعادة الأرض وإخراج الكولون منها، واستخدمتهم لصالح الثورة.

(1) Michel LAUNAY. Op cit, p 84.

(2) Frantz FANON. Les damnés de la terre, Paris: Maspéro 1961, p 141-143.

(3) برنامج المصالح الأساسية لجبهة التحرير الوطني 1954-1962، حزب جبهة التحرير الوطني قسم الإعلام والثقافة، (د. ت)، ص 32-33.

محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخلص، المرجع السابق، ص 66.

الأساس مستخذ المنطقة السادسة من الولاية الخامسة، نموذجاً لهذه  
الخدمة الخاصة بعمليات حرق مزارع المعمرين وعلى وجه الخصوص،  
ناحية عسكرياً، وهذا

بالنظر للعنود على وثائق متنوعة ومختلفة المصادر <sup>(1)</sup> يبدو من خلال  
استغلالها ومعالجتها أنها كافية نسبياً لرسم واستخلاص استراتيجية  
حرب المزارع وتكتيكها الثوريين - ولو جزئياً - وهذا على الرغم مما قد  
يكون في هذه الوثائق من إغفال لبعض المسائل مقصوداً أو مصادفةً  
بحكم أن مصدرها فرنسي، أو هي شهادات جزئية لبعض من صنعوا  
الحدث أو عاشوه. وهذا بطبيعة الحال من دون أن إهمال ضرب أمثلة  
من جهات أخرى من الوطن شرقه وجنوبه وغربه.

فيما بين 01 نوفمبر 1954 و 01 نوفمبر 1957 (ثلاث سنوات) تمكن  
المجاهدون من تخريب 6.353 مزرعة، وقطع 50.746 عمود تيلغرافي،  
وقتل 77.963 رأس حيوانية، وكسر أو اقتلاع 587.700 شجرة  
شجرة <sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> من بين هذه المصادر: مذكرات الدكتور الانتصاري - جريدة استثمارية جمهورية  
وطنيّة ( ) - Echo d'Oran - Avenir de Mascara - Ouz Republicain  
في سجلات حرق المزارع وإغفال بعض خلال الحروب.

<sup>(2)</sup> Philippe BOURDEL. Le livre noir de la guerre d'Algérie, Français et  
Algériens, 1945-1962, France: Plon, 2002, p 164.

أما المزارع التي ألحق بها المجاهدون أذى شديداً فهي مزارع الكروم،  
التي تولت مساحتها من 396.000 هكتار سنة 1954 إلى 362.000 هكتار  
سنة 1962 وهو الأمر الذي نتج عنه هبوط في إنتاج الخمر، كما هبط  
عدد زراع الكروم هو الآخر من 32.952 مزارع سنة 1954 إلى 32.141  
مزارع سنة 1961؛ وهذا خلافاً لمحصول الحبوب والحمضيات الذي لم  
يلحقه الأذى الذي لحق بالكروم.

تطور إنتاج الكروم في الجزائر (1954-1962) <sup>(1)</sup>.

السنة	الإنتاج بالهكتولتر
1954	19.297.000
1956	16.619.000
1957	15.285.000
1958	13.827.000
1959	18.601.000
1960	15.850.000
1961	13.631.000
1962	12.277.000



وحتى مجاهدو جيش التحرير الوطني كان الحديث بينهم في الغالب  
يورد حول موضوع الكولون والأراضي الجزائرية المغتصبة.

إن الشهادة التي أوردها المراسل الصحفي اليوغسلافي «زرافكو  
بيكار» الذي أقام مدة مع المجاهدين في شرق الجزائر خلال صافقة عام  
1958 تؤكد لنا اهتمام جيش التحرير الوطني وعنايته البالغة بالأراضي  
الفلاحية المغتصبة، حيث كتب يقول « من بين المعمرين الذين كان  
المجاهدون يرددون أسماءهم باستمرار الإيطاليين الثلاثة : بورزو  
«BORZO»، سيفينو «SCEFFINO»، وسيفيني «SEFFINI» الذين كان  
أحدهم يمتلك أراضي تبلغ مساحتها 80.000 هكتار»<sup>(1)</sup>.

ثم يضيف قائلا: تحسّ وأنت تسمع لكلام الجزائريين وهم  
يتحدون عن الكولون الأوروبيين بأنهم يكتّون الضغائن والأحقاد  
الشديدة لهم؛ فتسمع لأحدهم وهو يقول: إن الإدارة الاستعمارية  
استقبلت مهاجرين من صقلية، وكورسيكا، ومالطة ومنحتهم أراضي  
فلاحية مقابل مبالغ زهيدة بعد أن استلبتها من الجزائريين الذين طردوا  
منها إلى الجبال، وأمدتهم البنوك بالسلفات التي سمحت لهم بتوسيع  
ممتلكاتهم عن طريق شراء أراضي فلاحية من فقراء الجزائريين الذين  
حرمتهم الإدارة الاستعمارية من الاستفادة من السلفات.

ومعنى تناقص المساحة المزروعة كروما، وكذا التناقص الملحوظ في  
كميات إنتاج الحبوب إلى العمليات التخريبية التي نفذها الفلاحون  
الجزائريون تحت حماية فصائل جيش التحرير الوطني.

لما اختارهم لضرب مزارع الكروم، فذلك لأن تجارة الحبوب -  
تصدير- كانت تمثل القلب النابض للاقتصاد الزراعي الاستعماري في  
الجزائر، وتذر على الكولون أموالا طائلة.

وفيما بين 1955-1961 أصبحت جميع ضيعات المعمرين أهدافا متميزة  
لضربات الثوار، لاسيما وأنها خلال هذه الفترة بدأت تتحول إلى  
ملحقات حقيقية للثكنات العسكرية يقيم بها مجندون فرنسيون يتولون  
أمن الكولون وحماية حقولهم.

وإن كان المستوطنون يعتبرون حرق المزارع قمة البربرية، فإن  
الفلاحين الجزائريين الذين وجدوا في عمليات حرق مزارع المستوطنين  
متنفسا لكبت طال حبسه، لم يكن حديثهم سوى البكاء على الأراضي  
الفلاحية التي اغتصبها المعمرين من آبائهم وأجدادهم؛ فإثناء التجول  
وسط الحقول تراهم يشيرون بأصابعهم إلى الممتلكات، وهم يقولون  
هذه كانت لحدي أو لأبي... وهي الآن بيد الكولون فلان، وتلك كانت  
لحدي من أبي وهي الآن للأوروبي فلان.

(1) ZDRAVCO Pecar, Op cit, p 295

ويهي قوله بالعبارة التي كانت تتردد باستمرار على ألسنة المجاهدين والفلاحين الجزائريين «أن هذه الأرض كانت دوما لنا، وغدا منصبح مجددا لنا»<sup>(1)</sup>

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عبارات المجاهدين والفلاحين تحمل في طياتها صيغة جهيم لأراضي آبائهم وأجدادهم، وتمجيدهم لها إلى حد التضحية بأنفسهم من أجلها وطرده الكولون نهائيا منها.

واعتقادي أننا في أمس الحاجة إلى معرفة مضامين حوادث «حرق مزارع الكولون» ووضعها في إطارها الصحيح بين جملة أهم النشاطات الثورية لجبهة التحرير الوطني، كيف لا وقد اعتبرت هذه الحوادث إحدى أخطر وأهم الظواهر الثورية وأعظمها تأثيرا على حياة الكولون وعلى اقتصادياتهم الزراعية أحق بالفحص والتدقيق لكونها جزءا من تكتيك واستراتيجية جبهة وحيش التحرير الوطني، ونجربة تستدعي استخلاص الدروس منها وصياغتها في شكل نظريات في الاستراتيجية، وفي العمليات الحربية والتكتيك - للاستفادة منها في الحروب القائمة والمقبل - وأخذ أعظم مردود من خصوصياتها باعتبارها أحد أهم أشكال المقاومة، وتجسيدا لموقف معبر عن ، ومن ثم على الحضور الفرنسي بأكمله في الجزائر؟ ومن هنا فهي رفض الاحتلال، وعن الرغبة في تطهير البلاد وتنظيفها من الكولون.

(1) ZDRAVCO pecar, Op cit, p p 297-98

بدأت عمليات حرق مزارع المستوطنين مع اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، واستمرت إلى غاية الإعلان عن توقيف القتال في يوم 19 مارس 1962. وقد برهنت ولأول مرة في تاريخ الثورة التحريرية - أنها أداة حربية حاسمة.

ويظهر ذلك جليا في العمليات التي نفذها المجاهدون والفلاحون الجزائريون في الناحية الشرقية من المنطقة الثانية يوم 05 جويلية 1955 بالصادف للذكرى 125 لاحتلال فرنسا للجزائر، والذي الحق فيه المجاهدون خسائر بمزارع الكولون تمثلت في:

- 1- تخريب 70 مزرعة.
- 2- قطع 40 هكتار من أشجار الكروم.
- 3- قطع 40 هكتار من أشجار الحوامض.
- 4- إتلاف أكثر من 700 هكتار من القمح والشعير<sup>(1)</sup>

كما بينت لنا حوادث 20 أوت 1955 الوزن الجلي للطبقة الريفية في السيرة الثورية، حيث وفد مئات الفلاحين من الدواوير المجاورة منذ صباح يوم 20 أوت 1955 على مدينة سكيكدة (Philippeville)، وهنا انتعشت أحقادهم ونما غضبهم وقيل لهم أنه اليوم الأكبر، وسوف يتول

(1) الحسن بومالي . استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1956  
لسلط الوطني للمجاهد . (د . ت) ، ص 217.



الجيش المصري على أرض الجزائر، لقد جاءت الساعة التي تقضى فيها على الأوروبيين

وفي هذا الشأن يقول مصطفى الأشرف: «أن جيش التحرير بالاعتماد على مؤازرة الفلاحين وعزيمتهم القوية قام في العشرين من ذلك الشهر بشن أول هجوم كبير في المنطقة الشمالية من ولاية قسنطينة تحت قيادة زينغود يوسف»<sup>(1)</sup>

وأثر العمليات الهجومية التي استهدفت ثلاثين مركزا استعماريًا فيما بين 01 و04 أكتوبر 1955 بغرب البلاد تمكن المجاهدون من تعريب عدد من الجسور والطرقات وأعمدة الكهرباء والهاتف، ومزارع المعمرين ومؤسسات اقتصادية استراتيجية<sup>(2)</sup>. وفي الجهات الجنوبية من الوطن حيث مزارع الكولون قليلة طبق المجاهدون تكتيكًا خاصًا تمثل في حرق المساكن والبيوت والمقرات الإدارية، وضرب المتعاملين.

واستنادًا إلى وثائق استعمارية فإن المناضلين الجزائريين في مدينة البيض تمكنوا خلال ليلة 06 جوان 1955 من إضرام النار في مسكن متعزل لأحد كبار التجار اليهود يدعى «زانو» (ZENOU)، وفي يوم الغد (06 جوان 1955) عثر على كومة من الأوراق أشعلت النار فيها تحت

باب سكن متعزل لأحد المستوطنين، وفي الليلة نفسها أقدم المجاهدون على إضرام النار في سكن الحارس الشخصي للقائد حمو بن دين الواقع خلف مبنى الكنيسة.

إلى جانب حرق سيارة سيدي الشيخ محمد قايد قبيلة أولاد الشيخ وذلك داخل المستودع الذي كان يمتلكه في مدينة البيض<sup>(1)</sup>.

على الرغم من محدودية حجم الخسائر التي أحدثتها هذه الحرائق، فإن هدفها الجوهرى يبقى استراتيجيًا؛ فوقعها داخل الحي الأوروبي للمدينة، واستهدافها لمتعاملين مع الاستعمار (قايد - تاجر إسرائيلي...)، يعكس الشعور السائد لدى منفذها والمتمثل أولاً في الرقص القاطع للأوروبيين المقيمين بالبيض، وثانياً في تحذير القياد وأمثالهم من نغمة الاستمرار في التعامل مع إدارة الاحتلال الفرنسي.

وقد اعتبرت إدارة الاحتلال الفرنسي هذه الأعمال تهديداً بالموت للمقيمين منها، ولم تنف في تقاريرها أنها ذات نزعة انتقامية، ولها صلة مباشرة بالنشاطات الوطنية، وأنها أحدثت قلاقل في وسط السكان الأوروبيين<sup>(2)</sup>.

(1) - C.A.O.M. G.G.A. Carton 22H/91. (Tentatives criminelles d'incendie. Gerbillon le 7/06/1955).

(2) Ibid (Terrorisme - troubles d'Algérie) «Brûlez les fermes, les instruments oratoires, les céréales et tout ce que possèdent les colonialistes et les colons - tuez les gardes forestiers»

مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، مرجع سابق، ص 378.  
«سند قطري» - لفتح أكتوبر 1955... استهداف الهجمات الكبرى ضد القوات الفرنسية بطابع لوهري. الجمهورية الأسبوعية، العدد 284، من 09/27 إلى 10/03/1994، ص 12-13.

وفي بلاد الأوراس عثر المجندون الفرنسيون يوم 20 جويلية 1955 على منشور مكتوب باللغة الفرنسية وزعه جيش التحرير الوطني، فبُعث فيه حقه عند الكولون، كتبت فيه العبارات التالية: «اضرموا النار في الضيعات، وفي المزارع... وفي كل ما يمتلكه الاستعماريون والكولون، اقتلوا حراس الغابات».

ومثل هذا المنشور يحسم لنا المبدأ الذي أخذ به مجاهدو ثورة أول نوفمبر 1954 وهو «ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة» وهذا بعد ما تبين للمناضلين الجزائريين أن فرنسا لا تفهم لغة أخرى غير لغة السلاح<sup>(1)</sup>. أما الحريق الذي شب في ضيعة «ديفورغ» «DUFORG» بالقرب من بسكرة وأتى على مبانيها، فقد أثار شعور الكولون بحالة انعدام الأمن، حيث أشارت التقارير الاستعمارية أن الحالة النفسية للكولون جد مقلقة في منطقة بسكرة بعد وقوع هذا الحادث الذي اعتبره الشبان الأهالي نصرا للمتمردين - هنا المجاهدين - وصفقوا له من قلوبهم.

ومناسبة انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة قررت جبهة التحرير الوطني شن هجوم شامل على مزارع الكولون في كامل القطر الجزائري، ودعت عمال الأرض إلى الإضراب عن العمل خلال يوم 20 سبتمبر 1955 حتى تعطي نشاطها بعدا وطنيا ودوليا<sup>(2)</sup> لكن فرنسا بعد علمها

<sup>(1)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 22H/91. (Synthèse de renseignement politique Biskra le 06/08/1955)  
<sup>(2)</sup> C.A.O.M. G.G.A. Carton 22H/91. (gouverneur général: Sécurité générale - destinataires: Préfets d'Alger, Oran, Constantine) le 18/09/1955

بجور الإضراب فإنها تحسب لأي طارئ، وحتى يكون ممثلوها في المستوى الذي يسمح لهم بالرد على الانتقادات المحتملة أثناء مداولات الجمعية العامة للأمم المتحدة، فكرت مسبقا أن تضع في متناولهم الكمية اللازمة من الوثائق «الدقيقة» وعليه طلبت من عمال العمالات أن يبعثوا لها بأسرع ما يمكن - وذلك عن طريق مديرية الأمن الوطني بالجزائر - بالمعلومات الخاصة بعمليات النهب والتخريب والقتل التي ارتكبتها المتمردون في حق الكولون وممتلكاتهم الزراعية منذ ليلة أول نوفمبر 1954 مع ذكر أسماء المجرمين وأسماء الضحايا، وتحديد خطورة العمليات، على أن تحتوي كل عملية استهدفت الأشخاص أو الممتلكات على ملف مستقل يشتمل أقصى ما يمكن من المعلومات الدقيقة حول:

- زمان ومكان ارتكاب الجريمة أو العمل التخريبي.
- هوية الضحايا.
- هوية مرتكبي الجريمة والجهة التي يتمون إليها.
- نسخة من الإجراءات القانونية.
- صور فوتوغرافية إذا لزم الأمر.
- نتائج الفحوص الطبية.
- الوضع الحالي لعمليات التخريب والتحقيق.
- المتابعة القضائية والإدارية.



كما طلبت حكومة الاحتلال من عمال العمالات إبلاغها بكل الجرائم المرتكبة من قبل الأشخاص الذين يرتدون البزة العسكرية بطريقة لا شرعية<sup>(1)</sup>.

وللعلم فقد رافقت عمليات الهجوم على مزارع الكولون في هذه السنة (1955) نشاطات أخرى منها: إصدار جبهة التحرير الوطني لتعليمات صارمة تدعو الجزائريين إلى الامتناع عن التدخين والانقطاع عن شرب الخمر.

وقد تمكنت سلطات الاحتلال في مدينة الأغواط من إلقاء القبض على المدعو ملياني بن عمار الذي كان ينتقل عبر المقاهي الشعبية ويحث الشبان على الامتناع عن التدخين، كما كشفت في مدينة ورقلة عن هوية المدعو يحماني أحمد الذي هدّد الجزائريين الذين كانوا يتعاطون التدخين داخل نزل الصحراء.

وفي نوفمبر تلقى شخصان أحدهما أوروبي والثاني جزائري بتاجران في المشروبات الكحولية رسالة تهديد مكتوبة باللغة الفرنسية تخبرهما من بيع الخمر للمسلمين، ونفس التهديد تلقاه موظف جزائري بمركز جمعة يدعو للكف عن التدخين والانقطاع عن شرب الخمر<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> Ibid. (très secret - très urgent) note de service 07/06/1955

<sup>(2)</sup> - C.A.O.M. G.G.A. Carton 22H/91 (campagne anti-tabac et anti-alcool)

Lausanne le 25/06/1955

2Ibid (tract du F.L.N.)

أثرت هذه العملية على بايعي السجائر والمشروبات الكحولية التي تناقصت لديهم مبيعاتها بشكل ملحوظ.

وحسب منشور لجبهة التحرير الوطني فإن الغرض من منع التدخين وتناول الخمر يساهم في قطع الصلة بالنظام الاستعماري الجائر الذي يسخر هذه الأموال الضائعة في قصف القرى والمداشر.

تلكم هي بعض الأمثلة - وهي قليل من كثير - عن العمليات المجوية التي استهدفت مزارع المعمرين في بعض جهات الوطن خلال عام 1955، وذلك تأكيداً لشموليته.

وخلال سنة 1956، ولاسيما بعد مؤتمر الصومام (20 أوت 1956)، يظهر بأن جبهة وجيش التحرير الوطني قد ركّزتا جهودهما لتدمير القدرات الاقتصادية للمعمرين، والشواهد على ذلك كثيرة، نكتفي بضرب أمثلة عنها كنماذج.

ففي ليلة 07 ماي 1956 هاجم المجاهدون بمساعدة الفلاحين 35 ضيعة في دائرة عين تموشنت<sup>(1)</sup> تمكنوا فيها من القضاء على بعض الكولون في بونابليس والعامرية، وبعض حراس الضيعات، وقتل ثلاث أوروبيات، وفتح 400 شجرة برتقال، وذلك ردّاً على ما ارتكبه جيش الليف

<sup>(1)</sup> - يمتلك الكولون في عين تموشنت 60.000 هكتار من أحصاء الأراضي الفلاحية التي توزع جزائرياً من 900 ضيعة

الأجناس الفرنسي من انتهاك للحرمات بتفتيش النساء وتعريضهن وإتيان  
الفاخرة

وحسب تصريحات الكولون لصالح الدوك الاستعماري، فإن العمال  
الزراعيين هم الذين قادوا المجاهدين ودلوهم على المزارع المستهدفة، وفي  
إعلان (de Mailherbe) وجهت التهمة إلى اثنين من طلبة الكتائب هما:  
السيدان بوميس محمد، ومومن محمد سي بوتوقاس (1)

ويظهر أن الكولون الذين ربطوا علاقات عمل جيدة مع عمالهم -  
في منطقة عين قوش - قد شعروا بالانخداع، فزال وهمهم وغرورهم  
بفناء في شهر ماي 1956 عندما بلغهم الأمر بأن أخلص عمالهم هم  
الذين اغتصموا جذوع الكروم، وقطعوا أشجار الزيتون، وقادوا الثوار  
المسجون إلى الضيعات التي تم حرقها (2)

أما مادة القش النباتي (crin vegetal) التي كانت تشتهر بها منطقة  
الروشي (تلمسان) بإنتاجها الذي بلغت صادراته 60.000 طن مقابل  
87.000.000 فرنك قبل سنة 1954 فقد تعرضت مؤسساتها للتخريب  
الكلي من قبل فصائل جيش التحرير الوطني، وهو الأمر الذي كلف  
عائلة المعمر (أفرسغ) (AVERSENG) خسارة لا تقدر بثمن (3)

(1) Michel LAUNAY. Op cit, p 161  
(2) Echo d'Oran du 08 Mai 1956  
(3) Echo d'Oran, N° 30.651 du Dimanche 23 et Lundi 24/09/1956

أما منطقة معسكر، فبحكم التواجد الكثيف للكولون بها، وعظم  
شهرة إنتاج الحبوب ذات الجودة العالية والحموضة المرتفعة (3 - 16)  
(1)، فإنها ستكون من دون شك عمالا لعملية «حرق المزارع».

وعلى هذا الأساس اتخذت منها نموذجاً يساعد على فهم استراتيجية  
«حرب المزارع» وبعدها الثوري في الجزائر إبان حرب التحرير.

وهكذا يظهر أن مع النصف الثاني من عام 1956 بدأت «حرب  
المزارع» تأخذ الأفضلية على كل ما عداها في الصراع مع المعمرين  
الأوروبيين، فمعسكر وضواحيها - على سبيل المثال - فإنه منذ شهر  
سبتمبر 1956 لم يمر عليها ليلة دون أن تتعرض فيها ولو مزرعة واحدة  
للتخريب والحرق.

ومن الأمثلة البارزة على ذلك أن قام المجاهدون مساء يوم السبت 22  
سبتمبر 1956 بعملية هجومية ضمن شعاع يمتد على أربع كيلو مترات  
بين تغنيف وكاشرو (سيدي قادة) ضد أربعة عشر ضيعة ولم تدم العملية  
أكثر من 45 دقيقة، مهّد لها المجاهدون بتخريب الأسلاك الكهربائية  
لإطفاء الأضواء، وإفساد خطوط الهاتف بالاستعانة بالسبد حبيب  
بيلمي (1) العامل في مؤسسة الكهرباء بتغنيف بمشاركة مجموعة من  
الوطنيين.

(1) مساعد من قبيلة الوالد الفخامة



وحسب الشهادات الحية للمجاهدين<sup>(1)</sup> فإن عدد المسلحين من الثوار كان 120 شخصا يستعينون بـ 60 حتى 70 مواطنا مدنيا من أبناء تغيف والقرى المجاورة لها مثل المعاريف، وأولاد الخامسة، ودرقاوة، وقراوات، وأولاد علاء... انقسموا قبل الشروع في العملية إلى أفواج يشكل كلا منها من 12 مقاتلا مسلحا يدعمهم 05 حتى 06 أفراد مدنيين من يعرفون الضيعات وأصحابها، والمسالك المؤدية إليها، وخط تراجع المجاهدين الواصل إلى ضريح سيدي إبراهيم قرب دومبال (هاشم) بعد الانتهاء من العملية.

وللعلم فإن المجاهدين، قبل تنفيذ العمليات بثلاثة أيام، وصلوا إلى فواحي تغيف إنطلاقا من جبال بني شقران، وانشطروا إلى قسمين: في حين تمركز القسم الأول، وهو الأكثر عددا (100 جندي) في دوار الدراويش بضيعة سيدي أحمد البشير، فإن القسم الثاني وهو الأقل

<sup>(1)</sup> من بين الشهداء والمجاهدين الذين شاركوا في عمليات حرق المزارع بتغيف البسة 1996/09/22: السيد بقرال محمد (من باب العسة) بلقب دومي المدعو لزرق (من غلزان)، سي المدحوب السيد المدعو زكرياء (من معنية)، زهور يماني المدعو عبد الخالق (من مسرودة) من حزب الشهداء ومجاهدين من لسان المنطقة ذاتها من أمثال: عيشوية محمد المدعو الشيخ، وحسي ميود، وحصاب ميود المدعو بن كرامة، وبعطوش بن عومر، وعلي مزيسان، ونعمو مسعودي، وعبد القادر شراري، ورقيع مختار، وقادة بن بيق، ومرحاب البشير، وبانسو بن يحيى، وألفاس بن الرحيم، وزقادة أحمد.

عددا (20 جنديا) قد تمركز بأولاد علاء، ثم لأسباب أمنية، انتقل إلى بيت علافي المختار بدوار أولاد الخامسة<sup>(1)</sup>.

انتهت عمليات حرق المزارع التي حضر لها المجاهدون في سرية تامة وفي غابة من الدقة والضبط إلى نتائج بشرية واقتصادية منها: مقتل 06 أشخاص من بينهم 03 من الخونة في ضيعة بيراستر (PAYRASTRE) وحارس لأحد الضيعات كان يشهر سلاحه في وجه المجاهدين مع إسنه، وزوجة لأحد الكولون، أسقطها مجاهد وهي تصرخ قائلة: (Bande de voleurs)، وإصابة 04 أشخاص بجروح من بينهم العقيد شوقاسي (CHAUVASSU) الذي أصيب بطلقة نارية في البطن، نقل إثرها إلى عيادة «سان أنتوان» بمعسكر، حيث أجريت له عملية جراحية، وجرح خاتبتين بضيعة «بيراستر» إحداهما امرأة، وإصابة زوجة لحارس إحدى الضيعات بطلقة نارية في الذراع.

<sup>(1)</sup> شهادة المجاهدين: حصاب ميود (المدعو بن كرامة)، وبين نعمو البشير (كلاهما على قيد الحياة).

لنفسها انتشارا جغرافيا، ومكنت المجاهدين من تجميع رقعة نفوذهم  
وإطويع نفوذهم.

وقد تم إحصاء 138 مزرعة تعرضت للحرائق خلال الفترة الممتدة من  
22 سبتمبر 1956 إلى 15 نوفمبر 1958، بضواحي تيفيف ومعسكر، منها:  
71 مزرعة خلال الأربعة أشهر الأخيرة من سنة 1956.

ورافقت عمليات حرق المزارع نشاطات تخريبية أخرى بذات المنطقة  
بها.

\* قطع أعمدة تيليغرافية على طول 04 كيلومترات بالطريق الرابط  
بين هاشم (دومبال) وسيدي قادة (كاشرو).

\* قطع 16 عمودا هاتفيا على بعد 4,5 كيلومتر من بلدية هاشم.

\* قطع ثلاثة أعمدة هاتفية على بعد 10 كيلومترات شمال غربي

تيفي.

والملاحظ، فإن المجاهدين، قبل تنفيذهم لمختلف عملياتهم ضد مزارع  
الكولون كانوا يحفرون خنادق عريضة (02 متر) وعميقة (80 سم)  
بالطرق المؤدية إلى الضيعات المستهدفة لتعطيل وصول التجنات  
وتأخيرها، وهذا ما اكتشفته السلطات الاستعمارية العسكرية في الطريق  
المؤدي إلى ضيعة «موريس كريبون» (Maurice CARAYON) رئيس بلدية  
دومبال، وكذلك بالطريق المؤدي إلى سان هيبوليت (المامونية)<sup>(1)</sup>.

(1) - Brigade de Gendarmerie de Mascara P.V n° 1937 du 17/12/1956.

أما الخسائر المادية فكانت جسيمة. إن النيران التي لم تتحمد إلا بعد  
عشرين ساعة كاملة، قد أتت على تدمير الضيعات الأربعة  
عشر<sup>(1)</sup>، وحرق ما فيها من معدات ومنتجات زراعية، وهلاك  
للحيوانات.

ومن الأمثلة البارزة أيضا عن حرق المزارع في ناحية معسكر:  
من ليلة 15 ديسمبر 1956 ضمن شعاع يمتد من 02 حتى 04 كلم شمال  
شرقي سان هيبوليت (المامونية) تمكن المجاهدون من إلحاق خسائر بـ  
14 مزرعة للكولون<sup>(2)</sup> في ظروف مماثلة<sup>(3)</sup>.

والهم في ذلك أن بانتقال عمليات حرق المزارع إلى ضواحي أخرى  
خارج تيفيف ومعسكر تكون الثورة في هذا الجزء من الوطن قد حققت

الضيعات الأربعة عشر هي: 1- ضيعة خلدو، 2- ضيعة جندوبو، 3- ضيعة «أورق»، 4- ضيعة  
«أورق»، 5- ضيعة «أورق»، 6- ضيعة «أورق»، 7- ضيعة «أورق»، 8- ضيعة «أورق»، 9-  
«أورق»، 10- «أورق»، 11- «أورق»، 12- «أورق»، 13- «أورق»، 14- «أورق».

\* أُنشأت المزارع الأربعة عشر التي تعرضت للتخريب بضواحي المامونية هم: 1- كومار  
لوجن، 2- «أورق»، 3- «أورق»، 4- «أورق»، 5- «أورق»، 6- «أورق»، 7- «أورق»، 8- «أورق»، 9- «أورق»، 10- «أورق»، 11- «أورق»، 12- «أورق»، 13- «أورق»، 14- «أورق».

\* ينظر تفصيل أكثر عن حرب المزارع بمعسكر وضواحيها في: إسهامات مدينة معسكر  
والمناطق في ثورة 1954/11/01، رسالة ماجستير، تقديم بن داهة عدة، إشراف الأستاذ  
الكتور ضرور نعر، أكتوبر 2001، جامعة وهران، قسم التاريخ، ص ص 187-235.



ومن تأثير عمليات حرق المزارع خلال عام 1956 يكفينا شاهدا ما قاله الجنرال «الندي بوفور»: «لقد نجح الجزائريون في توسيع مساحة حرب العصابات عندما هاجموا جميع المزارع المنعزلة»<sup>(1)</sup>.

أما وسائل الإعلام الموالية للكلون، ومنها (Echo d'Oran)، فقد وصفت «حرب المزارع» بتكتيك «الأرض المحروقة»، ومثل هذه الأقوال تجعلنا نحزم ومون موازية على أن عمليات «حرق المزارع» قد أخلت فعلا بالتوازنات، وأنها ساهمت حقيقة في مسيرة النضال الوطني ضد الاستعمار، إذ لم تعد آثارها تخفى على أحد، كما أن تناقل وسائل الإعلام لأخبار الهجمات المتواصلة على مزارع الكلون يكون هو الآخر قد أعطى هذه الهجمات بعدا وصدى وطنيا.

ومن المسائل التي ينبغي الإشارة إليها، فإن جميع الضيعات التي تعرضت للتخريب في منطقة سعيدة خلال عام 1956، ترك فيها المجاهدون منشور تدعو المجتدين في اللقيف الأجنبي إلى الفرار من الجندية والالتحاق بالمجاهدين أو العودة إلى بلدانهم، ومنها منشور كتب باللغة الألمانية، وآخر باللغة الفرنسية قد خطّ باليد على ظهر المنشور الذي زرعه فرنسا في المنطقة، والحامل لصورة الزعماء الخمسة المختطفين<sup>(2)</sup>.

(1) - لفرى بوفور - حرب ثورية، صروت 1973، ص 82.

(2) - 10<sup>ème</sup> Légion Bis Compagnie de Mascara, Régiment de Saïda P.V 1604 du 27/11/1956. Crime: Incendie volontaire de ferme et de matériel agricole, destruction d'animaux domestiques par rebelles.

ومن الأمور التي تفسر بشكل واضح سلوك المجاهدين لنفس الأسلوب في جميع جهات الوطن، عثور الاستعمار الفرنسي على ثلاثة منشور مكتوبة باللغة العربية بالقرب من ضيعات المعمرين الأوروبيين تعرضت للتخريب بضواحي عين تموشنت، تصف العمال الذين يتغلون في مزارع المعمرين بالخنوة، وتدعوهم للتوقف عن العمل بمزارع الكلون، وتهدد الذين لا يتصاعون لأوامر الجبهة بالموت، اعتبار العمل في مزارع الكلون نشاطا معادي للثورة، ولتعاليم الدين الحمدي، كما منعت هذه المنشور الفلاحين الجزائريين التصريح لإدارة الاحتلال بإنتاجهم الفلاحي<sup>(1)</sup>.

وإذا كانت العمليات الثورية في الجهات الشمالية من الوطن قد استهدفت مزارع الكلون وضيعاتهم، فإن أهداف المجاهدين في الجنوب الجزائري تمثلت في تدمير عتاد الشركات الاستغلالية، ومستودعات السلع والبضائع الاستهلاكية، وقتل الحيوانات التي يمتلكها الأوروبيون، وتخريب السكك الحديدية الواصلة بين حقول الحلفاء وموانئ التصدير. وكان المتمردون حسب التقارير الاستعمارية قد مدّوا بهذه الطريقة عمليات حرق المزارع إلى الجنوب الجزائري، ونورد لكم فيما يلي بعض الأمثلة الصريحة الواردة في هذه التقارير:

(1) (Philippe BOURDEL. Op.cit, p 184.

(Pierre RODRIGUEZ)، ولو قدر لألستة النيران أن بلغت خزاني الوقود  
التريين من المستودع لأحدث انفجارهما كارثة، وخلال هذه الليلة  
تتبع المجاهدون مع دورية عسكرية فرنسية وأثناء تبادل لإطلاق النار  
صيب جزائريان مدنيان بإصابات بليغة<sup>(1)</sup>.

وفي منطقة جنوب بشار بحوالي 65 كيلومتر تمكن المجاهدون ليلة 28  
أبريل 1957 من حرق مضخة بمحرك (Motopompe) يمتلكها شركة  
«باشي» (BACHY) لسبر الأعماق ثم وضعها عند فتحة بئر مائية تقع  
على بعد 07 حتى 08 كيلو مترات من منجم كسي-كسو<sup>(2)</sup>.

وفي حدود الساعة الرابعة و45 دقيقة من مساء يوم 22 ماي 1957  
رمى المجاهدون بثلاث قنابل «مولوتوف» على ثلاث مستودعات  
بالقناسة جنوب بشار، يمتلكها على التوالي: «بنشو سيمون»  
(BENICHOU Simon)، «بنشو سالومون» (BENICHOU Salomon)،

و«بطاح خليفة» (BENITAH Khalifa)، أحدثت خسائر جسيمة في  
التودعين الأولين، بينما لحا المستودع الثالث الذي لم تنفجر فيه  
القنبلة<sup>(3)</sup>.

في حدود الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم 14 يناير 1957  
تمكنت فصيلة من مجاهدي جيش التحرير الوطني من الهجوم على مقر  
الشركة الفلاحية للاحتياط (S.A.P.) في دوسن (Doucen)، وبعد تقييدها  
للحارس ولأبنائه ذهبت مجموع القطيع المألف من 350 رأس من الغنم،  
واستولت على بندقية حربية عيار 86-93، وبندقية صيد، وحاولت  
إضرام النار في محطة للضخ<sup>(4)</sup>.

في ليلة 17 من شهر فبراير 1957 شن المجاهدون عمليتين هجوميتين  
شمال المشرية. تمثلت العملية الأولى في حرق المجاهدين لـ 150 قنطار من  
الحلفاء بمستودع مبرسية (Chantier MIRCIA)، وتدمير مضغط  
(PRESSE)، وقتل ستة بغال بالرصاص؛ أما العملية الثانية فقد تمثلت في  
إضرام المجاهدين النار في عربي قطار كانتا معبأتين بـ 176 قنطار من  
الحلفاء، وقتل فرس يمتلكه المعمر «غوميز أنتوان» (Gomez  
ANTOINE)<sup>(5)</sup>.

وعلى الساعة الواحدة والنصف من ليلة 18 مارس 1957 تمكنت  
مجموعة من المجاهدين تتألف من 15 شخصا من النفاذ إلى مركز مشرية  
الاستيطاني بعد قطعها للأسلاك الشائكة التي تطوقه من الجهة الشرقية،  
وأضرمت النار في مستودع للسيارات يمتلكه الأوروبي «بيار رودريغاز»

(1) - C.A.O.M. G.G.A. Carton 22H/92. (Rapport: activité rebelle du 16. 02 au 01/04/1957)

(2) - Ibid (activité rebelle (Avril 1957)).

(3) - Ibid. (Rapport: activité rebelle du 12 au 24/05/1957).

(1) - C.A.O.M. G.G.A. Carton 22H/93. (insurrection rebelle au S.A.P. du DOUCEN C.M de Ouled Djellal).

(2) - C.A.O.M. G.G.A. Carton 22H/92. (Rapport: Ain Sefra: activité rebelle 12 au 24/02/1957)



ومن خلال هذه الأمثلة المتقطعة والجزئية نلخص إلى الخروج بتجنتين  
مائتين

أ. إن الثورة بتوغلها في عمق الصحراء تكون قد وسعت مجالها  
الجغرافي، وأكدت عن طريق ضربها لمصالح المعمرين في الجنوب  
الجزائري عن تواجدها وحضورها، وإمكاناتها في إحداث أضرار بموارد  
الكولون ومصادر ثروتهم، والحد من نشاطهم الاقتصادي.

ب. أنها تمكنت فعلا من ضرب المحاولات الفرنسية للمباعدة بين  
الشعب الجزائري وجبهة التحرير الوطني، لأن العمليات كلها حُصيت  
بدعم المواطنين ومساعدتهم لفصائل جيش التحرير الوطني.

### ب. استخدام العنف الثوري ضد غلاة الكولون

لما الظاهر الخطير «لحرب المزارع» فنلخصه بوضوح أكثر في تعدي هذه  
الحرب في مستواها التكتيكي إلى اغتيال الغلاة من الكولون.

وحتى يستجيب أسلوب الاغتيالات لحاجة سيكولوجية تطيب لها  
النفس، وترضي الرأي العام المحلي بمنطقة معسكر-كنموذج- اختار  
المجاهدون كأهداف لعملياتهم عدداً من الكولون البارزين والمتجذرين في  
الشاحبة ممن اشتهروا بعدائهم الصريح للثورة، وباحتقارهم للإنسان  
الجزائري لتنزل بهم أقسى العقوبات، ومن هؤلاء الكولون نذكر:

وتشير التقارير الاستعمارية بأن عصابات المتمردين على الرغم من  
تلقيها لحسائر فادحة فإن عملياتها الإرهابية ظلت مستمرة ودون  
القطاع، وهو الأمر الذي بذل أحلام المستوطنين وأفقدتهم الثقة في قوات  
جيش الاحتلال، وفي مصالح الأمن التي أبلغتهم بأنها قد تمكنت خلال  
شهر أفريل من سنة 1957 من تفكيك قيادة الأركان لجيش التحرير  
الوطني بصفة نهائية.

وفي مساء يوم 08 فيزاير 1957 بمكان يدعى بير غوية على بعد 34  
كلم جنوب غربي الأغواط تمكن المجاهدون من ذبح قطع من الأغنام  
لشركة الشركة الفلاحية للاحتياط (S.A.P.)، واستحوذوا على مائتي  
رأس من الماشية.

وعلى الساعة الثامنة مساء من نفس اليوم، تمكنت مجموعة من  
عناصر جيش التحرير الوطني تتكون من 300 حتى 400 رجل من وضع  
بدها على قطع من الأغنام بـ 668 رأس تابع لـ الشركة الفلاحية  
للاحتياط، كان يتولى حراسته المدعو سليمانني محمد رفقة ثلاث رعاة  
جزائريين.

ساق المجاهدون 450 رأس من الأغنام وذبحوها في وادي مسعد، ثم  
توجهوا ببقية الرؤوس إلى تاجرونة التابعة لبلدية أفلو، والواقعة جنوب  
غربي الأغواط بـ 78 كلم<sup>(1)</sup>.

(1) C.A.O.M. G.G.A. Carton 22H/93, (exaction rebelle commis dans la  
circonscription de Laghouat - Djelfa le: 15/02/1957)

1- «أوجين كومار» (Eugène COMARD) الذي أعتقل عند المدخل الجنوبي للقرية فروحة الواقعة جنوب معسكر بـ 10 كلم - ليلة الأحد 23 سبتمبر 1956 والذي أفرغ فيه أحد المجاهدين بندقيته ثم حُرَّ رأسه بالشايفور، وقطع أوصاله<sup>(1)</sup>.

2- «جورج مورياس» (George MAURIES)<sup>(2)</sup> الذي أعترض المجاهدون طريقه بحاجز

من الحجارة جنوب غريس بـ 10 كلم - مساء يوم الأحد 06 جانفي 1957، وأمسكوا به وبزوجته وطفله؛ وبينما أعدم «مورياس» رميا بالرصاص فإن زوجته وطفلها عوملا برفق وأحضرا لهما بغل نقلهما حتى مركز غريس<sup>(3)</sup> فكان إطلاق سراحهما رسالة واضحة إلى المجندين الفرنسيين لتقدير المجاهدين للنساء والأطفال.

3- «روني فورنيل» (René FOURNIL) الذي أغتاله المجاهدون مساء يوم الثلاثاء 04 جوان 1957 بمزرعته في «سان هيبوليت» (الممامونية) - شمال معسكر بـ 03 كلم -

<sup>(1)</sup> شهادة المندوب من سورة عواب (67 سنة في أبريل 1999 على قيد الحياة) وكان من بين الشرفيين للقوج الذي قد الصلح، وهي شهادة مطابقة لما أورثته مسخوطة Echo d'Oran اليوم 1956/12/25.

<sup>(2)</sup> كان جورج مورياس إلى جانب أخيه يمتلكان 300 هكتار من الأراضي الزراعية ببلدية عوف منها 80 هكتار خاصة بالكرام، ورثها من أبهما طوبن مورياس، المولود بتاريخ فيليب (غريس) في 1890/10/26، أما شقيقه عائلة مورياس ببلدية غريس فعمود إلى سنة 1848، ولما المزرعة المتولدة بعوف فترجع لشواها إلى سنة 1897 من قبل جدهم جورج مورياس.

<sup>(3)</sup> Echo d'Oran du Mercredi 05/06/1957

4- «فيليكس جوزاف فلا» (Phelix Joseph VALLAT)<sup>(1)</sup> تم إغتياله ليلة 09 أبريل 1958 قرب مطار غريس العسكري، وهو الآخر قطعت أوصاله وأوصال زوجته التي كانت تطلق النار على المجاهدين - خلافا لرواية مورياس - بينما لم يصب أطفاله الثلاثة المرافقون له بأذى (09 - 05 سنوات).

لم تكن جبهة التحرير مرة في تعاملها مع العملاء والخونة من أبناء الفلاحين الجزائريين الذين وضعوا أنفسهم في خدمة الكولون ورعاية مصالحهم.

ولما كان من الصعب إرواء عطش القراء في هذا الجانب، أو الكشف عن الحقيقة الكلية لعمليات الاختطاف والذبح والقتل التي استهدفت الخونة، سوف نكتفي بنماذج يبرز من خلالها المضمون الاستراتيجي والتكتيكي لضرب العملاء، ومن ذلك، على سبيل المثال لا الحصر ما حدث في فصيلة أولاد الحاج لدوار جبوشة وبالضبط في المسلك الواصل إلى ضيعة بن سعدون الواقعة على بعد 09 كلم شمال شرقي

<sup>(1)</sup> فلا فيليكس جوزيف: من مواليد 1920/12/29 بتاريخ فيليب (غريس) درس بالولاية معسكر، ثم بالبحر، شخرج منه دبلوم مهنتس فلاحي لدرجة 1938-1941 مهنتا بورد كصلاح مؤهل، في عام 1942 جند بالطيران وصار رائدا لطائرة قلصية في بريطانيا، في سنة 1946 عاد إلى تيارفيل لممارسة الزراعة، وفي 1947 عين مستشارا رئيسيا، ثم انتخب نائبا رئيس البلدية إلى غاية 1953، فترئيس بلدية عام 1954، كما سبق له أن تولى عدة مناصب منها: رئيس الصندوق للفلاحي لتيارفيل عام 1951، عضو المجلس الإداري للصندوق الزراعي لمعسكر... وله ملكية زراعية تقدر مساحتها بـ 350 هكتار، وإلى غاية مقتله كان يشغل منصب موقد خاص لبلدية تيارفيل



المجاهدون، ورموا بهم قرب ضيعة فرنانداز (FERNANDEZ) على بعد  
 (7) كيلومترات من المحمدية (1).  
 وتدعي سلطات الاحتلال الفرنسي أن مجموع المدنيين الجزائريين  
 الذين تم قتلهم على يد جيش التحرير الوطني فيما بين 1954-1962 يبلغ  
 219.900 ضحية (2).  
 وما هذه إلا أمثلة، وإذا كان البعض يرى في وسيلة اغتيال الكولون  
 والخونة، وضرب الأعناق والرؤوس وتقطيع الأوصال عقوبة أشد  
 مناساة، أفقدت المجاهدين إنسانيتهم، فعلى العكس من ذلك، يرى  
 البعض الآخر أنها وسيلة أذكى والمجح، أوحى بفعالية الثورة وبصلابتها  
 وعدم رافتها بالمستعمرين وبالموالين لهم، أكسبت المجاهدين هبة ورجية،  
 كما أنها تفسر بوضوح منهجية العمل الإنتقامي للشوار « Le Sang cri  
 vengeance ».  
 وفي الأخير نخلص أن «حرب المزارع» قد مكنت ولو جزئيا من تحقيق  
 الأهداف المرجوة: كالإخلال بالاقتصاد الزراعي للكولون وإثارتهم ضد  
 سلطات الاحتلال التي فقدت القدرة على حمايتهم، وفتح جبهة حرية  
 جديدة تمكن من تخفيف الأعباء على الجبهات الحربية الأخرى، وتمزيق  
 قوات العدو وتشتيته.

(1) Commandement régional de la gendarmerie de la X<sup>ème</sup> région militaire, 10<sup>ème</sup>  
 légion bis, groupement d'Oran, compagnie de S' Denis du Sig, brigade de  
 Perregaux, P.V n° 682 du 18/04/1960

(2) François Porteu de la MORNADIERE. Op cit, p 374

قرية البرج، غير بعيد من الطريق الوطني رقم 07 الواصل إلى غليزان،  
 حيث عثر رجال الدرك الاستعماري صباح يوم 07 يناير 1957 على  
 أربعة جثث ملقاة على ظهورها، قد تم قتل أصحابها من قبل المجاهدين  
 رميا بالرصاص في الرأس (1).

ومنها اختطاف المجاهدين للمدعو (ح.م بن ق.) البالغ من العمر 59  
 سنة، وهو فلاح من فصيلة العسكرية التابعة لبلدية جلقة المختلطة، من  
 مزرله، وبعد أن ذبحوه رموا به في مسلك شارف الزينة، وتركوا رسالة  
 تحذر الخونة من خطر التعامل مع الاستعمار، ألصقوها بدبوس في أنفه  
 وإلى جانبه وجدت أربع جثث مذبوحة، وقد شددت أيديها مربوطة إلى  
 الظهر مرببة على حافة الطريق (2).

كما قتل المجاهدون ثلاثة متعاملين رميا بالرصاص، عثر الدرك  
 الاستعماري على جثثهم يوم 18 أوت 1959 في قرية بوراشد التابعة  
 لبلدية طقراوة في دائرة سعيدة (3).

وفي صباح يوم 18 أبريل 1960 عثرت فرقة الدرك الاستعماري  
 للمحمدية (Perregaux) على ثلاثة جثث امرأتان ورجل قد ذبحهم

(1) 10<sup>ème</sup> Légion. Compagnie de Mascara. Section de Mascara, Brigade d'Ehoni  
 P.V N° 18 du 06/01/1957

(2) C.A.O.M. G.G.A. Carton 9H / 93. (document sur les exactions rebelles  
 Laghouat le 26/08/1957).

(3) Compagnie de gendarmerie de Saïda. Brigade de Saïda. P.V n° 2151 du  
 20/08/1959

ضمن الأعمال المشرقة والمشروعة، أي أنه ليس نشاطا تخريبيا كما  
دعيت لذلك وسائل الإعلام الفرنسية.

وقد يطول الحديث إذا دخلنا في عرض تفاصيل عن كل العمليات،  
واحدة بواحدة، فالتماذج والأمثلة المذكورة كافية للتدليل والبرهنة على  
الأعمال الثورية الجريئة التي نفذها المجاهدون - الصابرون - ضد  
الكلون، وهي كلها جديرة بالذكر نظرا للدور البارز الذي احتلته  
حرب المزارع في استراتيجية جبهة وجيش التحرير الوطني في كامل  
الوطن الجزائري، ومهما يكن من أمر فإن عمليات «حرق المزارع» ما  
كان يكتب لها النجاح لولا تعاون المواطنين مع أفواج جيش التحرير  
الوطني.

### موقف إدارة الاحتلال من عمليات ضرب المجاهدين لمزارع كلون

في مقدمة كتابه «Le Torrent et la Digue» يردّ الجنرال «ماسي»  
(MASSU) على الذين نعتوا فرنسي الجزائر بالمستغلين قائلا: «إن  
كلون المشكلين للأقلية بالنسبة للشعب الجزائري سنة 1954، هم  
الذين جلبوا للجزائر ثروتها الأساسية بثمن أراضيها»<sup>(1)</sup>، ونفس  
الصيغة صرح اللبرالي جاك شوفالبي رئيس بلدية الجزائر الأسبق قائلا:  
«لم أعرف قط جنونا أسوأ وخساسة أقبح من إصرار جيش التحرير  
الوطني الجزائري على تخريب الأراضي»<sup>(2)</sup> (القاعدة التحتية للاقتصاد

ويبدو من خلال تفحص وثائق الدرك الاستعماري أن «حرب  
المزارع» بلغت ذروتها خلال شهر ديسمبر 1956، حيث شملت كل  
القرى الجزائرية وامتدت إلى جميع مزارع الكلون.

ومن جهة أخرى فإن هذه الدراسة قد سمحت بالتعرف نسبيا على  
بعض الأساليب المتبعة في تنفيذ الاغتيالات وحرق المزارع: كحسن  
إختيار الهدف، وكذلك الزمان والموضع اللذان يسمحان بإصابة الهدف  
بسهولة (ليلا، آخر النهار، ليلة العطلة الأسبوعية، بالمرات الإجبارية)  
واستخدام الميخنة، والمفاجأة، وسرعة التحرك، وتكثيف الغارات مع  
برمجتها بنفس المنطقة في أكثر من موقع إثباتا للتنسيق وتأكيدا للقدرة  
على التنظيم والتلاحم والتكامل.

كما أنه من خلال إستقراء الوثائق تبين أن الثورة عن طريق عمليات  
«حرق المزارع» تكون قد أدركت المستوى القاعدي الشعبي وتحولت  
فعلا إلى نظام نلمسه في أجوبة المبحوثين من قبل الدرك الاستعماري:  
«لم أسمع، لم أشاهد، لا أعرف، لم أغادر مسكني ليلة البارحة، لم  
استضيف أحدا عندي، لم أعلم بالأحداث سوى في الصبيحة». وبهذا  
الشكل تكون أحداث «حرب المزارع» قد ساهمت حقا في نشر الوعي  
الوطني لا سيما في القرى والأرياف، وفي تغيير الذهنيات بحيث فهم  
الجميع أن عمليات «حرق المزارع» نشاط معادي للاستعمار يدخل

(1) - Jacques MASSU. Le Torrent et la digue. Paris, Plon 1972. P. IV.

(2) Ibid.



وفي جوان 1955 وجهت الإدارة الاستعمارية التهمة لكل الدواوير  
بأنها معاقلة وملاهي للشوار، وعليه قرر عامل عمالة قسنطينة في 21  
جوان 1955 نظام المسؤولية الجماعية للسكان في حالة وقوع عمليات  
تريب للمزارع أو حدوث حرائق بالغابات<sup>(1)</sup>.

وإن هجوم شنه الثوار على ضيعة أحد الكولون بدوار أولاد سيدي  
أويس وقتلهم لـ 79 ماشية، قرر المتصرف الإداري لعين مليلة حرق  
أرباع سكان الدوار وحجز 158 ماشية - أي الضعف - لكن الكولون  
الذي تعرضت ضيعته للتخريب رفض هذا النوع من العقاب مدعياً أن  
سكان الدوار مسالمون، وأن مرتكبي الجريمة هم أجنب عن المنطقة، ومع  
مما تمت عملية حجز 58 ماشية وتغريم الدوار بـ 400.000 فرنك، وفي  
دوار أولاد سالم من نفس البلدية دمر المجاهدون جواراً لأحد الكولون  
وأضرموا النار في مستودعين للحبوب، وعليه قرر المتصرف الإداري  
تغريم الدوار بـ 05 مليون فرنك (وهو مبلغ لا يطبق أهل الدوار  
تسليده مطلقاً) أو تسليم 1.200 ماشية عوض المبلغ المالي<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من الخسارة التي مني بها الاقتصاد الزراعي الفرنسي  
في أعقاب حوادث الشمال القسنطيني (20 أوت 1955) والتي أطلق  
عليها محمد حربي تسمية «انتفاضة الفلاحين» لاعتبار الفلاحين هم

الفلاحون (الكولون) التي كان بإمكان مساحتها أن تكون أوسع بكثير مما  
هي عليه. لولا أن الإدارة العسكرية عن طريق تطبيقها للقرار المشيخي  
(1863) الذي سمح للعرب باستعمار أراضي، وكأنه بهذا الموقف  
يهاجم سياسة المكاتب العربية ويعملها مسؤولية توقف الاستيطان -  
ومكثا كشف جاك شوفالي عن نزعة الاستعمارية الحاقدة، حيث  
ذهب به القول إلى اعتبار الفلاح الجزائري الذي أتاح له قانون 1863  
الفرصة لامتلاك أرض فلاحية مستعمراً - أو ليس من الغرابة بمكان أن  
يتحول المستعمر إلى مستعمر<sup>(3)</sup>.

وقد مر معنا في الفصول السابقة عرض عام لساثر أنواع الحجج التي  
لجا إليها المعمرون الفرنسيون والأوروبيون، ومن ورائهم إدارة  
الاحتلال في تبرير الحقوق التي يدعونها في امتلاك الأراضي الفلاحية  
الجزائرية والتزاعها من أصحابها الشرعيين.

فمثل هذا القول يجعلنا نحس وكأن الوجود الاستعماري الفرنسي  
في الجزائر قام - في نظر هؤلاء - على حق تاريخي وقانوني.

أمام ازدياد قلق الكولون على أمنهم وأمن مزارعهم، وضع أحد  
رؤساء البلديات بعمالة قسنطينة قوانين لجمعية تدعى «لجنة الدفاع ضد  
الكوارث الزراعية» (Comité de lutte contre les calamités agricoles)  
الغرض منها إنشاء مجموعات للدفاع الذاتي مكونة من الفلاحين  
الأوروبيين ضد مؤسسات التخريب التابعة للشوار<sup>(4)</sup>.

(1) Ibid. Francis et Colette JEANSON. Op cit, p. 213.

(2) Francis et Colette JEANSON. Op cit, p. 206.

- إخضاع مناطق تواجد الثوار للرقابة، لا سيما تلك التي سبق وأن  
سقطت بها ثورات من قبل، كمنطقة الأوراس، وبلاد القبائل،  
والوشرس، والظهرة، وبني شقران<sup>(1)</sup>.

اتخذت إدارة الاحتلال مجموعة من الإجراءات ضد حرب المزارع  
بها.  
1- إنشاء نقابات للدفاع الذاتي.

2- إصدار أوامر في 11 أكتوبر 1957 تنص على العقاب والتعريم  
الجماعي ضد الدواوير القريبة من الضيعات والمزارع التي تتعرض  
للتخريب.

3- رفع الأجر اليومي للعمال الزراعيين من 525 فرنك إلى 600  
فرنك.

ومقابل ذلك فرضت إدارة الاحتلال سنة 1957 على الملاكين ضرائب  
جديدة، وجعلت من ضيعات كبار الكولون مؤسسات زراعية نموذجية  
تضرب بالحراسة من طرف مجندين في الليف الأجنبي بمعدل 02 حتى 03  
مراس مسلحين في كل ضيعة مقابل ضريبة قدرها 3.000 فرنك قديم  
من كل هكتار من الكروم، و700 فرنك قديم عن الهكتار الواحد من  
الحبوب و300 فرنك قديم عن الهكتار الواحد من المساحات الرعوية

الذين أعطوها نسخها التاريخي (بحيث تجاوز عدد المشاركين منهم في هذه  
الحوادث الآلاف من الفلاحين مسلحين بالفؤوس والمناجل والسكاكين)  
فإن فرنسا استخفت بها واعتبرتها أحداثا هامشية لا قيمة لها غير أنها  
أعربت عن أسفها للقراغ الحاصل في قانون حالة الطوارئ بكونه لم  
يتوقع المساس بالملكيات الأرضية للثوار ولعائلاتهم، فعوضت عن سد  
هذا الفراغ باللجوء إلى تطبيق العقوبة الجماعية بدءا بالمقررين من الثوار  
والمتهمين بارتكاب جرائم، وعليه تفررت الإجراءات التالية:

- حجز ممتلكات الثوار (المباني والأراضي الفلاحية) للحيلولة دون  
استفادتهم من خدماتها.

- دعوة أفراد العائلة يوميا إلى مقرات جيش الاحتلال وإخضاعهم  
للاستطاق.

- تقي واحد أو مجموعة من أفراد العائلة<sup>(1)</sup>.

- إلزام عائلات الثوار بإبلاغ إدارة الاحتلال عن حالات الغياب.

إلى جانب ذلك اتخذت إجراءات أخرى تمثلت في:

- رفع أعداد العسكريين بمناطق الجنوب الجزائري، التي سادتها حالة  
اللا أمن.

(1) - C.A.O.M. G.G.A. Carton 1 M/15.

(1) - C.A.O.M. G.G.A. Carton 22H/90 (mise sous séquestre des biens des  
rebelles, en date du 28/05/1955).



ويلاحظ بأن النظام الدفاعي الذاتي للضيعات لم يستفيد منه كبار  
الفلاحين الجزائريين.

أما التصريح الذي أدلى به السيد سعد دحلب لمجلة أفريك/أكسيون  
فيوضح لنا بأن الفرنسيين قد أدركوا جيدا بأن الأرض يجب أن تعود  
للفلاحين وعليه قرر «لاكوست» وهو أحد الأعوان البارزين لغلاء  
الاستعمار في الجزائر الشروع سنة

1957 في القيام بإصلاح زراعي<sup>(1)</sup> هذا من جهة، ومن جهة أخرى  
أقرط في ارتكاب الجرائم والأعمال الجنونية عندما شعر بدنوا أجل  
فرنسا في الجزائر، فكان أسوء رد فعل قام به هو تجميع الآلاف من  
الفلاحين الجزائريين في المحتشدات الإجبارية التي تم تدشينها عام 1957  
لغرض تخليص شبكات دعم جبهة وجيش التحرير الوطني<sup>(2)</sup>.

وفي سنة 1958 دعا الجنرال «ماسي» جميع مساعديه وأعوانه لشن  
حملات لصالح القطاع الزراعي للمعمرين، وذكرهم بأن الفوائد التي  
حققتها مزارعو الكروم خلال هذه السنة (1958) تعود إلى عملية إخضاع

<sup>(1)</sup> من يوسف بن حسنة، لقاءات ليليان، تعريب لمسن زغدار، الجزائر: ديوان المطبوعات  
الجمعية 1986، من 74. نقل عن الصحيفة التونسية «أفريك/أكسيون» العدد 57، 16 نوفمبر  
1961.

<sup>(2)</sup> Claude COLLOT, Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830-  
1962, Alger: O.P.U. 1987, p.142

247 ضيعة ومؤسسة زراعية في شمال عمالة الجزائر العاصمة للحماية  
من طرف قوات الاحتلال العسكرية<sup>(1)</sup>.

بعد أن جربت السلطات الاستعمارية كل الوسائل الممكنة لإخضاع  
حب الثورة التي احتضنها الريف الجزائري وساندها أبناء الفلاحين،  
وذلك عن طريق الإجراءات العسكرية، والمشاريع الإصلاحية.

وبعد أن أدركت أن سياستها العقارية التي آلت إلى انتزاع أحص  
الأراضي من الفلاحين الجزائريين وتوزيعها على المعمرين، بعد طردهم  
مها، هي التي شحنت نفوسهم بالعداء للاستعمار الفرنسي وكره  
الكولون، ودفعت بهم إلى الإسراع في الاستجابة لنداءات الجهاد بدأت  
تفكر في مشاريع للإصلاح الزراعي وتهيئة الأرياف الجزائرية، وهكذا  
نالت الإصلاحات تبعا مع فرانسوا ميتران، وجاك سوستال، وروبرت  
لاكوست وبورغس مونوري وأخيرا مع الجنرال ديغول الذي قرر  
الاقتراب من الفلاحين، والاهتمام بالريف الجزائري الذي بلغ أسوء  
حالة من التدهور الاقتصادي والاجتماعي بعد اندلاع الثورة التحريرية  
في نوفمبر 1954 - وتحت عنوان المخطط الخماسي (01 يناير 1959 - 01  
يناير 1964) أعلن هذا الأخير في 03 أكتوبر 1958 عن مخططة المعروف  
باسم «برنامج قسنطينة» (Plan de Constantine) أو «برنامج إحياء

<sup>(1)</sup> لتعرف أكثر على الإجراءات المتخذة للقضاء على الثورة في مبدأ برنامج

لمسن زغدار. استراتيجية الثورة الجزائرية في موحثها الأولى 1954-1956، الجزائر:  
شور القمصن الوطني للمجاهد (د.ت).

الريف (Renaissance du Bled) - الذي اظهر فيه تسامح فرنسا  
وسخامها، وإغراءها المظلل -

وحدثت فرنسا أهدافها من برنامج قسنطينة بالأرقام حتى يظهر -  
للمعجب - أنه عمل اقتصادي اجتماعي، ورصدت له 18.930 مليون  
فرنك، خصص منها لتطوير القطاع الزراعي التقليدي 3.680 مليون  
فرنك وضمت مجموعة من الإصلاحات تخصّ منها بالذكر ماله صلة  
بالأراضي الفلاحية وتحسين مستوى الفلاح الجزائري، وذلك عن  
طريق: حل مشكلة التربة والمياه، بغرس 50.000 هكتار بالأشجار الغاية  
لحماية مساحة أراضي زراعية من الانجراف ترتفع إلى 300.000 هكتار،  
وكذلك استصلاح 100.000 هكتار من أراضي المستنقعات، بالإضافة إلى  
بناء خزائين للمياه في عنابة ووهران، وإنشاء 800 إلى 900 حوض مائي  
في مناطق تربية المواشي (1).

وتحقيقا لهذه الغاية تضمنت خطة قسنطينة الخاصة بالاستغلال  
الزراعي مسألة شراء الدولة لأراضي من كبار المعمارين، أو تحديد  
ملكيات الشركات العقارية الكبرى، وبذلك يتسنى لها استرجاع قسم

(1) وزارة الإعلام والثقافة، كيف تعوّرت الجزائر؟ عدد خاص بمناسبة الذكرى السادسة  
والعشرون لثورة نوفمبر 1954، الجزائر: 14 محرم 1400 - 1979/12/04، ص 84

من الأراضي القابلة للزراعة وإعادة توزيعها على الفلاحين الجزائريين  
بما لا يمكن

ولم يكن همّ فرنسا من برنامج قسنطينة الرامي إلى تحسين ظروف  
عيشة الفلاحين سوى استمالتهم، ومن ثم توجيه مخططاتها الاقتصادية  
لحرب الثورة التحريرية والقضاء عليها - يعني خلق طبقة فلاحية  
برجوازية صغيرة تكون سنداً اجتماعياً جديداً للسلطة الاستعمارية،  
يساهم في عزل جبهة التحرير الوطني سياسياً وعسكرياً، أي أن البرنامج  
كان يريد القضاء على الثورة عن طريق المشاريع الإصلاحية، وأن  
الشروع لا يريد إصلاحاً زراعياً حقيقياً (بمعنى ثورة وتغييراً في المجال  
الزراعي) بل أكثر من ذلك كان يهدف إلى إيجاد نخبة حضرية يقف بها  
في وجه الفلاحين، وهذا يفسر توجيه الاهتمامات بسكان المدن.

إن احتواء الجزائريين في وظائف يعود إلى الضغط السكاني في الجزائر  
بحيث بلغت نسبة التزايد لدى الجزائريين 7,3 ٪ بينما بلغت لدى  
الأوروبيين المقيمين في الجزائر 4,3 ٪، كما أن نسبة الجزائريين الذين  
قل أعمارهم عن العشرين سنة تبلغ 53 ٪، فكان لزاماً على فرنسا أن  
تلحق وظائف للشباب حتى لا يلتحقوا بالثورة، وعلى هذا الأساس  
كانت تسعى إلى خلق 1.150.000 وظيفة



- عدم كسب فرنسا ثقة الجماهير الريفية التي عانت من ويلات الاستعمار الفرنسي وقساوته إلى درجة لا يمكن وصفها وتصورها فيما يخص إليه الصراع حول الأرض من قتل للمفوس البشرية وهناك لأراض.

- رفض جبهة التحرير الوطني للمشروع لاعتبار أن حياة الملكيات الريفية تشكل عاملا أساسيا للتقدم الشخصي والرفي في الهرم الاجتماعي، وتسمح بتطور نخبة متميزة من الجمهور<sup>(1)</sup>.

- عرقلة جيش التحرير الوطني للمشروع بخلق حالة فقدان الأمن داخل البلاد، وقتل العمال المكلفين بحماية واستصلاح الأراضي والمسكرين المرافقين لهم<sup>(2)</sup>.

وهكذا أصبح الجميع يدرك بأن مشروع انبعاث البلاد، والإصلاح الزراعي أمثلته اهتمامات هي استراتيجية أكثر منها اقتصادية، كان من نتائجها ازدياد مشكل حدة البطالة في الأرياف، وتشريد مئات الآلاف من الريفيين، والمحطاط عميق للزراعة<sup>(3)</sup>.

إن التنمية الزراعية كانت تهدف إلى استغلال أراضي جديدة وتطوير وسائل الاستغلال والإنتاج، فلم تفكر فرنسا في إعادة توزيع الأراضي المحبسة على الفلاحين المحرومين كما أنها لم تسع إلى تحديد زراعة الكروم التي تغطي 380.000 هكتار، في حين أن 90 ٪ من السكان لا يستفيدون منها<sup>(4)</sup>.

وللتذكير فقط فإنه موزاة مع إعلانه عن مشروع قسنطينة عرض الجنرال ديغول في يوم 23 أكتوبر من نفس السنة (1958) «سلم الشعبان» قصد فتح الطريق لإجراء مفاوضات، وفي آن واحد قام بتجميع سكان الأرياف بعد انتزاع 2.157.000 فلاح من مساكنهم

بعبارة أخرى اشتمل مشروع قسنطينة على إجابات اقتصادية لمسائل سياسية. وبحلول سنة 1959 أدمج العالم الريفي الجزائري في السوق برجمته من خلال مشروع قسنطينة الذي كان هدفه شراء 250.000 هكتار من الأراضي، تحلى عنها الكولون -من جراء عمليات حرق المجاهدين لمزارع المعمرين-

- وإعادة توزيعها على الفلاحين الجزائريين، إلا أن هذا المشروع بقي هدفه سياسيا يرمي إلى خلق قوة ثالثة تواجه جبهة وجيش التحرير الوطني<sup>(5)</sup> ومن بين العوامل التي ساعدت على إخفاقه:

(1) عبد التلطف بن شنهور - المرجع السابق، ص ص 385-390.

(2) نفسه، ص 397.

(3) ديسير أمين - المغرب العربي الحديث، ترجمة كميل ق. داغر، ط 02، الجزائر، د.ج 1981، ص 152.

(4) René GALLISSOT, Les accords d'Evian, Alger 1997, p 174

إن الشرح والتحليل لاتفاقيات إيفيان يتبن له أنها جاءت لتؤكد  
الخيارات التي حددتها مشروع قسنطينة في المجال الزراعي بحيث أزيلت  
مكانة الزراعة في مجال المبادلات بين البلدين.

ولم يكن من هدف لفرنسا في المجال الزراعي من خلال اتفاقيات  
إيفيان سوى ضمان مصالح الكولون في الجزائر المستقلة.

إن المادة 13 من الاتفاقيات<sup>(1)</sup> والتي أشير إليها سابقا - تمنح  
السلطات الجزائرية إمكانية استرجاع الأراضي الزراعية بالنظر إلى مسألة  
الإصلاحات الزراعية، وهذا العنصر سوف يجعل من اتفاقيات إيفيان  
نصا تطبيقيا لاستراتيجية تم عرضها في مشروع قسنطينة.

وافقت السلطات الاستعمارية مقدما على مبدأ استرجاع  
الأراضي التي بحوزة الكولون، وربطته باستبدال البنية الزراعية مع  
الحفاظة على مبدأ التعويض (المادة 12)<sup>(2)</sup>. وضمان الصادرات الزراعية  
إلى فرنسا (المادة 06) من الفقرة 02

مثل هذه الإجراءات وهذه الشروط - السلبية - تجعلنا نتساءل عن  
ما أحتق بتعويض الأراضي الزراعية والتنازل عنها للآخر، الجزائر أم

فرنسا؟ أو بعبارة أخرى أيهما يعوض الآخر الفلاح الجزائري أم  
الكولون؟ وموقف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية القاضي  
بالإسقاط تغييرات بنوية على القطاع الزراعي كان يبشر باستعادة التراث  
الجزائري الجزائري وفي مقدمته الأراضي الزراعية.

وفي حقيقة الأمر لم توضع عراقيل من قبل الفرنسيين أثناء  
مفاوضات إيفيان - بشأن استرجاع الأراضي الزراعية بالنظر لتراجع  
الزراعة الفلاحية لدى الكولون بعد الحرب العالمية الثانية ثم أبان حرب  
تحرير، بحيث تراجعت الاستثمارات الإنتاجية، كما لم تعوض الكروم  
التي تعرضت للشيخوخة بنسبة 25 ٪ سنة 1962، وأصبح أمل الكولون  
يطلب عليه العودة إلى الوطن الأم، وتحول رؤوس الأموال إلى فرنسا  
التي كانت تحظى بمنافسة إيطاليا لها في مجال الخمور داخل السوق  
الأوروبية المشتركة.

إن تخلي الكولون عن أراضيهم، ومغادرتهم الجماعية لأرض الجزائر  
لحقت ضغط الثوار يشكل الإجراء الأول لعدم تطبيق اتفاقيات إيفيان في  
مجال الزراعة.

وهذه الوضعية - الصراعية (Conflictuelle) جرّت السلطات  
الجزائرية إلى استرجاع الأراضي الزراعية مجانا، بحيث عادت مسألة  
التعويض إلى درجة ثانية بشأن التعاون في هذا المجال، وآل الأمر إلى  
راجع ملحوظ في الصادرات الزراعية الجزائرية إلى فرنسا، فمثلا:

<sup>(1)</sup> François PERROUX. Op cit, p 250. (d'après le Journal officiel du 20 Mars 1962 - Accord de cessez - le - feu en Algérie. Titre IV - garanties des droits acquis et des engagements antérieurs. Article 13) François PERROUX. Op cit, p 250. Article 12

<sup>(2)</sup> Ibid. titre II. Echanges. Article 6. P251



مهما بلغت فرنسا في مثالية الإنجازات الحضارية التي حققتها في الجزائر، فإن هذه الإنجازات لا يمكنها أبدا أن تسقط حق الجزائريين في استعادة ممتلكاتهم.

ويمكن القول أن سياسات فرنسا الزراعية فيما يتعلق بأحلام واستثمارات المستقبل البعيدة الرامية إلى الاستيطان الأبدي في الجزائر، والتي ظلت تراود الكولون والأقدام السود قد انحطت كلها على سحرة الواقع، إذ عجزت القوات الاستعمارية - إدارة وجيشا يستوطنين - عن توقيف المد الثوري.

ويتبين من خلال ما سبق عرضه بأن النتائج التي أسفرت عنها ثورة أول نوفمبر 1954 كانت محسومة ومتوقعة سلفا، لأن الخطة التي تبناها الثوار كانت مصممة بشكل مقصود ودقيق ومدعمة بالأدوات الضامنة للنجاح مسبقا، ولأنهم كانوا يعرفون مقدما رد فعل الفلاحين الإيجابي.

وإن عمليات حرق المزارع قد حققت الأهداف المرجوة منها حيث حلت المواطنين الجزائريين إلى الاعتراف بالثوار، والتخلص من عقدة الخوف، وأجبرت فرنسا إلى تجنيد أكبر قوة من العساكر لحراسة المصانع والمؤسسات الزراعية، ومراقبة الطرق والمواصلات، مما اشغل ثلث جيش الاحتلال أو رבעه.

صادرات الحمر إلى فرنسا، التي كانت تقلد فيما بين 1959-1961 بـ 15,8 مليون هكتولتر نزلت سنة 1963 إلى 6,7 مليون هكتولتر (1). ولم يعد هناك أمل في تطبيق المادة 06 من اتفاقيات إيفيان المتعلقة بالتعاون الاقتصادي والمالي.

وبهذا الشكل تكون الجزائر قد استرجعت أراضيها الزراعية واستفادت من محصولها الفلاحي لسنة 1962، في حين تكون فرنسا هي التي عوّضت الكولون بمنحهم مساعدات مالية قدرت بمليار فرنك سنة (2) 1963.

(1) - René GALLISSOT. Op cit, p 176.

(2) - Ibid. pp 177-178

أما الكولون فقد أدى الانحطاط المعنوي ببعض منهم إلى التوقف  
عن النشاط الزراعي، وبالبعض الآخر إلى التعامل مع جيش التحرير  
الوطني.

وهكذا كانت حرب المزارع أحد أهم العوامل الرئيسية التي مهدت  
الطريق أمام تحريك الفرنسيين لإجراء اتصالات مع جبهة التحرير  
الوطني استعداداً للمفاوضات.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن ألفت انتباه الدارسين والمهتمين بتاريخ  
ثورة أول نوفمبر 1954 إلى وجوب تناول أحداث حرق المزارع كظاهرة  
تاريخية تدرس دراسة علمية دقيقة مركزة ومعقدة.

## خاتمة عامة

نضع مما سبق عرضه معالم المشروع الاستيطاني الفرنسي في الجزائر مثلثة

1. استخلاص ملكية الأراضي الفلاحية وإخلائها من أصحابها.
2. استخدام مهاجرين فرنسيين وأوروبيين وتثبيتهم فيها.
3. تقنين العلاقة بين الاستيطان واستملاك الأراضي (الإجراءات  
الفرنسية).

كما يظهر أن فرنسا كانت تنصرف في أرض الجزائر وكأنها خالية من  
العنصر البشري.

ويبدو أنها ارتكبت خطأ تاريخياً فادحاً لاعتقادها أنها الوريثة الطبيعية  
لبلاذ الجزائر بحكم الجوار أولاً ثم بحكم الماضي التاريخي، حيث بنضج أن  
تلاحق الأمامية لظاهرة الاستيطان الفرنسي في الجزائر أنها موروثه عن  
نظام الإمبراطوري الروماني في الجزائر.

ثم راحت فرنسا تدعم حقها الباطل في ملكية الأراضي الجزائرية بالعناية  
بالقيام باستغلالها، والمبالغة في إنشاء المزيد من المراكز الاستيطانية  
استيعاب المهاجرين، وراحت على الاستيطان الزراعي بإنشاء المؤسسات  
الزراعية المتخصصة، وأخضعت جميع سياساتها لمتطلبات التوسع الاستيطاني



تحت الأبار، وبناء السدود، ومد شبكة الطرق والمواصلات، ومنح القروض والمساعدات المالية للكونون بما يسمح لهم بتطوير إنتاجهم الفلاحي، بينما وضعت العراقيل في وجه الفلاحين الجزائريين الصغار وحرمتهم من كل مساعدة

أما الصراع بين المحتلين فلم ينشأ إلا بعد أن رأى الجزائريون مساحات أرضية شاسعة تختص من أصحابها الشرعيين بقوة السلاح وقوة القانون، ولمح لكمة سائلة وهبة سنية للمعمرين الأوروبيين.

وهكذا دخل الشعب الجزائري في صراع طويل مع الاستعمار الفرنسي من أجل الأرض وسبب الأرض التي تظاهي قدسيته لديه قدسية الدين، وفهم بأن لا إعتاق ولا حرية، أو بعبارة أخرى لا عزة ولا كرامة ولا شخصية إلا في ظل استرجاعه لأراضيه المعتصبة، وفرضه لسيادته المطلقة عليها، وإخراج الكولون منها، وإعادة توزيعها على صغار الفلاحين.

وبدا له بأن نقطة البداية في كل عملية تحريرية تبدأ باسترجاع الأراضي أولا باعتبارها وطنًا ومصدرا للرزق، وهكذا امتزجت لديه فكرة الاستقلال باستعادة الأراضي المعتصبة.

ويظهر ذلك من خلال اتخاذ زعماء حركة التحرير الوطني من «تحرير الأرض وإعادةها لأصحابها» شعارا لهم في مقاومتهم للاستعمار الفرنسي طيلة فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962)، بل وظل هاجس

لأرض يراود الزعماء التاريخيين طيلة سنوات ما بعد الاستقلال في شعار «الأرض لمن يخدمها» من خلال تطبيق قانون الثورة الزراعية.

وقد ما كان لا تتزعزع الأرض الفلاحية من تأثير بليغ في نفوس الجزائريين وشاعرهم، بقدر ما كان الصراع حولها عاملا حاسما في إبراز شخصيتهم وهويتهم الوطنية وقاعدة متينة لها، خاصة وأن الصراع كان داخل وطن اسمه الجزائر، حدوده معلومة، وماضيه منجلد في التاريخ.

ومن النتائج التي يمكن استخلاصها في آخر هذا العرض، إخفاق فرنسا في مراعاة الديمغرافي مع الجزائريين بحيث لم تتمكن من تحقيق الغلبة الديمغرافية لرعى الأقل توازن ديمغرافي نسي بين الجزائريين والأوروبيين المهاجرين إلى الجزائر، وإخفاقها أيضا في محاولة دمج الجزائر وإلحاقها بفرنسا.

وتبقى الأمنية الأخيرة أن يكون هذا البحث قد حقق الغرض الذي هدف إليه، وهو التعريف بجانب من ظاهرة الاستيطان، والوقوف على جزء من مظاهر الصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر.

كما أرجو أن يساهم هذا العمل في فتح شهية المهتمين بتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، إثراء لهذا الموضوع وإكمالا له.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

البقرة: ٢٨٦

## الملاحق

أولاً : تراجم لأهم الشخصيات المذكورة في البحث (Notes Biographiques)

ثانياً : قائمة المراكز الاستيطانية التي منحت أسماء جديدة بعد استرجاع الجزائر استقلالها

ثالثاً : مجموعة ملاحق خاصة بالاستيطان

3- قرار 18 أبريل 1841 « Arrêté du 18 Avril 1841 »

4- سند ملكية « Titre de concession »

5- نموذج لمخطط توسيع مركز استيطاني

6- رسم للتجدي الفلاح « Le Soldat Paysan »

7- رسم الجفرال لامورسبار في توديع الكولون المهاجرين إلى

الجزائر يوم 08 أكتوبر 1848

بدا - رسم توزيع الأراضي على الكولون

8- خريطة للمنطقتان القلاية لعام 1848 بالأقاليم الجزائرية الثلاث

9- مراحل الاستعمار الفرنسي للجزائر

بدا - مراكز استيطان المهاجرين من الأكراس واللورين إلى الجزائر عام 1870

10- مراكز الاستيطان الناشئة بالجزائر فيما بين 1833-1928

11- نموذج لمجدول براحل وتطور الاستيطان الحر بأحد المراكز الاستيطانية

رابعاً : مجموعة خاصة بالتنمية الزراعية الاستعمارية في الجزائر

12- صورة لمبنى دار الكولون بمعسكر (رمز الاستقلال والاستيطان)

13- خريطة برسم بياني خاص بالدخول الزراعي للعمال الجزائريين (1958)

14- خريطة المياه في الجزائر أبان الاحتلال الفرنسي

خامساً : مجموعة نماذج من صيغ نقل الملكية

15- تصاميم تظهر تكريس الاستيلاء على المساحات الواقعة في قلب الأراضي الزراعية الجزائرية

16- نموذج لإعلان خاص ببيع ممتلكات عقارية عن طريق السعر الثابت والكتب المفتوح

17- نموذج لإعلان خاص ببيع ممتلكات عقارية عن طريق المزايا العلني

سادساً : نماذج من الشكاوي ومذكرات الاحتجاج

18- نموذج لمراسلة إدارية بشأن أراضي صودرت من أصحابها بحجة المنفعة العامة

19- رسالة تشكي من أحد مواطني فرنسا إلى عامل عمالة وهران يطلب فيها تعويضاً عن أرض أجداده المقتصة



بيوغرافيا بأهم الشخصيات المذكورة (تراجم)

NOTES BIOGRAPHIQUES

أوجين إتيان: (Eugène ETIENNE) (1844/12/15 - 1921/05/13)

نائب عن الجزائر الفرنسية (1881-1919)، نائب كاتب الدولة للبحرية  
والاستعمارات (06/07-12/12-1887)، نائب كاتب الدولة للتجارة والصناعة  
والاستعمارات (17/03-1890/02/27-1892)، وزير الداخلية (24/01-  
12/11-1905)، وزير الحرية - مرتين - (12/11-1905-25/10-1906)  
(01/21-09/12-1913)، من دعاة إنشاء كتلة برلمانية خاصة تسمى الحزب  
الاستعماري (Parti Colonial).

وُلِدَ في:

وُلِدَ في 07/03/1910، من عائلة فلاحية تعرضت أراضيها للاقتصاب بعد  
ثورة 1871، تردد على المدرسة القرآنية في سن الخامسة والسادسة من عمره، ثم  
دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية، بائع جوال لجريدة (Vendeur Echo d'Alger)  
de Journaux à la criée، ثم تيليغرافي بالبريد، أسس فرعاً نقابياً (1926)،  
انخرط في الشيعة الشيوعية (1930)، أنشأ جريدة L'œil des P.T.T. السرية، أميناً  
للحزب الشيوعي الجزائري في إقليم الجزائر الوسطى خلفاً لـ علي بوقوط -  
القبوض عليه في 1934 -، رئيس تحرير جريدة La Lutte Sociale، موفد إلى  
الأمم العالمية للكونغرس في جويلية-أوت 1935، عضو في اللجنة المركزية للحزب

20- نموذج لحواشي من حامل عائلة وهران إلى رئيس مريدة بشأن شكوى تقدم  
بها أحد مواطني مريدة

سابعاً: مجموعة خاصة بمرحلة ثورة أول نوفمبر 1954

21- صور من التحريب الذي لحقه المجاهدون بمزارع الكولون في المنطقة  
السادسة من الولاية الخامسة التاريخية

22- نفسه

23- نموذج من منشور الدعاية الفرنسية لبيان ثورة أول نوفمبر 1954

24- صور للتجمع الإجباري لفرقور بزملاطة (معسكر)

25- صور لمعتدين فرنسيين يتولون تأمين حماية الكولون ومزارعهم أثناء

عمليات الحصاد والدرس

القائد، وثارديس (عين بريان)، وحدثت معركة ايزلي، والتوقيع على معاهدة  
الطائف (1844)، واتفاقية لالة مغنية مع المغرب (1845).

ماري-ألفونس-بيلو ماري-الفونس: Marie-Alphonse BEDEAU

جنرال فرنسي (1804/08/19 - 1863/10/29)، خريج مدرسة سان سير  
المسكينة برتبة ملازم (1822)، نقيب في سلاح المدفعية (1831)، شارك في حملتي  
البنكا (1831 و 1832)، وفي حملتي سطيف بالجزائر (1836 و 1837)، عقيد في  
(1838)، جرح في حملة شرشال، اصطدم بالمقاومة الجزائرية قرب موزاية وفي خواتم  
بيدي موسى، بعد معركة ايزلي أصبح جنرالا ثم قائدا عاما لأقليم قسنطينة،  
وبعد حملة بجاية والقبائل (1847) عين حاكما عاما بالنيابة على الجزائر، بعد موته  
أطلق اسمه على مركز استيطاني قريبا من سعيبة (وهران).

أيليبي: Aimable Jean Jacques PELISSIER duc de Malakoff (1864-1796)

درس في الأكاديمية العسكرية "La Fliche" و "Saint Cyr" شارك في حملة  
أسييا (1823)، وحملة الجزائر (1830) - قائد للأركان حتى حرب القرم  
(وهران). أباد قبيلة جزائرية بأكملها في الظهرة قرب مستغانم في 18 جوان 1845،  
ثم في أعقابها الحاكم العام للجزائر بيجو في داية جنرال، شارك في حرب القرم  
(1855)، عين عضوا في مجلس الشيوخ عقب عودته إلى باريس، سفير لفرنسا  
بسن (1858-1859)، وفي 1860 عين حاكما على الجزائر، بعد وفاته سمي مركز  
استيطاني بقرم من مستغانم باسمه (سيادة حاليا).

الشيوعي الفرنسي في مؤتمر فيلريان (Villeneuve) (يناير 1936)، أميناً للمؤتمر  
الإسلامي بصفة نائب في الحزب الشيوعي الجزائري؛ تصارع بدنيا مع مناضلي  
حزب الشعب في مهرجان تلمسان؛ نائب د.م. بلدية الجزائر (1937)؛ انسحب من  
الحزب الشيوعي بعد التوقيع على الحلف الجرمانى السوفياتي؛ ثم عاد إليه خلال  
الحرب العالمية الثانية؛ نائب شيوعي عن الجزائر العاصمة في 1945؛ أميناً أولا  
للحزب الشيوعي الجزائري حتى 1948. تقرب من جمعية العلماء المسلمين  
الجزائريين؛ وفي سنة 1955 انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني، وساهم في  
تحريض وثيقة مؤتمر الصومام (1956). دخل السجن سنة 1958؛ نائب (1962)؛  
وزير الفلاحة الجزائرية، (1962-1964) مدير مجلة "Révolution Africaine"  
(1964-1965)

3-يجو توماس-روبرت: Thomas-Robert BUGAUD

مارشال فرنسي (1784-10/06/1844)، أرسل إلى الجزائر في 1836/06/06  
في مهمة مزدوجة: محاربة الأمير عبد القادر، وفرض السلم معه؛ خاض معركة  
الشكك في 1836/07/06، وقع معاهدة الطافة مع الأمير عبد القادر  
(1837/05/20). غادر الجزائر ثم عاد إليها في 1848/02/22 بصفة حاكم عام  
عاطفا بـ 100.000 رجل وعدد من الجنرالات (من بينهم لاموريسارد،  
شانتاغني، بيلسي، بيدو، كافيناك...) شهدت الجزائر خلال حكمه استسلام  
محيط (1842/06/09)، سقوط الزمالة (1843/05/14)، وحرقة أولاد رباح  
(1845)، وإنشاء المراكز الاستيطانية: أورليان فيل (الشلف)، وسانتغاري (ثنية)



1901 استقر في بني عباس جنوب الجزائر، عقد صلات مع التوارق (1804-1805) وسكان بني عباس، وأدراو وعين صالح، وأولاف، والمنيع، وغرداية، تعلم لغة التوارق ونقل الإنجيل إليها، قتل بطلقة رصاصية في 1916/12/01 في تمراست من قبل أحد التوارق.

12- دي قيدون لويس-هنري: (1886-1809) Louis - Henri DE GUEYDON

من أصل إيطالي، دخل المدرسة البحرية لأنغولام في 1823، عين حاكما بالمارتينيك (1853)، نائبا لرئيس المجلس الاستشاري للمستعمرات، ثم رئيسا لمجلس الأميرالية (1863)، فحاكما عاما للجزائر (1871/03/20)، واجه ثورة القراني (1871)، ألغى المكاتب العربية (1871/09/14)، أنشئ في عهده عشرون مركزا استيطانيا استجابة لقانون 1871/06/21 الذي نص على منح المهاجرين من الألبان واللورين 100.000 هكتار من الأراضي الفلاحية. وبناء على اقتراح من دي قيدون أصدر رئيس الجمهورية (مالك ماعون) مرسوما في 1871/10/16 خاصا بتعليك الأراضي للمستوطنين مقابل التزامهم بالإقامة فيها واستغلالها لمدة تسع سنوات.

13- جوناو شارول: (1927-1857) Charles Celestin August JONNART

درس الحقوق بسان أومير St Omer وباريس، عينه غامبيتا بديوان الحاكم العام للجزائر (1881)، ثم مديرا لمصلحة الجزائر بوزارة الداخلية، فمستشارا عاما لسان

الخاصة (1958) رئيس للجمهورية (1959-1969)، تعاقب على الحكم بالجزائر في عهده كل من لاکوست (1956/02/07) وسالان (1958/06/06)، ودي لوفري (1958/12/12) وموان جان (1960/11/23)، فوتي كريسيان (1962/04/25)، زار الجزائر في 1958/06/04، اقترح سلم الشجعان (1958/10/23)، وخلال حكمه أعلن الثوار الجزائريون عن ميلاد الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية 1958/09/19 برئاسة فرحات عباس، وبعد خطة شال وعمليات التنشيط الواسعة (1959) أعلن ديغول عن حق الجزائريين في تقرير مصيرهم (1959/09/16)، فأجاب لاجايارد بإنشاء المنظمة الإرهابية السرية (O.A.S)

(1960/01/20)، وبانقلاب الجزائر جوهو، شال، زيلار، سالان، في 22-1961/04/25 وفي 1962/03/18 وقعت فرنسا مع الجزائر على اتفاقيات لبيان.

11- دي فوكو شارول: (1916-1858) Charles DE FOUCAULT\ولد في 1858/09/15 بستراسبوغ (فرنسا)، دخل مدرسة سان سير العسكرية (1876)، عين بالوحدة الرابعة للفتاوة الأفارقة برتبة ملازم أول (1880)، شارك في عمليات قمع ثورة الشيخ بوعمامة (1881)، التحق بالحامية العسكرية المقيمة في مدينة معسكر.

درس الإسلام وتعلم العربية، زار المغرب فيما بين 1883-1884 رفقة الراهب مروجي سافر إلى المشرق العربي (1890-1896)، انتقل إلى روما (1896) لتلقي علوم الدين، ثم عاد إلى فلسطين (1897-1900)، عين أسقفيا (1900)، وفي سنة

أومبر (1886)، وثانياً في البرلمان عن «Pas-de-Calais» عينه كازيمير بيرسي وزيراً للأشغال العمومية (1893)، أُنخب عضواً بمجلس الشيوخ (1894)؛ عينه فالديك روسو حاكماً عاماً على الجزائر (1900)، أصدر في أعقاب ثورة عين بسام (1906) منشوراً جونار الذي حد فيه من الحريات العامة للجزائريين، وفي 1908 أصدر قراراً بمنعهم من أداء فريضة الحج. عاد إلى البرلمان بفرنسا (1911)؛ غداة اندلاع الحرب العالمية الأولى عين وزيراً للخارجية؛ في سنة 1915 عين ضمن لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي لإدخال إصلاحات على الجزائر، والنظر في قانون الأهالي والقضاء الفرنسي والجزائري. وكان من المؤيدين لفكرة الحصول التدريجي للجزائريين على الجنسية الفرنسية. عين من جديد حاكماً عاماً على الجزائر في 1918 وكان أحد المباركين لإصلاحات عام 1919. أصبح رئيساً للحزب الجمهوري الديمقراطي (1920)، ثم سفيراً لفرنسا بالفايتكان، لِيُنتخب أخيراً في الأكاديمية الفرنسية (1923).

14- راندون جاك لويس: Jacques Louis César (1871-1795)

Alexandre Comte de RANDON

عسكري، سياسي فرنسي، مارشال وحاكم عام للجزائر، التحق بالجندية وعمره 16 سنة، رقيب في 1812، شارك في حملة روسيا، نقيب وعمره لا يتعدى عشرين سنة، انتقل إلى الجزائر (1838-1847)، عين جنرالاً (1847)؛ دعي إلى ما خلفاً للجنرال رستولان (1849)، حاكماً عاماً للجزائر (1857/12/11)، بعدة حملات لقمع المقاومة في إقليم البايور وبلاد القبائل والأغواط (1852)،

15- سوستال جاك: Jacques SOUSTELLE (1990-1912)

سياسي فرنسي، مختص في علم السلالات البشرية، درس الآداب والفلسفة بليون، تخرج من المدرسة العليا للأستاذة (1929)؛ تحصل على شهادة في علم الأجناس البشرية (1930) أستاذ مبرز في الفلسفة (1932)، دكتور في الآداب الفرنسية (1937)، تولى مهام علمية في المكسيك (1932-1940)، تخصص في المحاضرات الأمريكية؛ أستاذ في العلوم الاجتماعية منذ 1951، انجذب ماركسي عالمي، (معادي لستالين وللفاشية)؛ التحق بالقوات الفرنسية الحرة في لندن (1940)؛ كلفه ديغول بمهمة دبلوماسية في أمريكا اللاتينية (1941)، حيث أنشأ لجناً لمساندة فرنسا الحرة؛ عين مديراً للإدارة العامة للخدمات البشرية (D.G.E.R) بالجزائر (1943-1944) ثم وزيراً للإعلام وللمستعمرات في حكومة فرنسا المؤقتة (1945). حاكماً عاماً على الجزائر (1955-1956)؛ أنشأ التجمع من أجل الجزائر فرنسية

(R.A.F) سنة 1959، ناضل من أجل عودة ديغول إلى الحكم إلا أنه دخل في صراع معه بسبب موقفه من الثورة الجزائرية. التحق بالمنظمة الإرهابية السرية في عهده اندلعت ثورة 01/11/1954، وأعلنت حالة الطوارئ في بلاد القبائل والأوراس (1955) ورفع عدد المجندين إلى 100.000 رجل، ووقعت حوادث



سيدي بلعاس (1868)؛ شارك في الحرب ضد بروسيا (1870)؛ نائب للأركان  
عضو في حكومة بورديو (1871)، حاكم عام للجزائر في جويلية 1873،  
عضو في مجلس الشيوخ ورئيس المجلس العام للأركان (1875)، سفير فرنسا في  
روسيا (1879)، نافس جول فيري في الانتخابات الرئاسية (1879).

16- شارون فيالا: Viala CHARON (1880-1794)

1935/08/20، التي عمت بعدها حالة الطوارئ في كامل الجزائر  
منعت له سلطات خاصة في 12/01/1956

عسكري وسياسي فرنسي، خريج مدرسة الهندسة العسكرية بد Metz،  
برتبة ملازم (1813)، شارك في الدفاع عن Metz (1814)، خاض معركة واتولو  
(1815)، بقي في 1821، مكث سبع سنوات في إسبانيا، دخل الجزائر في 1835،  
شارك في حلات شرشال ومليانة (1840) ومعسكر (1841)، وشلف وقلينة  
(1843)، جنرال وحاكم عام للجزائر (1848)، شهدت فترة حكمه للجزائر عدة  
ثورات شعبية: ثورة بن طيب بين تلمسان ومعسكر (يناير 1849)، ثورة بوزيان  
في الأوراس وميزاب التي انتهت بمحاصر الزعاطشة (10/07-26/11/1849)،  
وثورة محمد بن شيرة في أولاد نايل.

17- شانزي أنتوان: Antoine Alfred Eugène CHANZY (1883-1823)

تجند في البحرية العسكرية (1839)، تحول إلى سلاح المدفعية (1841)، ملازم  
(1843)، عين بوحضات الزواف في البلدة، مكث في الجزائر 16 سنة، حضر  
مراسم إهداء الأمير عبد القادر للحرب ضد فرنسا، ملازما أولا في 1848؛ نقيبا  
في النقيب الأجنبي (1851)، ضابط المكتب العربي لتلمسان ثم لوهراين؛ شارك في  
معركة ماجنتا وسولفيرينو (1859)، عمل في سوريا (1860)، استقر في روما  
(1861-1864)، ثم عاد إلى الجزائر (1864)، جنرال على رأس القسم العسكري

يعرف في صغره على الأب دي فوكو، وعلى ليوتي، عمل بعد الحرب العالمية  
الأولى في الجزائر؛ عين حاكما عاما للهند الصينية الفرنسية (1939)، نظرا لخلافه  
مع حكومة فيشي تخلى عن منصبه للأدميرال ديكو (Decoux) وانتقل بالجنرال  
ديبول، وعلى لسانه اعترفت فرنسا الحرة باستقلال سوريا في عام 1941. عين  
ديبول حاكما عاما على الجزائر (1943-1944)، فوزيرا لشمال إفريقيا  
(1944/09/09 - 1945/10/21) ثم سفيرا لفرنسا بالاتحاد السوفياتي (1945-  
1948)، ووزيرا مقيما بالجزائر (1956/02/01)، أرغمه غي مولتي على الاستقالة  
في 1956/02/06

18- كافينيك لويس - أوجين: Louis Eugène (1857-1802)

CAVAIGNAC

جنرال؛ رجل سياسة فرنسي، رشح للانتخابات الرئاسية الفرنسية في 1848،  
حاكما عاما للجزائر.

في الحكومة المؤقتة (1848)؛ وزير العدل (02/25 - 06/07/1848)، ممثل للشعب (1848-1849) - بالمجلس التشريعي التأسيسي - نائب عن مقاطعة دروم (Drôme) (1869-1870)؛ وزير العدل (04/03 - 17/02/1871).

زار الجزائر 17 مرة آخرها في جوان 1870، أصدر 06 مراسيم تنظم الحياة في الجزائر، منها:

- مرسوم يضع حدا للإدارة العسكرية في الجزائر.

- مرسوم يمنع اليهود من تعدد الزوجات.

- مرسوم 1870/10/24 الذي منح الجنسية الفرنسية لـ 35.000 يهودي جزائري تلقائيا (d'office)، انتخب نائبا لعمالة الجزائر العاصمة (1872-1875)، ثم عضوا لمجلس الشيوخ (1875-1880).

Charles Martial Allemand

22- لافيجري شارل: (1825-1892)

LAVIGERIE

فيس في 02/06/1849؛ دكتوراه في الآداب (1850)؛ دكتوراه في العلوم الدينية (1853)، أستاذ مختص في تاريخ الكنيسة بجامعة سربون (1854)، زار دمشق وحاول الاتصال بالأمير عبد القادر (1860)؛ أسقف ناتسي (1863)؛ رئيس لسلطة الجزائر العاصمة (1866).

عزل إلى الجزائر عام 1832 ضمن جيش إفريقيا، شارك في حملة مدينة معسكر (1833)، عين كنوزيل على رأس 500 رجل لاحتلال تلمسان.

(1836)، قام الأمير عبد القادر لمدة 15 شهرا (1836-1837)، استدعي إلى فرنسا في 1837، أصيب في حلة شرشال بجروح خطيرة (1840)، خاض معركة ليزلي (1844)، وفي نفس السنة رقي إلى رتبة مارشال.

20- كلوزيل برتراند: (1842-1773) CLAUZEL Bertrand

تخرج من المدرسة العسكرية ملازما (1791)، نقيب في 1792، وجنرال في 1807 أرسل إلى إسبانيا (1810)، حاصر كيوداد رودريغو، جرح في سالامانكا، كان من أنصار نابليون الأول، لجأ إلى الولايات المتحدة الأمريكية في 1814، عاد إلى فرنسا (1820)، شارك في ثورة جويلية (1830)، تلقى أمرا من لويس فيليب باحتلال الجزائر (1830/11/30)، احتل البلدة والمدية (1830/11/26)؛ سلم وهران وفستطنة للأميرين تونسين فاستدعي إلى فرنسا (1831)، عين حاكما عاما على الجزائر (1832-1836)، احتل مدينة معسكر (06/12/1835) وتلمسان (13/01/1836)، وفي عهده سقطت قسطنطينة (01/12/1836).

Isaac - Jacob

21- كرميو اسحاق-يعقوب: (1796-1880)

CREMIEUX

فرنسي يهودي ملسولي، مارس المحاماة (1828)؛ استقر في باريس (1830)؛ سافر إلى سوريا (1840)؛ تقرب من محمد علي باشا؛ نائب (1842-1848)، عضو



سجلات الزراعة في الجزائر: سفير فرنسا بروسيا (1849)، قبض عليه إثر انقلاب 12/02/1851 ونفي إلى بلجيكا.

م. ماك ماهون: (1893/1808) Marie Edme Patrice, Comte de  
MAC-MAHON duc de Magenta

مارشال، وثالث رئيس للجمهورية الفرنسية، من أصل إيرلندي، تخرج من مدرسة سان سير في 1827، شارك في حملة الجزائر (1830) وحملته أنقار (Anvers) (1830)، عاد إلى الجزائر (1833) وشارك في حصار قسنطينة (1837)، بقي في الجزائر حتى 1855، خاض حرب القرم (1855)، لما عاد إلى فرنسا عين عضواً في مجلس الشيوخ، ضمن النصر للفرنسيين بمعركة ماجانتا عام 1859 في حملة إيطاليا، من حاكمها عاما على الجزائر (1864)، في عهده دشن ميناء وهران، (1864/07/27) وصدر القرار المشيخي لـ (1865) و (1867) الخاص بمنع الجنسية الفرنسية للأهالي.

2- المقراني محمد :

بعد وفاة أبيه أحمد المقراني في 04/07/1853 عينه الفرنسيون باشاغا زار مكة المكرمة عام 1855 وعاد إلى الجزائر عن طريق تركيا وفرنسا، فيما بين 1857-1860 اتخذت فرنسا إجراءات إدارية حدثت من نفوذه، شارك في قمع ثورة الحفنة (1860)، تلقى مكافأة من الإمبراطور الفرنسي (1861) وحضي بمقابلته في (1860) بكمبين (Campiegne) حضر الاحتفالات الإمبراطورية بالجزائر (1865) لحصل على قرض مالي قدره 350.000 فرنك من «مصرين» أثناء مجاعة 1867.

في سنة 1867 اشترى مساحة أرضية زراعية واسعة بالحراش، بنى فوقها ضيعة جمع فيها الأيتام ودرهم على حرفة الفلاحة، في سنة 1868 أنشأ مؤسسة الأباء البيض (Pères blancs) كما أنشأ أيضا معهد الأخوات (Sœurs Blanches) بالتعاون مع ماري سالومي، في سنة 1882 عينه البابا ليون XIII (LEON) كاردينالا، ثم رئيسا لأساقفة قرطاجنة (1884)، وفي 1890 حقق أمنية البابا في توحيد الكاثوليك بفرنسا، توفي بالجزائر العاصمة في 18/11/1892، وحول جسده إلى روما.

23- لاموريسيار: (1865-1806) Christophe Louis Léon Juchault de

LA MORICIERE

تخرج من المدرسة العسكرية ملازما في الهندسة (1829/01/31)، شارك في حملة الجزائر (1830)، تقيب على الزوارق (1831)، رئيس أول مكتب عربي تحت إمرة الجنرال الفيزار، خاض الحرب ضد الحاج الصغير باي مليانة (1835)، استولى على قسنطينة بأمر من الجنرال فالي، عقيد على الزوارق (1837)، خاض معركة القليعة وموزاية (1840)، ترأس القسم العسكري لوهران (1840)، شدد الضربات على قبيلة الحشم الموالية للأمير عبد القادر في سهل غريس (معسكر) وقام بعمليات نهب ضد قبيلة فليتة (مستغام) سنة 1843، خاض معركة ايزلي (1844/08/14) والزمالة (1847)، ورتب عملية إنهاء الحرب مع الأمير عبد القادر، دعي إلى الجمعية الوطنية وانتخب في المجلس التشريعي الفرنسي (1848)، وبناء على وحيه صدر مرسوم في 19/09/1848 بمنح 50 مليون فرنك لتوسيع

1868 مولقة ماك ماعون. ولا قدم استقالته إلى السلطات الفرنسية في مارس 1870. طلبت منه العهد بأن يكون مسؤولا عن كل ما يحدث في منطقته إلى أن يرد له الحواب بالقول أو الرقص، فاعتبر هذا التصرف إهانة، فأقدم على الثورة، وحدث عن مدينة بوج بوعريخ يوم 16/03/1871. وحاصرها لمدة عشرة أيام، وفي 08/04/1871 انضم إليه الشيخ الحداد، وأثر مواجهة مع قوات العقيد تروجيلي حاكم سور الغزلان سقط القراني شهيدا على يد الزواف يوم 05/05/1871 وهو يؤدي صلاة الظهر.

26- مبصالي الحاج: (1896/05/16 - 1974/06/03)

اسم والده الحاج احمد، وأمه فاطمة ساري علي حاج الدين، له ستة إخوة (04) أولاد وبتان بعد أن تعب والده من العمل في الأرض، أصبح مقدما لضريح سيدي عبد القادر الجيلاني، توفي عام 1938 أما والدته فتوفيت في عام 1922، كان ينتمي إلى التزاوية الدرقاوية، في عام 1905 شهد زيارة رئيس الجمهورية الفرنسي إلى تلمسان، دخل المدرسة الفرنسية وسرعان ما تخلى عن الدراسة في 1908، شارك في مقاومات ضد التجنيد الإجباري وعمره 13 سنة، استمع إلى خطبة الحاج جلولي شلي الذي دعا التلمسانيين إلى الهجرة؛ جند في الجيش الفرنسي عام 1918، دُعي إلى رتبة رقيب واحتج كتابيا على القارق في الراتب بينه وبين رفقاته الفرنسيين من نفس الرتبة (7,5 فرنكا مقابل 1,5 فرنك)، سرح من الخدمة العسكرية في 28/02/1921، فعاد إلى الجزائر، ثم رجع إلى فرنسا سنة 1923 حيث عمل في عدة مصانع بباريس حتى غاية 08/10/1927، ثم بائعا متجولا في

التجارة (1927-1933)، كان يحضر المحاضرات العامة في جامعة بوردو، وعقد صلات مع المهاجرين المغاربة والأفارقة وجالية الهند الصينية، انضم إلى الحزب الشيوعي ثم تزوج من شيوعية، اغترب سنة 1926 في نجم شمال إفريقيا، ثم أصبح ابنا عاما له وعمره 28 سنة فرئيسا له سنة 1927، حضر مؤتمر بروكسل لعائدي للإمبريالية (1927)، التقى سنة 1935 بشكيب أرسلان في جونغيف، في 02/08/1936 عاد إلى الجزائر وألقى خطابا باللعب البلدي للجزائر العاصمة ندد به بمشروع بلوم فيوليت؛ أسس حزب الشعب الجزائري في 11/03/1937؛ أبعده سنة 1941 إلى لامبيز، ثم إلى برازا فيل سنة 1945، أنشأ حركة الإنتصار من أجل الحريات الديمقراطية في أكتوبر 1946، وفيما بين 1947-1954 خاض مبصالي معركة سياسية قاسية، وضع فيما بين 1952-1959 تحت الإقامة الجبرية، في 15/07/1954 أُنْصَار مبصالي يعقدون مؤتمرا في هورنو ببلجيكا، في نهاية ديسمبر أنشأ مبصالي الحركة الوطنية الجزائرية (ح.و.ج - M.N.A)، وفي فبراير - مارس 1956 بدأت المواجهات المسلحة بين المبصاليين وجيش التحرير الوطني الجزائري، في 05 جوان 1958 انضم مبصالي إلى اقتراحات ديغول حول تقرير المصير، ورفض المشاركة في ندوة البقيان (1961)، شرع سنة 1970 في تحرير مذكراته.



## 27- ميشال:

كان يشغل منصب مكلف بالشؤون الأهلية، والكاتب العام لولاية الجزائر العامة، في 19/02/1933 صدر عنه مشور إداري (circulaire MICHEL) يتضمن تعليمات موجهة إلى مصالح الأمن في الجزائر بمراقبة العلماء والتضيق عليهم، ومنعهم من أداء مهامهم، (التعليم - الإرشاد والإصلاح...).

28- نابليون III: (1807-1873) Charles Louis - NAPOLEON BONAPARTE

هو أول رئيس للجمهورية الفرنسية (1848/12/10)، وثالث إمبراطور فرنسي (1852-1870) شهدت فترة حكمه مشاركة فرنسا في حرب القرم (1854-1856)، وفي حملة المكسيك (1861-1867)، وانتهزام الجيش الفرنسي في الحرب ضد بروسيا (1870)، ووقوعه أسيرا في يد الألمان؛ كما توسعت الإمبراطورية الفرنسية في عهده ثلاث مرات.

29- الأمير عبد القادر: (1808-1883/05/26) مجاهد، رجل دولة، دبلوماسي، وأديب صوفي، ولد بقرية القبطنة قرب معسكر (1808)، تلقى تعليمه الأول على والده عمي الدين مقدم الطريقة القادرية، بعد تعلمه القراءة والكتابة وحفظه القرآن الكريم سافر إلى أرزيو فأخذ عن قاضيه سيدي أحمد بن طاهر علوم الفلك، والحساب، والجغرافيا والتاريخ، مارس الفروسية مبكرا، مكثه رحلته لأداء فريضة الحج (1825) من زيارة تونس، الإسكندرية، القاهرة، بغداد ودمشق. قاد المقاومة ضد الفرنسيين 1832-

(1848) لينقل بعد وضعه السلاح إلى فرنسا (1847-1852) ومنها إلى تركيا، وفي عام 1854 انتقل إلى دمشق إلى أن وقته المنية في 26/05/1883.

أنشأ الأمير جيشا نظاميا، وخاض معارك دفعت بالعدو إلى عقد معاهدات معه (دي ميشال 1834، والثافة 1837) وأقام مصانع للأسلحة وبنى الحصون العسكرية (تأكدت، بوغار، سعيدة) وأنشأ المستشفيات، أحدث نظاما مركزيا، وأنشأ مجلسا شوريا وديوانا يجمع نظارة الشؤون الدينية، الخارجية، المالية، صناعة الأسلحة، إلى جانب بنك لسك العملة.

نتم البلاد إلى 08 مقاطعات، أقام علاقات دبلوماسية مع فرنسا، كما وجه رسائل إلى ملك المغرب (عبد الرحمن) وملك بريطانيا (غيوم الرابع) وحاول التقرب من الو. م. أ عن طريق قنصلها بالجزائر، وراسل ملوك إسبانيا، إلى جانب هذا كان عالما أدبيا، وشاعرا وفيلسوبا، ومن أشهر مؤلفاته «نزعة الخاطر»، «ذكرى العاقل وتنبية الغافل»، «المواقف»، «المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد».

30- عباس فرحات: (1889-1985)

من مواليد 24/10/1889 بدوار شهنة قرب الطاهير (جيجل) من عائلة فلاحية تتألف من 12 شخصا، درس الابتدائي في جيجل والثانوي في سكيكدة، أدى الخدمة العسكرية الإلزامية (1921-1923)، تخرج من جامعة الجزائر بدبلوم صيدلي. في سنة 1927 انتخب رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، نائب بالمجلس البلدي لسطيف (في 1933)، موفد مالي بالجزائر العاصمة (في 1934)، في



طبيب، وسياسي، سان سيموني (فرنسي)، نائب عن الجزائر (1871-1875)،  
تخرج طبيا من المستشفى العسكري بمدينة ليل (1832)، في سنة 1834 أرسل إلى  
دمران لمعالجة السكان من مرض الكوليرا، فيما بين سنتي 1837-1839 شغل  
مهمة محافظ بالقرب من النقيب دوماس لدى اتصال فرنسا بمدينة معسكر تنفيذ  
لمعاهدة التافنة، في سنة 1843 كلف باستطاق الأسرى في سان مارغريت بعد  
سقوط الزمالة - اهتم بالزوايا وبالطرق الصوفية التي قاومت الاحتلال الفرنسي،  
بعد انقلاب 1851/12/02 اعتزل السياسة، واعتصم بمزرعته القريبة من الجزائر  
العاصمة، كان شريكا للكلون في مؤسسات زراعية بالحروب، ومؤسسات  
منجمية بأيدوغ، فيما بين 1852-1861 اهتم بالسكك الحديدية الجزائرية، وتعلم  
لغة التوارق، كما نشر عدة مقالات في جرائد: «L'Algérie»، «L'Afrique»  
«L'Atlas» فيما بين 1863-1868 انضم إلى جول فيري ودافع معه بقوة عن

مصالح الكلون، وعارض بشدة مشروع المملكة العربية، وفي 1871/07/08  
انتخب نائبا للجزائر العاصمة، كان عضوا نشيطا في اللجنة المكلفة بمصادرة  
أراضي الفلاحين الجزائريين، وعضوا في لجنة الملكية العقارية في الجزائر، ترك  
بصماته في قانون 1873 الذي يحمل اسمه، وهو القانون الذي كان يهدف إلى  
فرنسة الأراضي الفلاحية الجزائرية والقضاء على الملكيات الأرضية الجماعية  
للفلاحين الجزائريين.

سنة 1939 تطوع للخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، في سنة 1941 سلم مذكرة  
إلى المارشال بيتن يتند فيها بالاستعمار، في 1943/02/10 حرر مع بعض  
المواطنين البيان الجزائري، وفي نفس السنة أسس أحباب البيان والحرية، وفي ماي  
1946 أسس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وفي 1947 انتخب عضوا في  
الجمعية الجزائرية، وفي 1955 انضم إلى جبهة التحرير الوطني، وفي 22 أفريل 1956  
التحق بالوحد الجزائري في القاهرة، إثر انعقاد مؤتمر الصومام (1956/08/20)  
أصبح عضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وفي أوت 1957 عضوا في لجنة  
التسيق والتنفيذ، أول رئيس للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (سبتمبر  
1958)، أول رئيس لأول مجلس وطني بعد الاستقلال، وفي 1964 بأمر من أحمد بن  
بلة يقلى عليه القبض، ثم تفرض عليه الإقامة الجبرية بالصحراء الجزائرية، ولم  
يطلق سراحه إلا بعد 19 جوان 1965 بأمر من الرئيس الراحل هواري بومدين،  
توفي سنة 1985 بالجزائر.

### 31- غريفي جول: (1891-1807) Jules GREVY

دخل معترك السياسة عقب ثورة 1848، في سنة 1849 انتخب نائبا لرئيس  
المجلس التشريعي، التي عليه القبض إثر إنقلاب 1851/12/02 ثم أطلق سراحه،  
خلال سنوات 1862 حتى 1868 مارس المحاماة، وفيما بين فبراير 1871 وأفريل  
1873 دخل في معارضة ضد غاميتا، وتيار، وفي سنة 1876 انتخب رئيسا لمجلس  
النواب، وفي 1879/01/30 انتخب رئيسا للجمهورية الفرنسية خلفا لماك ماهون  
الذي استقال من منصبه، وقد كان من أنصار ودعاة السلم، وضد التوسع  
الاستعماري.



ثانياً: الملحق رقم 02:

قائمة المراكز الاستيطانية التي منحت أسماء جديدة بعد استرجاع الجزائر استقلالها<sup>(1)</sup>

Liste des Centres de Colonisation auxquels un nouveau nom est attribué.

N°	Anciens noms	Noms nouveaux	N°	Anciens noms	Noms nouveaux
01	Affreville	El Khemis	31	Col Des Oliviers	Ain Bouziane
02	Arago	Bordj Ali	32	Conde Smendou	Zighout Youcef
03	Arcole	Bir El Djir	33	Courbet	Zemmouri
04	Arthur	Tletat Des Douairs	34	Crescia	Khraicia
05	Auguste Comte	Baghai	35	Darnesne	Ain El Bya
06	Auribeau	Ain Charchar	36	Darnette	Ain Dhab
07	Aumal	Sour El Ghozlane	37	Deligny	Zerouala
08	Baudens	Belarbi	38	Detrie	Sidi Labcen
09	Bedeau	Ras El Ma	39	Dombasles	El Hacem
10	Belle Cote	Ain Boudinar	40	Dominique Luciani	Takhmaret

(1) - يتضمن هذا الملحق - فقط - أسماء المراكز الاستيطانية التي ورد ذكرها في البحث.

جنرال فرنسي. شارك في حملة بلجيكا خلال عامي 1831-1832، عين قائداً على رأس جيش إفريقيا فيما بين 1833-1834، خلال حكمه للجزائر سقطت المدن التالية في يد جيش الاحتلال الفرنسي: مستغانم ومزغران في 29/07/1833، بجاية في 29/09/1833. أنشأ المراكز الاستيطانية للقبعة ودالي ابراهيم، اهتم بتخطيط مستطع الحراش وهدد شبكة الطرق بالساحل الجزائري وبمتميجة، في سنة 1839 منحه لويس نابليون مقعداً في غرفة مجلس الأعيان.



29	Charrier	Meflah Sidi Boubekeur	59	Lappasset	Sidi Lakhdar
30	Cinchon	El Matmar	60	Lavarande	Sidi Lakhdar
61	Les Trembles	Sidi Hamoudouch	91	Renault	Sidi M'amed Ben Ali
62	Lourmel	El Amria	92	Renier	Ain Makhlouf
63	Magenta	El Haçaiba	93	Rio Salado	El Malah
64	Mangin	El Braya	94	Rivet	Meflah
65	Martimprey	Ain El Hadid	95	Rivoli	Hassi Marneche
66	Mercier Lacombe	Sfisef	96	Robertville	Em Jez Chech
67	Michelet	Ain El Hannam	97	Saint Aime	Jdioua
68	Millesimo	Belkheir	98	Saint Antoine	El Heddaiek
69	Mirabeau	Draa Ben Khedda	99	S <sup>te</sup> Barbe du Tielat	Oued Tielat
70	Mondovi	Drean	100	S <sup>t</sup> Denis Du Sig	Sig
71	Montagnac	Remchi	101	S <sup>t</sup> Cloud	Gdyel
72	Montenotte	Sidi Akacha	102	S <sup>t</sup> Charles	Ramdane Jamal
73	Montgolfier	Rahouia	103	S <sup>t</sup> Ferdinand	Souidania
74	Morris	Ben M'hidi	104	S <sup>te</sup> Leonie	El Maghoum
75	Mouzaïville	Mouzaia	105	S <sup>t</sup> Leu	Bettoua

11	Bellevue	Sour	41	Dublineau	Hacine
12	Bernelle	Oued El Ma	42	Duquennes	Kanis
13	Berteaux	Ouled Hamla	43	Duvivier	Bouch-guaf
14	Berthelot	Youb	44	Eugene Etienne	Hennaya
15	Bizot	Didouche Mourad	45	Fleury	Hassine Etroual
16	Bosquet	Hadjadj	46	Fort De L'eau	Bordj El Kiffan
17	Bossuet	Dhaya	47	Fort National	L'arbaa Nair Iraïhen
18	Boulet	Telioum	48	Franchetti	Sidi Amar
19	Brazza	Zoubiria	49	Gaston Doumergue	Oued Berkecho
20	Bugeaud	Seraidi	50	Gastonville	Salah Bouachour
21	Burdeau	Mahdia	51	Gastu	Zit Emba
22	Cacherou	Sidi Kada	52	Guiard	Ain Tolba
23	Camp Du Marechal	Tadmait	53	haussenvillers	Naciria
24	Cap Matifou	Bordj El Bahri	54	Jean Mermoz	Bouhenri
25	Carnot	El Abadia	55	Jemmapes	Azzaba
26	Cassaigne	Sidi Ali	56	Kleber	Sidi Benyebka
27	Chanzy	Sidi Ali Ben Youb	57	Laferriere	Chaabet El Laham
28	Charon	Boukadir	58	La Moriciere	Ouled Mimoun



## الناشئة مجموعة ملاحق خاصة بالاستيطان

3- قرار 18 أبريل 1841 «Arrêté du 18 Avril 1841»

4- سند ملكية «Titre de concession»

5- نموذج لمخطط توسيع مركز استيطاني.

6- رسم للجندى الفلاح «Le Soldat Paysan»

7- (أ) - رسم: الجنرال لاموريسبار في توديع الكولون المهاجرين إلى

الجزائر يوم 08 أكتوبر 1848

(ب) - رسم: توزيع الأراضي على الكولون

8- خرائط المستوطنات الفلاحية لعام 1848 بالأقاليم الجزائرية الثلاث.

9- (أ) - مراحل الغزو الفرنسي للجزائر.

(ب) - مراكز استيطان المهاجرين من الأكراس واللورين إلى الجزائر عام 1870

10- مراكز الاستيطان الناشئة بالجزائر فيما بين 1833-1928.

11- نموذج لجدول بمراحل وتطور الاستيطان الحر بأحد المراكز الاستيطانية

76	Mellinet	Tifles	106	S' Louis	Boudou
77	Nemours	Ghazaouet	107	S' Lucien	Zahana
78	Nouvion	El Ghomri	108	S' Maure	Tannouma
79	Oued Imbert	Ain El Herd	109	S' Pierre S' Paul	Oued Mousa
80	Palikao	Tighenif	110	Sonis	Chiffoua
81	Palissy	Sidi Lakhdar	111	Strasbourg	Emir Abdelkader
82	Parmentier	Sidi Ali Houssidi	112	Tassin	Houssidi Zekoua
83	Pelissier	Savada	113	Thiersville	Ghazaouet
84	Perregaux	Mohammedia	114	Tocqueville	Kas El Oued
85	Petit	Houmahra Ahmed	115	Trezel	Souggout
86	Philippeville	Skikda	116	Tunis Macabouis	Sidi Ben Akda
87	Pont De L'isser	Ben Sekrane	117	Turget	Treza
88	Port Gueydon	Azzefoun	118	Uzer Le Duc	Oued El Aitai
89	Proudhon	Sidi Brahim	119	Valmy	El Kermis
90	Rebeval	Baghbia	120	Victor Hugo	Hamadia



# TITRE DE CONCESSION.

Sous Louis-Marie, Tertiaire du Département d'Algérie, attaché de l'ordre impérial de la Légion d'Honneur, commandeur de l'Ordre de Saint-Grégoire-le-Grand de Rome, chevalier des ordres royaux de Charles III d'Espagne et de la Couronne de Clélie de Bulgarie, commandeur de l'Ordre de Saint-Etienne de Tournai, commandeur de l'Ordre de l'Étoile royale de Belgique de Bruxelles.

Le présent acte de concession est donné en vertu de l'Ordonnance du 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Notre ministre des Colonies, le 15 mai 1863.

Article 1. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 2. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 3. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 4. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 5. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 6. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 7. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 8. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 9. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 10. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 11. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 12. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 13. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 14. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

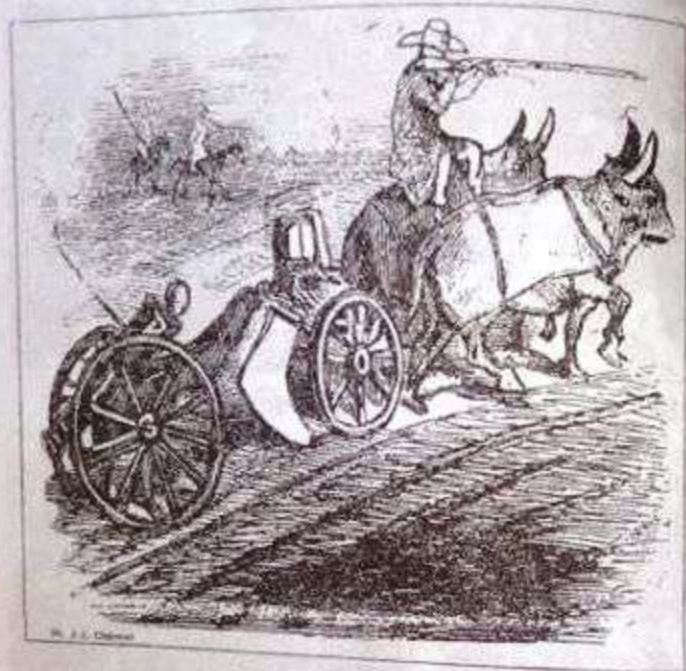
Article 15. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 16. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

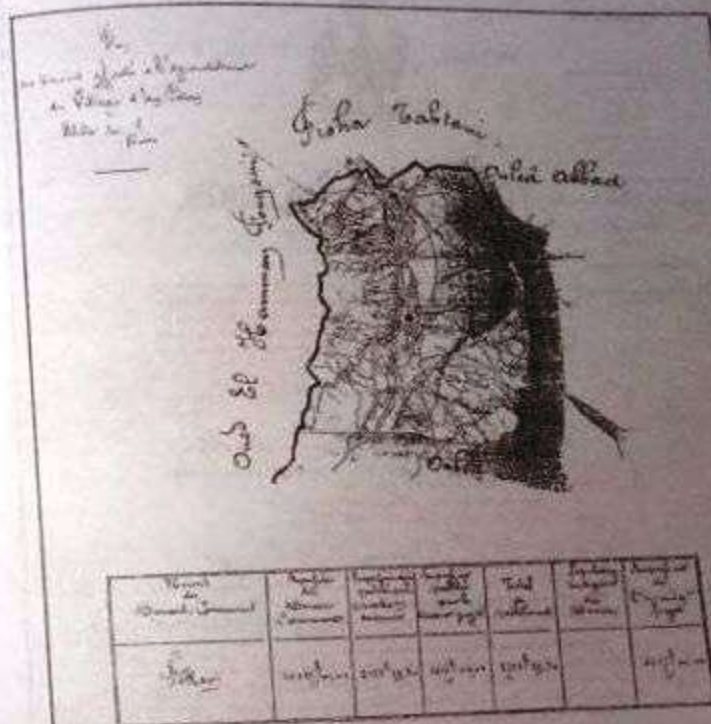
Article 17. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.

Article 18. La concession est faite par l'Etat à la Compagnie algérienne de chemins de fer, pour la concession de la ligne de chemin de fer de la Compagnie algérienne de chemins de fer.



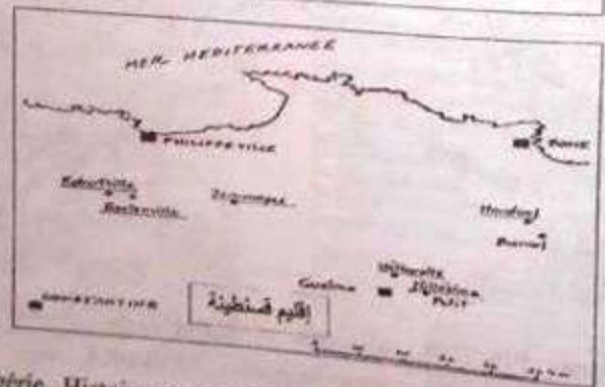
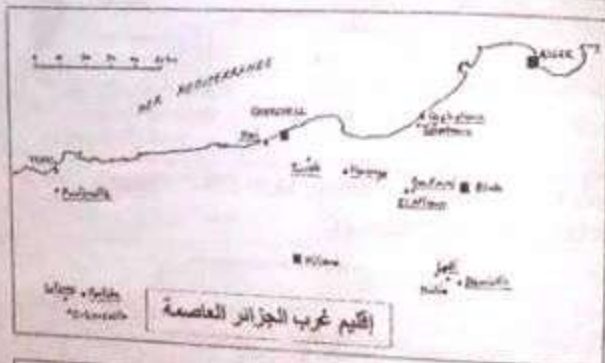
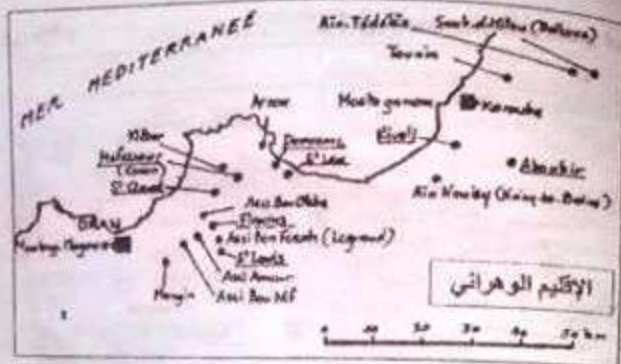


Algérie. Histoire et nostalgie, 1830-1987" *Historia* : الصدر  
spécial, juin 1987" page 52.



Lyons 2. 25 Apr 1882  
J. W. Smith  
L. W. Smith

CAOM - G.G.A. Carton 2M/7. المصدر:



Algerie. Histoire et nostalgie, 1830-1987" Historia : المصدر :  
spécial, juin 1987" page 55-56-57.



أحرار لاموريسار في توديع الكولون المهاجرين إلى الجزائر يوم 08 أكتوبر 1848



توديع الأراضي على الكولون

Algerie. Histoire et nostalgie, 1830-1987" Historia : المصدر :  
spécial, juin 1987" page 54-59.











# خامسا: مجموعة نماذج من صيغ نقل الملكية

15- تصاميم تظهر تكريس الاستيلاء على المساحات الواقعة في قلب

الأراضي

الفلاحية الجزائرية

16- نموذج لإعلان خاص ببيع ممتلكات عقارية عن طريق السعر الثابت

والمكتب

الفتح.

17- نموذج لإعلان خاص ببيع ممتلكات عقارية عن طريق المزاد العلني



Plan: AERUS. L'eau en Algérie de l'indépendance au développement (1830-1962) Alger: O.P.U 1985 - p.174





سادسا: نماذج من الشكاوي ومذكرات الاحتجاج

18- نموذج لمراسلة إدارية بشأن أراضي صودرت من أصحابها بحجة المنفعة العامة

19- رسالة تشكي من أحد مواطني فرنده إلى عامل عمالة وهران يطلب فيها تعويضاً عن أرض أجداده المغتصبة

20- نموذج جواب من عامل عمالة وهران إلى رئيس فرندة بشأن شكوى تقدم بها أحد مواطني فرندة

ملحق رقم 17 : نموذج إعلان عن بيع بالمزاد العلني لممتلكات عقارية محتجزة

União de W. Marinho COLONIAL, Av. a. Marinho, 6. São Paulo - SP

**VENTE SUR SAISIE REELLE**  
**ANX ENCHERES PUBLIQUES, DE**  
**DIVERS IMMEUBLES**

OFFICE OF THE DIRECTOR OF THE BUREAU OF THE CENSUS  
WASHINGTON, D. C. 20543

### MISES & PRIX

The collage features several financial documents. At the top, the word "MISSES" is partially visible. Below it, there are several checks and bank statements. One check is from "The First National Bank" for \$10.00. Another check is from "The Second National Bank" for \$10.00. There are also bank statements from "The Third National Bank" and "The Fourth National Bank". The documents are arranged in a way that they overlap, creating a sense of depth and complexity.



رسالة تشكي من أحد مواطني فرندة إلى عامل عمالة وهران  
يطلب فيها تعويضا عن أرض أجداده المقتصة، والتي شيدت  
إدارة الاحتلال فوقها مباني سكنية.

Jan 11 2/12/1978

Wesley B. Bostwick au service de la Nouvelle  
industrie à Florida.

Amuse le Esprit du Département et Non

1. transmission to the public



Il a l'homme d'affaires très travaillant  
attention sur les faits suivants :

Le bar de l'endroit est un cercle où l'on se rend de  
l'heure de midi à 10 heures du soir. Il y a une salle de  
jeux où l'on joue à des jeux d'argent. Le propriétaire  
de ce bar est un homme nommé (nom) qui est à la tête de  
l'établissement. Le bar est à l'entrée de la ville.  
Il y a une salle de jeux où l'on joue à des jeux d'argent.  
Le bar est à l'entrée de la ville.

Rebinder pour les succédanés de l'ate caproïque  
dans une série de transformations

les parents de la femme de son frere. Voulez  
vous que je vous en parle ?

Le 11 Mars 1881

...aus der ...  
...aus der ...  
...aus der ...

... état de l'œuvre de l'homme ...

me pousse à lui en faire connaître les besoins de la fil  
le de la région, au moyen de

CAOM-GG-1

CAOM - G.G.A. Carton 9H/47

[illegible]

CAOM - G.G.A. Carum JNL

21- صور من التخريب الذي لحقه المجاهدون بمزارع الكولون في المنطقة السادسة من الولاية الخامسة التاريخية

22- نفسه

23- نموذج من منشور الدعاية الفرنسية أبان ثورة أول نوفمبر 1954

24- صور للتجمع الإجباري لقرقرور بزملاطة (معسكر)

25- صور لمجندين فرنسيين يتولون تأمين حماية الكولون ومزارعهم أثناء عمليات الحصاد والدرس

نموذج لجواب من عامل عمالة وهران إلى رئيس بلدية فرنسية بشأن شكك تقدم به أحد مواطني فرنسية بطلب فيه بالتعويض عن أرض أجداده المقتصة.

Préfecture d'Oran  
le 18 Mars 1955  
n° 3863

République Française  
Oran le 18 Mars 1955



Le Préfet d'Oran  
à Monsieur le Maire  
de JENNA.  
M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.

M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.  
M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.

M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.  
M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.

M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.  
M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.

M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.  
M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.

M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.  
M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.

M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.  
M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.

M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.  
M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.

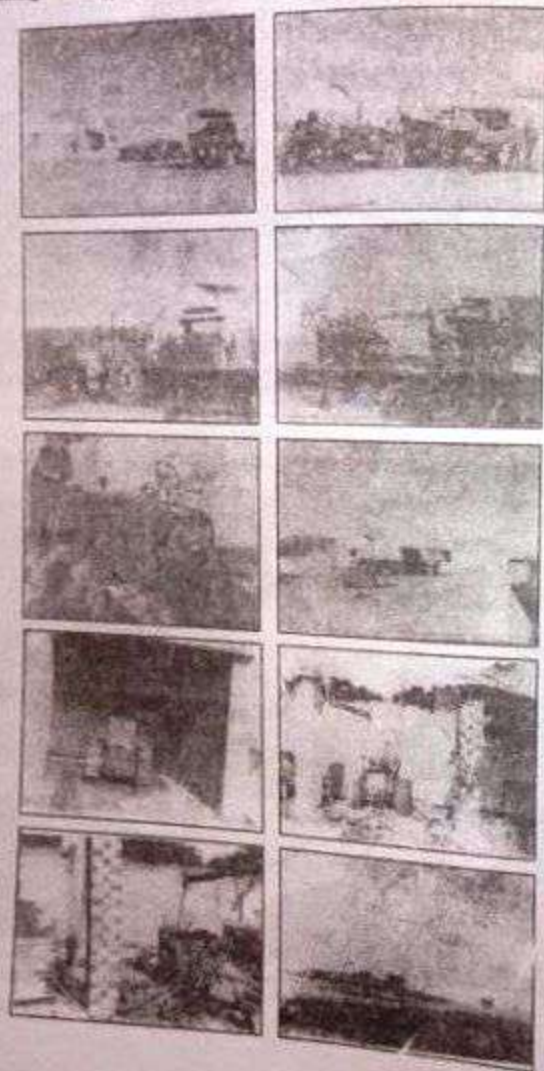


M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.  
M. le Maire de JENNA, le 18 Mars 1955.

CAOM - G.G.A. Carton 9H/47

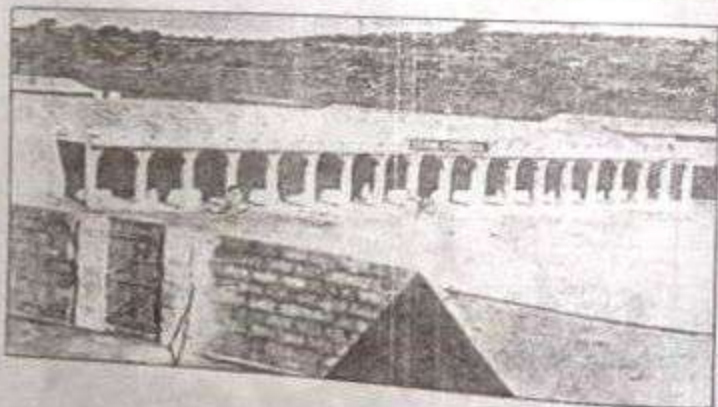


صورة تكشف التخريب الذي ألحقه الجزائريون ببعض ضيعات  
الكولون في المنطقة السادسة من الولاية الخامسة



صورة تكشف التخريب الذي ألحقه الجزائريون ببعض ضيعات  
الكولون في المنطقة السادسة من الولاية الخامسة



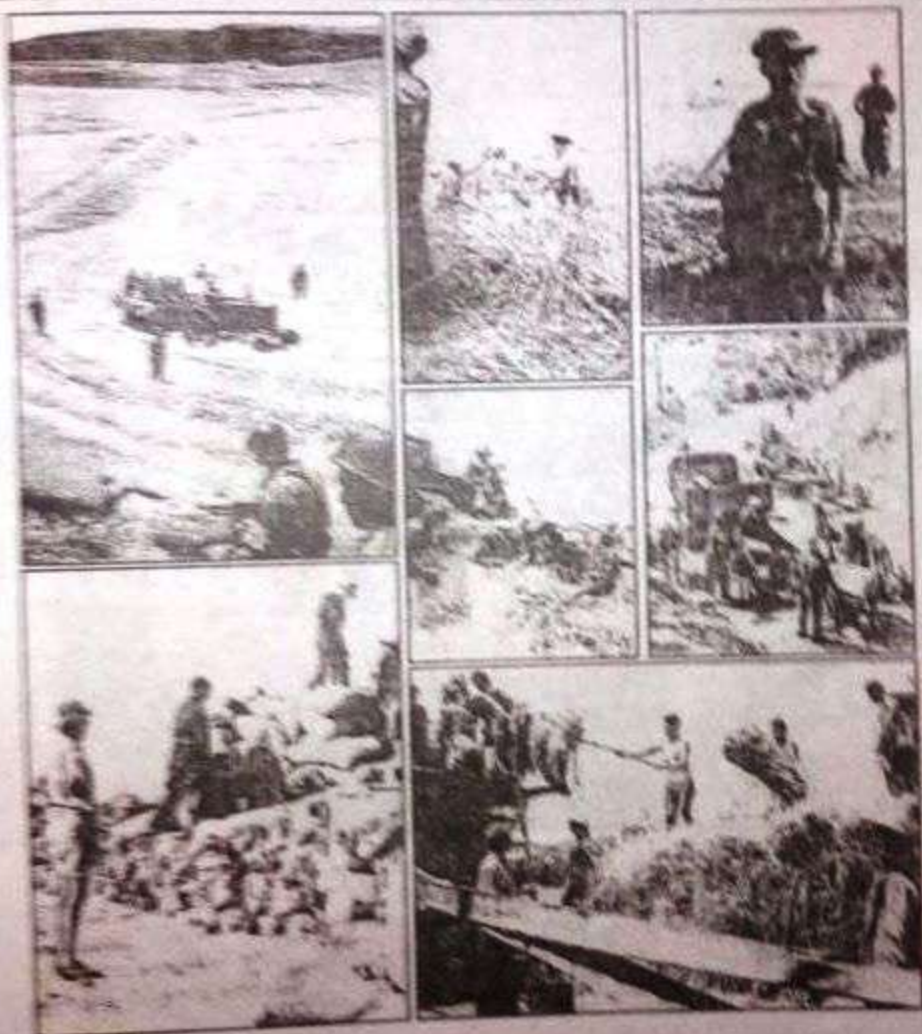


François Porteu de la Morandière. SOLDATS DU <sup>الرجع</sup> DJEBEL. Histoire de la Guerre d'Algérie. Paris 1977.  
Page 240.



مجنّدون فرنسيون من القسم العسكري لعين البيضاء - يتولون تأمين الحماية، والمساعدة في الأشغال الفلاحية كالحصاد والدمر بمزارع الكولون (صيف 1956)

BLEU :  
RETOUR DU SOLDAT-PAYSAN



الرجوع : François Porteu de la Morandière. SOLDATS DU  
DIEBEL- Histoire de la Guerre d'Algérie, Paris 1977-  
Pages 72-73.

## المحتوى

الباب الثاني: الاستيطان الفرنسي: النتائج وردود الفعل الوطني

الفصل الأول: نتائج الاستيطان الفرنسي على المجتمع الجزائري

3 تمهيد.....

5 انتشار الفقر.....

6 هدم البنية الاجتماعية والاقتصادية للشعب الجزائري

21 بث عناصر أجنبية - دخيلة - في الجزائر.....

28 اختلال التوازن السكاني.....

41 تحول المراكز الاستيطانية إلى بلديات كاملة الصلاحيات

48 خاتمة.....

60 الفصل الثاني: العرائض والمذكرات الاحتجاجية.....

61 تمهيد.....

63 أملاك الغائبين المتروكة.....

64 حول التطبيق الجائر للتشريعات العقارية.....

72 نغاطف إدارة الاحتلال مع الكولون والعملاء والإشراف في تجاهل مطالب

الأمالي.....

86 خاتمة.....

149 الفصل الثالث: المقاومة السلمية الطويلة الأمد.....

151 تمهيد.....

153 شراء الفلاحين الجزائريين للأراضي من الكولون.....

154



305	تمهيد
309	دعم الفلاحين الجزائريين للأمير عبد القادر في مقاومته ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر (1832-1847)
321	الصراع بين الفلاحين الجزائريين والكتلون حول الأراضي الرعوية
327	ضرب دعائم الاقتصاد الزراعي الاستعماري الفرنسي في الجزائر
340	رد فعل سلطات الاحتلال من عمليات حرق الغابات وتخريب مزارع الكولون
363	حماية المراكز الاستيطانية (بقوة القانون وقوة السلاح)
374	خاتمة
377	الفصل السادس: اهتمامات ثورة أول نوفمبر 1954 بالأراضي الفلاحية
379	تمهيد
381	لغة وجيزة عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية للريف الجزائري عشية اندلاع ثورة نوفمبر 1954
399	مكانة الأراضي الفلاحية في ميثاق ثورة أول نوفمبر 1954
411	صور من العنف الثوري ضد الكولون
411	أ- حرق مزارع المعمرين
435	ب- استخدام العنف الثوري ضد غلة الكولون
441	موقف إدارة الاحتلال من عمليات ضرب المجاهدين لمزارع الكولون
455	خاتمة
457	خاتمة عامة
460	الملاحق
517	تتبع المصادر والمراجع (بيلوغرافيا)

167	النضال الثقافي والإضراب عن العمل
167	المظاهرات
180	الإضرابات العمالية
186	الانتشار الجغرافي للفروع الثقافية (1936-1937)
196	أثر الدعاية الثقافية داخل الأرياف الجزائرية
214	صور من نضال أئمة المساجد الحرة والكتاتيب القرآنية ضد الكولون
218	نماذج من تطور الصراع بين عمال الأرض والكولون خلال عامي 1944
226	امتزاج النضال الثقافي للفلاحين الجزائريين بالنضال السياسي (1945-1962)
233	خاتمة
235	الفصل الرابع: اهتمامات الأحزاب والصحف الوطنية الجزائرية بموضوع ملكية الأرض
237	تمهيد
238	موقف الأمير عقائد من المسألة الزراعية في الجزائر
242	تفاح نجم شمال إفريقيا ضد عملية امتلاك الكولون للأراضي الفلاحية الجزائرية
247	موقف حزب الشعب الجزائري من استيلاء الكولون على الأراضي الفلاحية الجزائرية
263	نضال فرحات عباس ضد ملكية الكولون للأراضي الفلاحية
271	موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الفلاحين وقضايا الأرض
277	موقف الحزب الشيوعي الجزائري
283	المسألة الزراعية في الصحافة الوطنية (الأهلية)
302	خاتمة
303	الفصل الخامس: نماذج من مقاومة الفلاحين الجزائريين لاستعمار الفرنسي في الجزائر (من جانبها الاقتصادي 1830-1954)